ALIVE

رواية

عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ

أحمد زكي





عَلَىٰ قَيْدِ الحَيَاةِ!

عَلَىٰ قَيْدِ الحَيَاةِ!

نِعْمَةُ المَوْتِ

(لِيرُودِيكَا)

مقدمة

دخلت للمقهى الذى سرت إليه بناءا على توجيهات (gps) الهاتف! مقهى راق فعلا، فى مكان راق فعلا، داخل منطقة سكنية راقية فعلا!

أعتقد أنى لم أكن لأدخل مثل هذا المكان أبدا لولا أن تلقيت هذه الدعوة الكريمة من هذا الرجل.. عندما دخلت وجلست أنظر فى وجوه الناس وملابسهم شعرت بالضآلة نوعا! نعم.. دعنى أحدثك بصدق؛ فالناس هنا من علية القوم الذين (يلمعون) من فرط النظافة والصحة والثراء.. حتى أحذيتهم لاتبدو أنها مست الأرض من قبل قط!

ثم بدأ الذعر يغزو قلبى عندما تأملت قليلا فى القائمة.. سعر كوب الشاى هنا عجيب نوعا! ما كل هذه الأصفار جوار السعر؟ ثم ما نوع الشاى الذى يقدمونه هنا أصلا ليكون هذا سعره؟

أغلقت القائمة متوترا، بانتظار الرجل القادم لينقذنى.. كل المال الذى بحوزتى الآن لايكفى لشراء كوب ماء بلاستيكى من الصنبور فى هذا المكان!

حاولت الاسترخاء والاستمتاع بالجو العام والتمتع بالموسيقى والعطور ومراقبة الناس، حتى جاء من أنتظره..

- أستاذ أحمد؟

صوت هادىء واثق من نبراته ينادينى من جوارى، نهضت مصافحا إياه، ثم جلسنا متقابلين.. كان مثل الباقين يلمع ويبدو عليه الثراء والصحة والوسامة! اللعنة.. لابد أنهم يرمقوننى الآن كمخلوق غريب يرونه لأول مرة! أشعر بالخزى فعلا، لكن ألقيت مشاعرى خلف ظهرى وحاولت الاندماج معه..

وعندما سألنى ما إذا كنت طلبت شيئا أجبت بالنفى، فابتسم ابتسامة من يفهم الأمر، ثم نادى النادل لأخذ طلباتنا.. يجب أن أستغل الموقف لأقصى درجة، فهذه فرصة لا تتكرر سوى مرة واحدة فى العمر! طلبت قهوة أمريكية، وكعكة الجبن.. لابد من التبذير فى مثل هذ المواقف..

وبعد ثرثرة لا أهمية لها فعلا دخل فى الموضوع مباشرة.. إنه يريد أن يحكى لى ما حدث على أن أصيغه بطريقتى وأنشرها كرواية! لا يريد ربحا أو ماشابه، لكنه يرغب حقا فى تسجيل حكايته.. ولم يجد أنسب منى (على حد قوله) !

بالطبع لا أسماء حقيقية.. لا أماكن على الإطلاق، والأحداث ملك لى تماما! مسموح لى بالتسجيل، وغير مسموح لى بالمقاطعة!

قواعد صارمة وافقت عليها، ممنيا نفسى بجلسة مملة للغاية.. هؤلاء الأثرياء! ربما حكى لى عن كالو قدمه ورحلته فى العلاج، أو عفريت الحمام الذى يتلصص عليه من وراء الستارة، لكنى لم أتوقع القادم..

كانت أفكاره منمقة ثابتة راسخة.. ترتيب الأحداث رائع أصابنى بذهول.. هذا الرجل إما مؤلف بارع أو كذاب بارع أو هو.. لا أعرف!

ورغما عنى تركت الطبق الشهى الذى جاءنى واستمعت إليه بتركيز..

 الجزء الأول

مجموعة أحداث عجيبة غير مترابطة..
أماكن متباينة لا يجمعها شيء تقريبا، وهناك
لمسة من الجنون تحيط بكل شيء!

- ستكون لى للأبد..

ارتجفت شفتاه فى خوف.. هل ما يفعله خطأ أم.. لكن لامجال للتراجع الآن..

- سأكون..

- ستتحرك حسب خطواتي.. لن تفعل شيئا إلا بأمرى.. لن تتحرك إلا كما سأقول لك بالضبط..

ارتجف قلبه ارتجافة مؤلمة.. هذا الأمر لن يأتى بالخير أبدا.. من سمع عن شخص تحالف مع قوي الشر ونجح في شيء؟

لكن..

لا مجال للتراجع الآن..

لا مجال للعودة..

لا مفر..

لذلك نطق بصوت مرتجف:

- نعم.. أنا موافق على كل شيء..

ابتسمت الفتاة الجميلة الجالسة أمامه، وأخرجت سكينا قذرا من جوارها، ثم تناولت ذراعه، وبهدوء شقت جلده.. كان الألم مروعا لا يطاق، خاصة وهو مرفه تقريبا لا يعلم عن الألم إلا اسمه.. ربما عاش أحيانا بعض الأوقات القاسية، لكنه أقرب إلى الرفاهية! لو لم تكن رغبته العارمة فى الانتقام لما أتى إلى هنا؛ لذلك صرخ، وتردد صدى صراخه في الصحراء المحيطة به.. ومن بعيد جاءه صوت

ذئاب تعوى ربما اعتقدته فريسة وترغب في المشاركة في الوليمة..

ابتسمت الفتاة فى خبث، ثم شمرت عن ساعدها ودون تردد شقت جلدها شقا طويلا بثبات كأنما تشق رغيفا طازجا، ثم وضعت ذراعها على ذراعه فامتزج الدمان معا!

صدقنى لا أعرف الحالة الطبية هنا، ولا ما الأضرار التى يمكن أن تنجم عن مثل هذا الفعل الأحمق، لكنها استمرت بضع ثوان فى هذا الوضع وهى تردد كلاما غامضا..

كان الشاب يرتجف كورقة ويوشك على إفراغ ما في بطنه من فرط الرعب والهلع، ومع ذلك فما كان بداخله أقوي من أي خوف..

انتقام..

سواد قاتم يحيط بروحه..

ألم..

غيرة قاتلة..

ولهذا، ساقته قدماه لهذه الساحرة!

ورغما عنه عادت ذاكرته للخلف.. لبداية كل شيء!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

تعود الحكاية لأحد أقاربه (يطلق عليه مجازا لقب عمه)، والذى كان ممن يعملون في أمور الدجل والسحر.. فى الحقيقة لم يكن ساحرا حقا، وإنما تربي علي يد ساحر نصاب آخر ثم استقل عنه وسار وحده في اتجاه مختلف..

كان ذلك منذ فترة حين حدثت الأحداث التالية..

ترى العم جالسا فى حجرته الخاصةبإحدي قرى صعيد مصر، والحجرة تعبق بدخان كثيف نتيجة البخور ذى الرائحة النفاذة والذى لا يكف عن الانبعاث من مبخرة نحاسية ضخمة تقبع فى ركن الحجرة..

بالفعل كان نموذجا للنصاب شديد الإتقان بكل هذه المؤثرات البدائية التى يحيط نفسه بها.. كانت هناك أزرار تحت المنضدة التى أمامه، وكل زر منها يفعل الأعاجيب التى تقنع مرتادى المكان؛ وعلى سبيل المثال هناك زر لإصدار صوت (خوار) عميق يصدر من رأس تيس معلق على الجدار خلفه.. وزر آخر يحرك بعض الأغراض على منضدة مجاورة مصدرة صريرا مخيفا نتيجة الاحتكاك والسيور التى تحركها، وزر ثالث يتسبب فى إسقاط (حجاب) من السقف على حجر الجالس أمام الساحر النصاب، وزر رابع يقلب الأنوار ما بين الأحمر النارى والدموى والبنفسجى..

كل هذه خدع تعلمها من النصاب السابق، ثم قام بتطويرها بنفسه.. كل شيء صنعه بيده، إذ أنه لم يكن ليثق فى شخص يدخل عنده ويفشى أسراره.. وكانت أغراضا بسيطة على كل حال وليست بالتعقيد البالغ رغم عبقريتها البالغة التى تنافس المسارح العالمية فى قوة تأثيرها! لربما لو كان فى بلد آخر ومكان آخر لصار ساحرا بارعا ينافس فى المسارح العالمية!

كما قلت كان محترفا وعبقريا حينما صنع كل ذلك بنفسه إلا أنه كان لايصدق فى وجود شىء من السحر أو الجن والشياطين وكل مالايمكن رؤيته بالعين! يؤمن تماما أن لا سحر موجود ولا جن مسخرون ولا شياطين ولا شيء! هو نفسه لم ير شيئا طوال حياته.. بل تمادى وحاول تحضير الأرواح عدة مرات بكثير من القلق، لكن لم يحدث شيء..

بالنسبة له كانت كل هذه أوهام تثير مخيلة البسطاء، لكنها أوهام مربحة للغاية،لذلك كان يجتهد فى بث الرعب فى قلوب مريديه بخدع تنافس الخدع الهوليودية،حتى أنه أحيانا كان يصنع أفعالا عبقرية يحسد نفسه عليها..

كان يضحك ويقول لنفسه أنه ربما كان ملبوسا بشيطان عبقرى يوحي إليه بكل هذه الأفاعيل!

مثلا يذكر حين تمت دعوته ذات مرة للغداء فى دار العمدة بعدما شفى ابنته بكلمات سحرية ورقية وحجاب (وبعض المهدئات القوية حي كانت تعانى من صداع عنيف وتعتقد أن هناك جنا يتلبسها)، وحين انتهوا جاؤا إليه بالماء ليغسل يديه، وحين مدوا له الصابون رفضه.. فقط فرك يديه بالماء فإذا بالرغوة الكثيفة تخرج من بين أصابعه!

هلل الموجودون للمعجزة وهو يضحك.. كل مافى الأمر أنه دهن راحتى كفيه بصابون الأطباق السائل وتركه ليجف قبل بداية تحركه،

وعند الطعام حرص على الأكل بأنامله فحسب دون أن يمس راحتيه..

وأيضا عندما يأتيه طالب لـ (الحجاب)، فأحيانا يسقط عليه من السقف بضغطة زر كما عرفنا، وأحيانا يغلى ماء أمامه ويغطيه بالغطاء،ثم يرفع الغطاء فإذا بالحجاب الكبير يسبح فى الماء الساخن من العدم!

هنا تجد طالب الحجاب يقبل يد الشيخ شكرا ورهبة أمام المعجزة الخارقة، على حين أن كل ما فعله هو أن لصق الحجاب فى غطاء الحلة بقليل من الشمع الذى يذوب فور ملامسته للبخار الساخن..

كان عبقريا..

وغاليا..

والكل يتحدثون عنه وعن معجزاته..

إلى الآن هو لم يفشل قط، إذ أن ذكاءه دوما يتفوق على أى موقف قد يحدث له، وحتى الحكومة صارت تتجنبه خوفا من أسطورته.. ربما كان من الحكمة أن يتركوه ليتلهي به العامة رغم كل شيء!

نعم.. لا تتعجب من الكلام، فأسطورته تتعاظم حتى أن هناك من يصدق أنه ليس إنسانا.. يقولون أن ملكا من ملوك الجان يتلبسه، وهناك من تمادوا وادعوا أنه نفسه ملك عظيم من ملوك الجان فى صورة إنسان!

كل شيء كان يسير على ما يرام، إلي أن جاء ذلك اليوم حيث كان بداية التغيير لكل شيء..

في ذلك اليوم طلب خادمه الشاب الخبيث (عبد السلام) الإذن لرجل يريد الدخول عليه لأمر هام.. ومعه شيء ما!

اعتدل فى جلسته وأشار له بالسماح والدخول..

لحظات مرت قبل أن يدخل ذلك الزبون.. كان ضئيلا مذعورا يحمل بين لديه لفافة ما رفض أن يفصح عنها سوى للنصاب بنفسه وتحت أى سعر يطلبه!

مرتجفا جلس الضئيل أمامه، وأخذ يتلفت حوله فى توجس قلق.. من الواضح أن هذه زيارته الأولى لمثل هذه الأماكن.. يبدو أيضا أنه غير معتاد على هذا الجو المخيف وكل هذا البخور والأضواء المظلمة!

بعد لحظات من الصمت تأمله فيه الساحر ليقيمه ويرى — كالمعتاد — ما أكبر مكسب يمكن أن يحصله منه.. ثم سأله الساحر النصاب بشىء من الفضول عن مبتغاه، وبدون كلام فتح الرجل الضئيل اللفافة..

وكان بداخلها..

رأس!

رأس مقطوعة لامرأة جذابة جميلة تبدو وكأنها نائمة..

اتسعت عينا النصاب فى دهشة.. لم يكن يشعر بالخوف قط، فقط كان الأمر غريبا بالنسبة له!

مرت لحظات مليئة بالتعجب، ثم أشار الساحر للرأس وسأل الضئيل عن قصتها وما المطلوب منه بالضبط.

كان وجه الرجل الضئيل يختلج ما بين الفينة والأخرى كأنما يسيطر على عضلات وجهه بالكاد.. وما كاد يسمع السؤال حتى أجهش بالبكاء وهو يهتز اهتزازا عنيفا.. هذا رجل وصل لمرحلة عنيفة من الإرهاق النفسي والجسدي.. احترقت أعصابه حتى لم يعد بإمكانه تحمل المزيد!

تركه النصاب يفرغ توتره للحظات والفضول يتعاظم داخله.. نوعا ما كان يشعر بالاستمتاع بهذا كله!

وسط نهنهاته تكلم الضئيل..

قال أنه قتل زوجته الحسناء..

ذبحها، ثم دفنها بعد أن وجدها تخونه..

تخونه فى فراشه!

والأسوأ أن هرب الخائن قبل أن يطوله أو حتى يراه ويتعرف هويته..

قتلها ذبحا ودفنها أمام المنزل منذ ثلاثة وأربعين يوما!

نظر الساحر للرأس فى دهشة حقيقية، حتى أن عينيه اتسعتا وارتفع حاجباه.. ثلاثة وأربعون يوما! الرأس تبدو وكأنها ستفتح عينيها وتكلمه حالا! كيف يمكن أن تكون هذه رأس مقطوعة منذ ثلاثة وأربعين يوما؟

هذا غير ممكن.. إما أن هذا الرجل يهذى، أو.. لا يجد تفسيرا آخرا!

أكمل الضئيل بصراحة نبعت عن انهياره:

- قتلتها.. ثم حملت جثتها ودفنتها خلف المنزل، فهى رغم نجاستها القذرة مازالت زوجتى.. تستحق أن تدفن فى مكان ما، ولولا ذلك لكنت رميت لحمها للكلاب.. وليتني رميت لحمها للكلاب!

ثم سارت حياتى عادية أمام الناس.. وكى يكون الأمر محكما أبلغت الشرطة عن هروبها من المنزل.. كانت مدفونة فى مكان لا يمكن الوصول إليه بحال.. كنت غاضبا وأعرف كيف آخذ حقى من الخائنة، وأعرف أن الخيانة لا جزاء لها سوي الموت!

وظللت أخرج وأدخل بيتى دون أى تأنيب ضمير..

ربما كنت أحيانا أشعر بالاشتياق لها لأنى..

كنت أحبها..

كانت هى كل ما تمنيته من الدنيا..

حتى وهى لم تنجب أطفالا كنت أحبها..

لا أعرف لماذا خانتنى هذه الحمقاء!

وفي ليلة سوداء،دخلت لمنزلي بعد العمل.. كان أصدقائي قد طلبوا مني السهر قليلا لكنى رفضت.. يريدون أن أنسى أمر زوجتى المفقودة وأنا لا أريد المكوث مع أحد مؤقتا.. ربما تحدثت مع أحدهم بعد سيجارة حشيش أو ماشابه فأثرثر بما لا ينبغى علي أن أقوله..

دخلت للمنزل بعد غروب الشمس.. خلعت ملابسي لأن الجو كان حارا، وتوضأت لأصلى العشاء حين سمعت صوتا خافتا يأتى من

حجرة النوم.. اعتقدت أنه فأر أو قطة أو أى حيوان من الحيوانات التى تحوم حول المكان طوال الوقت.. تناولت عصا غليظة واتجهت لغرفتى.. ما أن أضأت النور حتى..

كتمت صراخى بيدى..

وجدت هذه الرأس المقطوعة أمامى على السرير..

ثابتة..

تنظر نحوى بعينين متسعتين..

عينان تحملان شرا..

عينان ميتتان يا شيخنا.. ميتتان!

صمت الضئيل للحظات يستجمع شتات نفسه، قبل أن يردف:

- حدث ذلك منذ ثلاثة أيام،أى بعد أربعين يوما من موتها ودفنها.. أصابنى الرعب.. ربما اكتشف أحد جريمتى ويعبث معى؟

لكن.. الرأس تكاد تكون نابضة بالحياة.. أنا لم أر رأسا مقطوعة وعيناها تحملان كل هذا القدر من الحيوية.. من الاتساع!

على الفور حاولت التخلص من الرأس بعدة طرق وبكل الطرق الممكنة.. ألقيتها فى المصرف القريب بعدما وضعتها فى جوال مع بعض الأحجار، وعندما عدت للمنزل وجدتها على الوسادة تنظر لي بكراهية ومقت!

أعلم أن هناك شيء شيطانى غريب.. ولكن ربما كنت أتوهم.. أنا..

(لاحظ النصاب أنه كان يتلعثم هنا.. لابد أن هذا الرجل لديه ما يخفيه.. لابد أن لديه شيء يريد ألا يفصح عنه!)

ويكمل الضئيل:

- أخذتها.. تحسست جلدها فوجدته طريا.. فقررت أن ألقيها على كوم قمامة ليعثر عليها جامعوا القمامة ويبلغون عنها.. أنا بعيد عن الشبهات، لكنى عدت فوجدتها فى مكانها!

أصابنى الجنون والرعب، لا لابد أن أتخلص منها.. أخذتها وألقيتها أمام الكلاب لتفترسها وأتخلص من شرها، لكن الكلاب فرت منها مذعورة..

تركتها وعدت.. أعرف أنى سأجدها على الوسادة مرة أخرى!

دائما أعود لأجدها أمامى على السرير!

وبنفس المنظر المرعب..

لم أعد أستطيع النوم فى المنزل ولا خارجه..

الخوف يقتلنى..

سيدي، أنا متأكد أن هناك شيء شيطاني يحدث.. أرجوك خلصنى منها!

انتهى الرجل الضئيل من كلامه منتظرا تعليق الساحر.. وكما أسلفت لم يكن النصاب يصدق فى شىء من ذلك.. دوما ما يجد تفسيرا عقلانيا واضحا لكل شيء، لكن هذه المرة أثار الموضوع فضوله لدرجة كبيرة، ربما لأنه لم يقابل شيئا مثل هذه الحالة من قبل..

بعد لحظات تفكير قال للضئيل أن موضوعه صعب.. هناك جان يترصدون به ويعبثون به.. وهناك من يريد الانتقام منه، والموضوع رغم صعوبته إلا أنه قابل للحل ولكن.. هناك أشياء يجب إحضارها من المغرب.. بخور معين وأدوات محددة لكى تصرف هذا الجان الشرير.. وطبعا هذا سيكلفه الكثير من المال وإلا فإنهم سيسحبونه تحت الأرض ويذيقونه من العذاب ألوانا حتى يموت جوعا وعطشا وألما!

وفى نهاية حديثه طلب منه مبلغا محترما وسوف يخلصه من هذا العمل الخبيث والجان الشرير لأن قبيلة كاملة من الشياطين تريد إيذائه! فقط فليترك الرأس وهو سيتصرف..

تلاحظ أنه يستخدم كل أنواع الترهيب من أجل الحصول علي المال هنا أليس كذلك؟ حتى ولو لم يكن كلامه منطقيا أو مترابطا!

المهم.. دفع الضئيل كل ما معه على أن يعود بالمزيد غدا.. تقبل النصاب النقود فى امتعاض، وأشار له بالخروج..

وصار وحده مع الرأس!

* * * * * *

عندما انفرد بنفسه مع الرأس كان يظن الموضوع بسيطا.. فقط سيأخذها ويحرقها ثم ينتهى الأمر.. كل هذا التخريف والهلاوس التى سمعها من الضئيل ستنتهى.. الأقرب للواقع أنه قتلها منذ فترة قريبة والضغط العصبى جعله يتخيل كل هذه الأحداث المرعبة..

بالتأكيد هذا ما حدث!

مد يديه ليمسك الرأس ويرفعها إليه، وأخذ ينظر لها فى تحسر على جمالها الضائع فى الموت..

كم كانت حسناء..

لكن..

كيف لم تتعفن وتبدو نضرة وطرية هكذا؟

لم يكن يخاف.. وربما لم يكن يشمئز كذلك، لذلك ظل ينظر للرأس بضع لحظات.. مر فى ذهنه أن يظفر منها بقبلة قبل أن يحرقها لكنه سرعان ما طرح الفكرة جانبا لغرابتها وشذوذها.. مهما كان عديم المشاعر فلن يسلك مثل هذا المسلك على الإطلاق!

وبينما هو ينظر للرأس متأملا، وقبل أن ينهض من مكانه، فجأة فتح الرأس عينيه وفمه وأطلق صرخة عالية..

* * * * * *

عندما أطلقت الرأس صرختها المدوية ألقاها الساحر النصاب وهو يصرخ فى رعب وجسده ينتفض من الفزع.. ماهذا؟

وقعت الـرأس على الأرض بصوت مكتوم وخيم السكون على المكان إلا من لهاث الرجل المذعور..

ثم..

ثم تحركت الرأس!

حركة بسيطة لكنها ملحوظة و..

واعتدلت على الأرض لتنظر للساحر مباشرة!

هذه المرة لم يعد للتعقل مكان.. فليهرب من هنا أولا ثم يبحث عن تفسير معقول فيما بعد! حاول أن ينهض من مكانه ليهرب لكن اختفت الموجودات من حوله بغتة وساد الظلام!

ظلام بكر خانق كأنما هو فى بطن حوت يونس!

مع الرعب المسيطر اختلت حواسه.. شعر كأنما الأرض تميد بيه ويكاد يقع.. فقد شعوره بالاتجاهات فى لحظة حتى ظن أنه قد أصيب بالعمى!

وقف فى مكانه مرتجفا يستجمع شتات نفسه.. لا صوت إلا صوت لهاثه المتعالى أكثر فأكثر..

وببطء، ومن كل مكان بدأ يرتفع صوت دمدمة!

لا ليس من كل مكان..

الصوت يأتى من خلفه..

الصوت قادم من خلف رأسه مباشرة..

هو لا يفهم معنى الدمدمات، لكنه يكاد يشعر بالهواء الخارج من فم من يدمدم خلفه وهو يرتطم بشعيرات عنقع الخلفية وتسبب له قشعريرة مؤلمة!

التفت خلفه ببطء ليجد.. الرأس تحق فى الهواء وهى تهمس بكلمات صارت واضحة فجأة:

– دم..

دم..

أريد دما..

أحضر لى الدم وإلا أنت ستصير دمى..

جملة عجيبة غريبة لم يفهم معناها تماما، لكنه أومأ برأسه إيجابا فى فزع، وما أن فعلها حتى عادت الموجودات للظهور من حوله بضوئها الخانق ودخان البخور الكثيف..

كان فى حالة يرثى لها.. تدفق الأدرينالين فى دمه بلغ ذروته، ومع ذلك يشعر كمن يوشك على فقدان الوعى!

أمامه، وفى الهواء مازالت الرأس تحلق.. عيناها الناريتان تحدق فيه بقسوة.. الفزع يتملك منه..

فجأة صرخت الرأس:

- دم..

صاح الساحر فى فزع وبدون تفكير:

- حـاضـر.. حـاضـر.. يـا (عــبــدالــســلاااااام).. يا (عبدالسلاااااااااام)..

هكذا نادى على مساعده الخبيث بأعلى صوته، وعلى الفور أتاه مهرولا.. حينها استدارت الرأس وتوارت فى قلب الموجودات المتناثرة فى حجرة الساحر، على حين دخل المسكين الحجرة و..

انقض عليه النصاب بتمثال ثقيل على أم رأسه! الحق يقال أن النصاب لم يكن يفكر بوضوح.. أو لم يكن يفكر أصلا! خوفه تحكم

فيه؛ فقتل مساعده من فرط ذعره!

وكأنما يفرغ فيه طاقة الفزع والتوتر انهال عليه بضربة هائلة..

ضربة أخرى..

وثالثة..

ورابعة..

من خلفه أتته الرأس الوحشية تهمس:

- دم.. دم..

وانخفضت ببطء نحو الجثة وبدأت تشرب مما يسيل منها من دماء!

* * * * * *

عندما انتهت الرأس مما تفعله ظهر تحتها طيف خفيف لجسد امرأة ناضجة!

جسد شبحى شفاف مخيف!

انتهت من الشرب والامتصاص ثم اعتدلت وقالت بصوت خف بحته (لم ينتبه إلى هذه البحة غير الآن عندما سمع صوتها الجديد) وظهرت نبراته واضحة:

- المزيد ولك القوة.. المزيد ولك الحياة.. اهرب ولك الموت!

ارتجف الساحر الذى كان يخطط للهرب بالفعل فور انتهاء هذا الموقف أو فور اكتشافه ثغرة للهرب.. هذا عمل شيطانى خارق لم ير مثله أبدا، وهو لا يعرف ما بإمكانها فعله.. الآن هو يصدق الضئيل المأفون،

وكان من الذكاء بحيث لا يتخذ موقفا أحمقا غير مدروس العواقب!
لكن..
لا يعرف ماذا يفعل الآن؟!
أيكمل عمليات القتل ويصير سفاحا؟
لقد سفك دما..
سفك دما حراما..
كان يعرف أنه نصاب لكنه كان ينوى التوبة فى وقت ما.. لكن الآن ربما انتهى كل شىء ولا عودة!
أشار للجثة مرتجفا وقال:
- وهذه؟
لمح شبح ابتسامة على شفتى الرأس التى أشارت للجثة بيد شبحية فـ.. الحقيقة أنه يصعب وصف ما حدث بدقة!
على ما يبدو أن هناك أيادٍ سوداء مخلبية ظهرت من تحت الأرض وجذبت الجثة لما تحت البلاط وكأنها ليست جسدا ماديا أصلا..
واختفت..
دون أدنى أثر!
كان هذا المشهد كفيلا بالقضاء على بقية مقاومته..
هو لن يهرب ولن يقاوم..
هو سيستكمل ما بدأه..
هذا الكيان لن يعجزه شىء ولابد أنه سيصل إليه فى كل مكان..

الحقيقة أنه كان على وشك البكاء لولا بقية من كرامة وربطة جأش وحياء يبقيان على تماسكه!

همست الرأس بنبرة تحمل مزيجا من القوة والدلال معا:

- دم يساوى حياة.. أو موت!

نعيم دائم وحياة مرفهة، أو عذاب دائم تحت الأرض..

اختيارك..

وأينما كنت سأجدك!

قالتها واتجهت لركن مظلم وأغلقت جفنيها وهدأت.

ارتجف جسده كما لم يرتجف طوال حياته..

لا مفر..

لا مفر..

* * * * * *

ظل الساحر فى الحجرة مذهولا غير قادر على أن يبارحها لا يدرى كم من الوقت.. ربما ساعة أو يوما.. الذهول كان يكتنفه تماما كما لو كان منوما مغناطيسيا! صورة الفتى المقتول وهو ينجذب تحت الأرض لا تفارق مخيلته، وعقله يبحث بجنون عن مخرج بلا فائدة!

ظل على هذا الحال حتى جاءته زبونة.. امرأة عجوز تريد أن تصنع حجابا لابنتها التى لا تنجب وتظن أن هناك من صنع لها سحرا وربط عليها عفريتا.. شىء من هذا القبيل لا يذكره تحديدا لأنه كان فى واد آخر..

هذا دم طازج ينبغى أن يراق اليوم!

ربما لن تواجهه مشكلة حقيقية لأن غالبية من يأتون إليه يأتون فى الخفاء دون إخبار أى أحد، وبالتالى لن يسأل عليها أحد.. وحتى لو سأل عليها أحد، فسيقول أنها ذهبت بعدما قضت مصلحتها! رغم أنفه استغرق فى المستنقع ولا فكاك!

أجلسها أمامه ثم استحضر أكبر كم ممكن من الخرافات المخيفة التى ستمكنه من السيطرة عليها.. أقنعها أن هناك جن كافر يحوم حول الفتاة المسكينة، ويستعين بقبائل من الجن يعينونه بسبب ساحر يكرهها ويريد له الشر بسبب قريبتها اللعينة، وأنه يمكنه التعامل معه من خلال الأم الآن لأنهما مربوطتان معا.. طبعا فرحت الأم المسكينة بالعرض ووافقت على فعل أى شىء من أجل ابنتها..

أمرها الساحر أن تستلقى على ظهرها ولا تتحرك، ثم قيد يديها وقدميها بشكل بسيط.. هى عجوز واهنة على كل حال ولن تقاومه؛ لكنه قيدها من باب الاحتياط لا أكثر.. أخذ يتمتم بكلام فارغ، أو ربما كان يدندن أغنية ما جاءت من خلفية ذهوله البالغ! فعل ذلك ثم طلب منها عدم الحركة أو الكلام أو فتح عينيها لأى سبب.. تركها لحظات بحث فيها عن سكين.. وعندما وجده وعاد لها وجد الأمر صعبا!

لذلك وقف أمامها مترددا.. أنفاسه صارت ثقيلة للغاية، فمهما كانت الذنوب التى فعلها لم يكن منها القتل العمد!

حتى قتله لمساعده لم يكن عمدا تماما!

ولكي يحث نفسه على الانتهاء سريعا مرر السكين على عنقها بغتة وبأقصى سرعة ممكنة! ليباغت نفسه قبل أن يباغتها، فانفجر الدم خارجا من العنق المبتور غدرا!

ذبحها..

أخذت الدهشة السيدة المسكينة مع آلام الجرح.. حاولت الكلام أو الحركة فصدر منها صوت الغرغرة! كانت تتغرغر بالدماء وتحاول الحركة بوهن إلى أن همدت تماما وفارقت الحياة..

كان يشعر بالألم يكتسح معدته وعصارته ترغب فى الخروج بأى شكل.. ما يحدث له فوق قدرته على التحمل!

وببقايا قوة نظر نحو الرأس صاحبة الجسد الشفاف أن: هاهو.. دم!

لكن الرأس لم تتحرك!

مازالت صامتة ساكنة!

شعر بالذعر ممزوجا بعدم الفهم؛ لذلك صاح بعصبية أن:

- ها هى الجثة لماذا لا تشربين دماءها؟

ما زالت صامتة!

الذعر يضرب قلبه بعنف والخوف يعتصره بجنون.. سار نحو الرأس الجميل بخطوات مرتجفة..

يرجوها..

يتوسل إليها أن تأخذ الجثة بعيدا قبل أن يأتى أحد..
يقول أن الدم طازج مازال يقطر..
اللعنة، ماذا يحدث؟

خطر له أن يحمل الرأس ويقترب من الجثة بها، إذ أن جسدها مازال شفافا بلا حدود واضحة، وربما بإمكانه التعامل معها.. هكذا مد أصابعا مرتجفة إلى جانبى الرأس ورفعها ببطء..

فجأة انزلقت من بين يديه ونظرت له بعينين تحملان غضبا هائلا.. عينا ذئب قطبى مضيئتان فى وقت الافتراس، فانتفض وسقط على الأرض ولم يتحمل التوتر والخوف هذه المرة فأفرغ ما بمعدته.. وسمعها تتكلم بصوت يحمل غضب الدنيا كلها تأمره ألا يمسها مرة أخرى قط!

وأمام عينيه نهضت وسار الجسد الشبحى نحو جثة المرأة العجوز.. انحنى الرأس وأخذ يمتص الدماء بصوت مقزز للغاية:

- سلورب سلورب سلورب..

أشاح بوجهه عن المشهد الفظيع للحظات ثم غلبه فضوله فعاد ينظر لها من طرف خفى ليرى جسدا شبه مكتمل مازال يحمل قدرا من الشفافية لفتاة رائعة الأنوثة يعلوه الرأس المتورد..

بعدما انتهت اعتدلت وقالت له بصوت جميل يحمل قدرا كبيرا من الإغراء والدلال والقسوة فى مزيج رهيب:

- دم.. مرة واحدة أخرى وكفى..

ثم تركته وسارت نحو الركن المفضل لها بدلال وجلست فى الظلام تقرقر فى رضا كقط صغير، أو كأنثى الأسد!

لحظات صمت قبل أن تنشق الأرضية وامتدت الأيادى المخلبية السوداء مرة أخرى تجتذب الجسد المسجى للمرأة العجوز لما تحت الأرض..

هنا - ولأول مرة فى حياته - ترك عينيه تنزلقان نحو الظلام وفقد وعيه.

* * * * * *

مر يوم كامل لم يدخل أحد عرين الساحر، وكان ذلك برغبته الخاصة.. الحق يقال أن مريديه جاءوا كى يطلبوا منه خدمات، لكنه كان يسمع طرقاتهم على الباب ولا يرد..

كان بانتظار ذلك الضئيل المخادع الكاذب فقط! ألف احتمال دار بخلده.. ربما كان كاذبا..

ربما كان يخفى الحقائق..

ربما كان الأمر كله خدعة من ساحر منافس يريد الخلاص منه..

على كل حال سيفهم كل شىء اليوم!

ظل بانتظاره لا يفعل شيئا، حتى إذا جاء وفهم منه فسيقتله!

سيكون هو الضحية الثالثة والأخيرة حتى لو كان مظلوما! فرغم كل شىء هو السبب فيما هو فيه الآن..

وفى المساء جاء الضئيل يطرق الباب فى وهن ويطلب الإذن

للدخول.. عرف الساحر صوته على الفور فضغط أحد أزراره التى تفتح الباب من بعيد.. لم يكن يستعرض هذه المرة لكنه كان من الإرهاق بحيث لا يرغب حتى فى النهوض من مكانه ويدخر بقية قوته ليتخلص من هذا الرجل! فلو لاحظت طيلة الفترة السابقة لم يأكل أو يشرب إلا بضع قطرات من المياه فحسب!

جلس الزوج الضئيل أمام الساحر مرتعشا ومد يديه بظرف ملىء بالمال وهو يسأله:

- هل.. هل انتهى كل شىء يا مولانا؟

كان الساحر لم ينم ليلتها كما قلنا ويبدو عليه آثار التعب بشكل مخيف مما أورثه شكلا مرعبا، ولكنه ابتسم وقال:

- أنت كاذب!

انتفض النحيل وتحشرج صوته محاولا التكلم، لكن الساحر أوقفه بإشارة حازمة من إصبعه، ثم ضغط زرا آخرا خفية فانهال عليه تراب عطن الرائحة من السقف، فهب الضئيل من مكانه فى ذعر يكاد يهرب لولا أن تغيرت الأضواء حوله وأتته الصيحة الهادرة أن توقف!

استدار مرتجفا واستجاب لإشارة يد الساحر وهو يأمره بالعودة والجلوس حيث كان، ثم — بصوت حمل كل غضبه وتوتره وكراهيته — أمره أن يحكى ما حدث بالفعل..

وبلا كذب أو إخفاء للحقائق..

* * * * * *

قال الضئيل بصوت يحمل مزيجا من الخوف والندم.. صوت مرتجف لا تكاد ننضح نبراته، ومع ذلك فقد استطاع الساحر فهمه:

- يا شيخ.. كانت زوجتى تؤمن بالأعمال السفلية والسحر وتقرأ أحيانا فى كتب قديمة.. كنت أعلم ذلك حتى من قبل أن أتزوجها حيث أن أمها كانت تعمل (الأعمال) ومشهورة بذلك ثم تابت.. كانت امرأة مشهورة ويذهب إليها الناس من كل مكان وتفعل الأعاجيب بمساعدة ابنتها.. وابنتها هذه لم نرها معها من قبل، إذ أننا لم نر حملها ولا نعرف زوجها، لكننا كنا نصدقها! قالت هى ابنتها، إذن فهى ابنتها!

وعندما تابت اعتقدت أن بتوبتها تابت ابنتها خاصة عندما سمعت أنهما ذهبتا للحج منذ عدة أعوام..

حتى رأيتها ذات يوم فى الحقل تسير وينبعث منها عطر أطار عقلى.. وقتها أدركت أنى أريدها وأرغب فيها بشدة، ولمحتها تبتسم لى وتضحك.. علامة القبول! لا أعرف كيف أحببتها مع أنى كنت على وشك الزوج من ابنة عمى التى صرت لا أطيقها فجأة! فسخت الخطبة وأنهيت الارتباط وتركت لهم الذهب، ثم تقدمت لخطبة هذه الفتاة رغم اعتراض كل الناس، لكنى لم أهتم.. كانت فتاة جميلة جدا ويرغب فيها الكل.. كثيرا ما كنا نراها تسير بجسدها الممشوق وقوامها الرائع، فكيف أترك كنزا مثل هذا يضيع من يدى خاصة وأنى رأيت علامات القبول؟

أيامها اعتقدت أن من ينصحنى إنما هو يرغب فيها لنفسه فقط، أو حتى ربما لا يرغب أن يحصل على هذه الفتاة أحد على الإطلاق..

لكنى لم أكن مرتاحا تماما..

ومع ذلك أكملت خطوات زواجى منها بخطى ثابتة واثقة!

وأتممت الزواج رغما عن أنف الجميع وأولهم أمى وأهلى الذين قاطعونى..

سمعتهم يقولون أنها سحرت لى لكنى لم أهتم.. تزوجتها وصارت حياتى سعيدة!

بعد الزواج بفترة رأيتها تفعل شيئا غريبا يا مولانا.. كنت أسير بعد العصر وحدى بالقرب من المنزل (ومنزلى يقع بالقرب من الترعة) فرأيتها تتحنى نحو الماء وتفعل شيئا! اقتربت منها بحذر لأجدها تكتب على جلد سمك (القرموط) الحى وتلقيه فى الماء!

شعرت بالغضب والخديعة.. لكنى لم أتحدث معها أو أعاتبها ولا أعرف السبب!

شىء ما منعنى أن أعترض!

على كل حال قررت إرجاء الأمر لوقت لاحق.. لكن الأمر لم ينته عند هذا الحد بل بدأ يزيد أكثر وأكثر..

كثيرا ما كنت أراها تتمشى فى الحقول بدلال وقت العصارى ترمق صاعدى النخل.. ثم تعطى لفافات غامضة لأحدهم وتأمره أن يبقيها فى الأعلى كى تأكله الطيور! ورغم عدم منطقية الطلب إلا أنها

لم تجد معارضة على الإطلاق من أى فرد منهم!

وما زاد الأمر سوءا أنها كانت تحرص كل الحرص على حضور تغسيل الموتى والميتات إن أمكن.. وأعلم يقينا – كما يعلم الجميع- أنها تدس أشياءا فى فمهن، ولا أحد يستطيع الاعتراض كأنما تملك قوى خارقة تمنع الناس من الاعتراض!

ظللت صامتا..

بداخلى صراع لكن حياتى رائعة..

كانت تذيقنى الحب ألوانا وتذيقنى الخير شهيا طازجا كما ينبغى، وهذا ما يدفعنى للصمت..

كنت أقول لنفسى أن..

ربما كان من الخير أن أدعها تفعل ما تفعله مادمت سعيدا!

ولكن..

فى هذا اليوم أحضرت عشاءا شهيا.. ربما كان سمكا مقليا ودخلت المنزل بهدوء كى أفاجئها و..

سمعت تأوها!

تأوه أعرفه جيدا!

تأوه العلاقة المحرمة ممزوجا بألم المتعة وصراخ الفراش تحت من يتحركون فوقه!

فى لحظة استشطت غضبا وأعمانى عن كل شىء إلا أمر واحد..

سأقتلها!

دلفت إلي حجرتى لأراها ممددة عارية وهناك ظل فوقها وهى..

عارية..

عارية!

عارية تمارس المتعة مع ظل!

دخان..

نار خفيفة لا أفهم ما كنه هذا الظل بالضبط..

أعلم انه جنى أو شيطان ولكنها خيانة..

أيا من كان فقد خانتنى معه فهى خيانة ويجب أن يموتا، ولا جزاء للخيانة سوى القتل!

لم أتمالك نفسى، وعلى الفور دون أن ينتبها لوجودى جريت بخفة إلى المطبخ وانتقيت أكبر سكين ممكنة واقتحمت الحجرة وانهلت عليهما..

عبرت يدى الجسد الأعلى وكأنه هواء لتنغرس فى صدرها.. رفعت يدى وانهلت عليها مرة بعد مرة، بينما يعتدل الظل بهدوء ويتلاشى..

ثم ذبحتها!

لم أشعر بالخوف أبدا بل بالغضب..

غمرتها بالطعنات قبل أن أقطع رأسها قطعا داعشيا بلا رحمة..

انتهيت..

لكن مازال فوران الغضب يغلى بداخلي..

لم أنته بعد..

لم أهدأ!

خرجت من المنزل أفكر كيف سأتخلص من الجثة.. أخذت أفكر وأنا أنظر للأرض الخالية خلف المنزل وحولها سور خشبى متداع، كانت هذه الأرض مخصصة لتخزين الروث والسماد العضوى، وحفرت هناك قبرها..

ثم عدت للمنزل ولففتها بالملاءة وحملتها ليلا، وألقيتها فيه وأهلت عليها الروث والتراب.. هنا مكان يليق بها تلك الفاجرة العاهرة!

وبعد ذلك ولمدة أربعين يوما ظلت الرأس فى قبرها مع جسدها قبل أن تظهر رأسها لى مرة أخرى..

هذا ما حدث والباقى أنت تعرفه!

* * * * * *

تراجع النصاب والخوف يكاد يشله..

الأمر لم يكن متوقعا على الإطلاق، وما سمعه ومرآه مؤخرا ضرب كل اعتقاداته فى الصميم.

لكن لا تراجع الآن..

لا تراجع ويجب على هذا الأحمق أن يموت..

لو لم يمت على قتله لزوجته فيجب أن يموت لإصراره على الزواج منها فى المقام الأول!

هكذا قال لنفسه قبل أن يبدأ فى تنفيذ ما انتواه!

لـن يكـون الأمـر صعب ببعض الـخـداع لـهذه العقلية القروية البسيطة.. أخبر الضئيل - مثلما أخبر المرأة المسنة - أن عليه جن يرصده ولا يرغب فى تركه.. هذا الجن يحرك الرأس ويخيفه، وسوف يخرجه منه بسهولة الآن إذا تعاون وإلا..

سيجذبه تحت الأرض ويذيقه العذاب!

(لم يكن لديه البال الرائق لاختراع كذبة جديدة ورأى أن هذه صالحة جدا ومفيدة، وهذا ما حدث).

فقط عليه أن يقيده ويقرأ عليه بعض الطلاسم وسينتهى كل شىء..

بالفعل جعل الضئيل يتمدد على الأرضية وأوثقه جيدا كأقوى ما يستطيع حتى أنه آلمه بشدة.. لكنه لم يهتم!

انتهى ونهض واقفا ثم نادى:

- دم.. دم طازج جديد..

نظر له الزوج الضئيل بعدم فهم على حين بدأت الرأس صاحبة الجسد العارى تخرج ببطء من مكمنها..

كان منظرها مخيفا وهى تخرج من قلب الظلام وتحتها الجسد الشفاف يتلوى فى غنج ودلال..

اتسعت عينا الضئيل وجحظتا فى هلع وأخذ يصرخ وهو يتلوى ويقول كلاما غير مفهوم ولا مترابط.. لقد نطقه تقريبا من الفزع.. تلاحقت أنفاسه وتسارعت ضربات قلبه حتى أنك يمكنك ملاحظتها

لو دققت النظر لصدره!

تقدمت زوجته نحوه ووقفت جوار رأسه تنظر لها بمقت وشماتة، لم ينتظر الساحر ومال الساحر على عنقه بالسكين وجره مرة واحدة..

انفجر الدم غزيرا، على حين جثمت الفتاة الشفافة فوقه وانحنت تشرب من دمائه بنهم..

بدأ جسدها يتكون ويتضح رويدا رويدا بشكل كامل.. ومن تحتها تنتهى الحياة من الضئيل وتنسحب ببطء إلى أن فارق بريق الحياة عينيه وتغير لونهما للأبد..

بعد دقائق نهضت من فوقه تاركة إياه جثة فارغة من الدماء.. وعلى حين امتدت الأيادى المخلبية تشد الجثة لما تحت الأرض، سارت الفتاة المتوردة العارية بجسد يفور صحة وجمالا ونضارة نحو الساحر ومدت كفيها تحيط رأسه برقة و..

قبلته!

قبلة طويلة دافئة تصرخ بالأنوثة وفوران النشوة وهى تعتصر شفتيه بشكل أثار جنونه! وعلى الرغم من أن فمها ملوث بالدم إلا أنه شعر وكأنما قضم ثمرة فراولة شهية المذاق..

شعر بما لم يشعر به من قبل.. جسده يتراخى وهى تداعب عنقه بشفتيها وتهمس فى أذنه بحبها..

ثم داعبت شحمة أذنه بشفتيها وهمست:

إنها ستتزوجه..

إنه سيكون خادمها ويحضر لها الدم كل أسبوع..

إنه ستكون خادمته تحقق له كل شىء..

ستكون خادمته وسيدته..

عبدته ومعبودته..

للأبد!

دون إرادة منه أومأ برأسه وقلبه يقطر نارا تحرق جوفه..

لايريد شيئا من ذلك..

يريد أن يترك كل شىء ويرحل..

يريد أن تتركه وشأنه فقط..

ولكن..

أمرته بالاستعداد للزواج..

وهذا ما حدث!

* * * * * *

بعد أسبوعين تقريبا كانت القرية كلها تتحدث عن زواج الساحر من فتاة بارعة الجمال لم ير أحدهم مثلها قط..

جميلة الملامح واسعة العينين حادة النظرات..

هناك من يقول أنها جنية فى صورة بشر (وهم من قالوا قديما أنه ملك من ملوك الجان فى صورة بشر!)، وهناك من يقول أنها ساحرة قوية وقررا أن يجمعا شملهما معا، وهناك من يقول أنها النداهة التى تخطف قلوب وعقول الرجال ليلا ثم تلتهمهم، ودليلهم على ذلك أن

نظراتها كانت تذيب القلوب..

تزوج النداهة نفسها؟

أمر غريب لكن البسطاء يصدقون كل شىء!

وتم الزواج!

* * * * * *

كان أهل القرية يعرفون أن مدة الزفاف ومايليه شهر كامل.. ممنوع على أحد أن يرى الساحر أو يقابله إلا بعد شهر.. ورغم ذلك فقد تحدث الجميع عن غرائب عديدة حدثت..

منهم من يقسم أنهم رأوه يطير مع زوجته عائدا للمنزل ليلا.. ومنهم من يقسم أنهم رأوهما يسيران على الماء ليلا.. ربما كان كل ذلك من باب التخريف أو تهيؤات العامة بلا شك، ولكن بعد شهر قررت إحدى النسوة أن تذهب إليه، وكان جميع من بالقرية بانتظار النتيجة.. هل سيلبى الساحر طلبها أم أنها ستعود خائبة؟

رآها من رآها داخلة وكره، ولم يرها أحد مرة أخرى أبدا! اختفت بلا رجعة.. طبعا – كما لنا أن نتخيل - فالفتاة طلبت الدم وانتهى أمر السيدة بلا أثر!

عائلة المرأة ثارت وأقامت الدنيا ولم تقعدها.. بحثوا عنها فى كل مكان لكن لم يجرؤ أحدهم على اتهام الساحر! لا يمكن أن يكون الساحر أصلا لأنه – كما اعتادوا- لا يؤذى وإنما يحل المواقف فقط.. لا يمكن أن يكون هو..

لكن لم تتوقف الأمور خاصة وأن الزائرين توافدوا تباعا ولم تحدث لأى منهم مشاكل، غير بعد أسبوع عندما اختفت امرأة أربعينية!

والغريب أن آخر مرة شاهدها أحد كان بالقرب من بيت الساحر!

الشكوك تتزايد خاصة بعد زواج الساحر..

ليس الأمر متعلق به وإنما بزوجته التى يخافها الجميع، ومع ذلك ساد الصمت والهدوء وإن قل ذهاب الناس له.. الخوف يغشى صدورهم، والكل موقن أن هناك شىء مخيف شيطانى يحدث..

أما الساحر، فقد رأى من العجب مالم يتخيل وجوده..

رأى الجحيم بعينيه عندما شاهد زوجته تذبح كل ضحية وتسجد فى الظلام لجسد شيطانى يتجسد من العدم! جسد يحمل قرنى ثور أو ماعز، وله جسد رجل مفتول العضلات وحوافر حيوانية!

تترنم بما لايفهمه، ربما سمع (أبى) منها؟

شيطان كما ينبغى أن يكون..

شيطان كما سمع وصفه من أفواه العجائز!

شيطان كما تخيله كل من رسموا الشياطين!

كانت زوجته لاتقرب الجثث ولم تعد تشرب الدماء، إنما تدع زوجها يوثق الضحية كالمعتاد قبل أن تأتى حاملة سكينها القصير وتتمتم بما لا يعرفه، ثم تذبح الضحية بشكل غريب.. كانت تولج السكين فى العنق عموديا وكأنما تغرسه فى صدره تاركة الدماء تنساب على الأرض التى تتشربها فورا، وما يلبث هذا الكيان الشيطانى أن يظهر

فتسجد له فورا!

وعلى حين تمتد الأيادى المخلبية لتجتذب الجسد الميت، تطارح زوجته ظلا ما أمام الجسد الشيطانى الغرام، وتمتزج آهاتها بخواره وزمجراته اللاهثة!

العجيب أن مشاعره لم تكن فيها غيرة! فقط توتر واشمئزاز والكثير من الخوف!

صحيح أنها تسعده وتريه العجب وتطعمه من الثمار مالم يتخيله، إلا أنه يكرهها ويخشاها ويتمنى الخلاص منها، لذلك لم يهتم فعلا بما تفعله!

وكأن عقله تجمد متابعا ما يحدث فقط كما نشاهد نحن التلفاز! المهم..

ظل الوضع على هذا الحال، وأهل القرية مقلون جدا فى زياراتهم.. وهذا الشيطان يطلب ضحيته كل شهر، لذلك قررت زوجته أن تخرج لتقتنص ضحيتها بنفسها، وأمرته أن يظل فى الوكر ولا يعود..

بعد فترة – ربما ساعتين – عادت بفتاة مليحة انقبض لها قلب الساحر.. كان يعرفها! إنها ابنة العمدة التى عالجها منذ فترة، وكانت تسير بالقرب من المكان حين تقربت إليها زوجته اللعينة بالكلام المعسول ووعدتها بحجاب يحقق لها كل أمنياتها!

أراد أن يعترض، لكنه لم يستطع..

فى الواقع أنه لم يتحرك من مكانه أصلا!

- انهض حتى تستعد الفتاة لحجابها..

هكذا قالت زوجته بلطف.. لكنه لم يرد! ظل متجمدا..

- انهض هيا.. لقد وعدت هذه الفتاة اللطيفة بهدية ولا تريد أن أخلف معها وعدى..

قالت الجملة الأخيرة وهى تنظر نحوه.. عيناها متسعتان يتبدى فيهما الغضب عارما، لكنه لم يتحرك.. مرأى الفتاة اللطيفة أمامه كسر داخله قيودا.. لا يمكن أن يقتل هذه البراءة والجمال.. لا يمكن أن يتركها فريسة لكائنات مظلمة..

لا يمكن..

لذلك رد بصوت مرتعش:

- ربما.. كان من الأفضل أن نتركها تذهب؟

اشتعلت عينا الزوجة بنيران الغضب الجنونى.. أيجروء على مخالفتها؟ وهمست من بين أسنانها:

- لكنى وعدتها.. أتريد أن تكسر قلبها!

أما الفتاة فقد شعرت بخطر.. بدأ الخوف يتسلل لقلبها الصغير وهى تنظر لهذه المناقشة المريبة، فبدأت تتراجع للخلف وهى تبحث بعينيها عن الباب.. رأتها الزوجة، فصرخت:

- لنا حساب لاحق.. أنت من فعلت هذا بنفسك!

قرنت كلامها بأن تناولت السكين القريبة وانقضت على الفتاة تريد الخلاص منها، وفى ركن الحجرة بدأ الدخان الشرير يتجسد..

الشيطان..

الشرير..

إنه يتابع بنفسه ما يحدث!

أطلقت الفتاة صراخا جنونيا من منظر السكين الذى يحمل الموت بين يدى المرأة المجنونة، ومنظر الشيطان المتجسد، فرفعت يدها تحمى نفسها حين شعرت بألم عنيف يجتاح ذراعها.. لقد انغرس فيه السكين بقوة!

ظلت تصرخ صراخا مذعورا عاتيا والمرأة تنزع السكين من يدها بقوة عاتية، وقد استحال جمالها الرائع لقبح مخيف.. رفعت السكين مرة أخرى لتنهال بالضربة القاضية حين أمسك بيدها الساحر مرتجفا..

نظرت نحوه بوحشية..

كانت ملامحها كلها تغيرت للأسوأ بما لا يقاس.. امرأة عجوز قبيحة شريرة مخيفة تحمل عيناها جنونا مطبقا!

وتريد الدم..

جذب يدها ليشعر بقوة خرافية تقاومه.. كأنما يجذب يد مصارع!

بيأس دفع الفتاة لتبتعد من هنا، وحاول مقاومتها، بالفعل انطلقت الفتاة تعدو فى سبيلها، بينما صرخت المرأة التى أمامه صراخا وحشيا غاضبا، وجذبته فى عنف لتطعنه مرة بعد مرة فى صدره..

شهق فى عنف..

الألم رهيب لا يمكن تخيله، لم يشعر بنفسه إلا وهو ملقى على الأرض ينزف، وزوجته التى صارت كأنها امرأة عمرها قرنان تجرى ربما تلحق بالفتاة!

عجوز متغضنة بشكل لا يصدق، ولم تكن تدرى حقا بما يحدث إلا حين حانت منها التفاتة نحو مرآة قريبة فوقفت للحظة، ثم صرخت:

- أبى! لا تتخلَ عنى! أبى..لا تتركنى للموت!

لكن الجسد الشيطانى زمجر فى غضب وهو ينظر للموقف! بدا وكأنه يتابع مايحدث بغضب فقط! إذن لماذا أتى من الأساس!

أما فى الخارج..

هناك فلاح صعيدى رأى الفتاة تجلس مع الزوجة الحسناء من بعيد.. لم يكن ليجروء على التدخل، لكنه قام من فوره كى يبلغ العمدة.. الفتاة صغيرة السن ولا يجب أن تتواجد هنا بمفردها على الإطلاق خاصة مع هذه المرأة المخيفة!

لحسن الحظ أن دار العمدة قريبة، حيث كانت الفتاة تتجول حول الدار فحسب.. ما أن أبلغه الفلاح بما رآه حتى هب من مكانه يعدو نحو دار الساحر وهو يصرخ باسم ابنته..

فى لحظات، وكأنما نبت الناس من العدم تجمع الكل حول العمدة وخلفه وهو يعدو نحو بيت الساحر.. لم يفهم أحد ماذا يحدث بالضبط، كانت الأمور تجرى بسرعة بحيث لا تعطى فرصة لأحد كى يفكر.. وعندما وصلوا للمنزل سمعوا الصرخات الرهيبة تنبعث من

الداخل.. اقتحموا المكان محطمين الباب ليجدوا المنظر الشنيع.. الفتاة تجرى ممزقة الذراع ملطخة بالدماء وخلفها امرأة عجوز قبيحة كالأبالسة والساحر ممدد على الأرض ينز دما من صدره ويبدو أنه قد فارق الحياة أو كاد، وفى منتصف الحجرة يقف شيطان بكامل سطوته وجبروته!

* * * * * *

تجمد الموقف للحظات..

الناس ينظرون للشيطان المفزع الذى التفت خلفه ناظرا إليهم بعينين تنطقان بالشر..

سرت همهمة مرتجفة بالاستعاذة من الشيطان وشره، وكأنما أثر ذلك عليه فرفع يديه جانبا وصرخ صرخة ارتجت لها جدران المنزل وتناثر التراب فى كل مكان قبل أن يتلاشى الجسد الشيطانى أمام أعين الواقفين.. وكأنما دفع ذلك بالشجاعة فى قلوبهم، فاندفعت الفتاة لحضن أبيها بينما انقض الرجال المصاحبين على المرأة بكل ما طالته أيديهم وبأيديهم المجردة، ولم ينتهوا إلا حين شعروا برجة عنيفة أخرى فى المكان وبدأ الغبار يتساقط من السقف بشكل أكثف هذه المرة!

توقفوا عن عجن العجوز لاهثين، ثم اندفعوا للباب تاركين جسد المرأة يئن وجسد الساحر ملقى على الأرض ينازع.. وفى الخارج وقفوا ينظرون للبيت الذى يتصدع وينهار وكأنما هناك قدم عملاقة تسحقه!

ساد الهرج والمرج بين الناس وهم يبتعدون عن المكان ببطء متزاحم.. الكل يسمعون صراخا مروعا يأتى من أسفل الحطام لكن لا يجروء أحد على التدخل بالطبع!

وانهار المنزل..

للدقة أقول (انسحق المنزل) !

خلال دقائق صار كومة تراب وحجارة لا تدل على أن كان هنا منزل..

وكانت هذه الأحداث بداية فقط لما هو قادم!

* * * * * *

عندما هدأ الغبار وساد الصمت، كان الجميع يشعر بالتوتر البالغ.. هل ماتت الشيطانة أم أن لها قوة أكبر مما يمكنهم التعامل معه؟

ارتفع صوت خائف يدعو لحرق المكان، لكن لم يستجب أحد.. يكفى جدا ما حدث، ثم بدأ الجميع يتسللون رويدا رويدا للابتعاد عن هذا المكان..

الخوف هنا سيد اللعبة، وتدفق الأدرينالين الوقتى تلاشى تاركا الخوف يلعب بالأعصاب والقلوب، ففضلوا السلامة بالابتعاد!

ذهب العمدة إلى المشفى القريب ليعالج ابنته التى أصيبت بما يشبه الصدمة العصبية، لكنهم أنقذوها على كل حال وتعافى ذراعها لاحقا لو كنت تهتم..

الحق أن الجميع تقريبا كان يحمل شفقة نحو الساحر الذى

مات مقتولا مدفونا وسط الأنقاض، وهو أصلا كان ينازع الموت..
الكثيرون باتوا ليلتهم فى قلق مرعب وكل منهم يتخيل نفسه مكانه..

مطعون بخنجر مسحوق تحت أحجار المنزل مخنوق بالتراب تحت الأنقاض، لكنه أحمق غبى يستحق ماحدث له!

هذا جزاء من يتعامل مع الشيطان ومخلوقاته الجهنمية! كانوا يقولون هذا لأنفسهم ويتهامسون به وكأنهم لم يلجأوا له مرات ومرات من قبل!

الساحر قد مات وانتهت قصته للأبد، لكن القصة لم تنته هنا..

لو اقتربت من المنزل المتداعى فى منتصف الليل لوجدت بعض الأحجار تتحرك من وسط التراب، ربما لمحت أظافرا عجوزا ليد ممزقة الجلد تظهر من تحت الأنقاض.. يد عجوزة مخلبية، تعافر من أجل الخروج من هذا المكان.. تدفع التراب حينا وتهمد حينا حتى لتشعر أن صاحبتها ماتت وانتهى الأمر، ثم تفيق لتزيح المزيد حتى ظهرت اليد الأخرى.. ومن خلفها ظهر الوجه شديد القبح..

هذه المرة كانت عجوزا عجوزا كما لم تر عجوزا من قبل، وكأن عمرها يناهز الألف عام.. وهو رقم يحمل شيئا من الدقة كما سنعرف لاحقا!

ظلت فى محاولاتها هذه ما يقرب من ساعة، ثم خرجت من تحت الأنقاض ممزقة الثياب والجلد، محطمة العظام..

سيدها وأبوها غضب عليها وأظهر حقيقتها لكنه لم يأخذ روحها

بعد.. طوال الوقت تثبت له الولاء وطوال الوقت يقدم لها القسوة والشر!

تركها حية وهى تعلم أن وقتها قد يحين بين الفينة والأخرى، ويجب عليها أن تتصرف سريعا، وإلا فالموت قادم يرغب فيها بشدة، وعلى ما يبدو فهو الوحيد الذى يرغب فيها الآن!

خرجت وسارت بخطوات وئيدة تثير الشفقة وتدمى القلب لو لم تكن تعرف من هى!

ظلت تسير وتسير لساعات طويلة تعانى فيها من الألم حتى بدأت الشمس فى الظهور..

لا تستطيع التحمل لكنها تكمل.. تريد الابتعاد عن هذا المكان لأن كل من فيه يعرفونها تقريبا وإن رأوها قتلوها، وهى تريد الحياة..

عندما يقترب الموت تصير الحياة أثمن ما يملك الإنسان على الإطلاق.. حياتها هى كل شىء والقادم مجهول تماما.. ربما هناك جحيم أو نعيم (لن تناله حتما) لكنها لن تخاطر.. يجب أن تظل على قيد الحياة قدر الإمكان..

بعد شروق الشمس بقليل، رأت من بعيد شابا نشيطا بدأ يومه مبكرا بالعمل الجاد فى الحقل.. فى الواقع كانوا عدة شباب متناثرين بدأوا يومهم من بعد صلاة الفجر لكى يرزقهم الله كل الخير، وهى فرصة مناسبة لو استغلتها.. لن تستطيع الفوز إلا بالحيلة وقليل من الحظ!

هكذا اتجهت نحو المجرى المائى القريب (الترعة)، وظلت تنتظر إذ ربما يقترب أحدهم.. مر عليها الوقت بطيئا حتى صارت الشمس فى كبد السماء قبل أن يأتى أحدهم إلى شاطىء مجرى الماء كى يقضى حاجته، وكانت فرصة ربما لا تعوض مرة أخرى..

نادت عليه بصوت ضعيف فلم ينتبه.. رفعت صوتها أكثر وألقت حجرا فى الماء.. نظر الشاب بفضول ناحيتها ليجد العجوز تنظر له بوهن بين الأعشاب.. ارتجف وكاد يصرخ؛ لأن الموروث الشعبى فى رأسه يخبره أنها لابد أن تكون شيئا شريرا .. نداهة أو مزييرة أو شيطانة الماء، إلا أنها صاحت بصوت عجوز مرهق مرتجف:

- ساعدنى يابنى.. ساعدنى..

قالتها، وانحدر جسدها نحو الماء الآسن لتسقط داخل الترعة كريهة الرائحة!

توتر الفتى الواقف على حين كانت تصارع العجوز الماء.. الحق أنها كانت مخاطرة كبرى منها، ولكن..

حسنا، أنت تعلم أنت الفتى لم ينتظر.. صاح على رفاقه وقفز فى الماء يبحث عن طريقة ليجذب بها العجوز قبل أن تقضى نحبها.. لكنه فوجىء بمستوى الماء القريب للغاية!

من المستحيل أن يغرق أحد هنا، فأين اختفت هذه المرأة؟ لو أنها اعتدلت فقط فسوف..

من تحت الماء انقضت عليه تجذبه للأسفل..

بـوغــت الــفــتــى لـيـجـد نـفـسـه تـحـت الــمـــاء الــقــذر، وهــــنـــــاك فـــم ولــــســـــان يـلـتـصـقـان بـفـمـه ولـسـانـه! ياللقرف!

حاول أن ينهض..

ينتفض..

يقاوم..

ولا فائدة!

لحظات قبل أن يشعر بوعيه ينسحب والضوء يقل أمام عينيه ليذهب للظلام الذى لم يعد منه أحد!

حدث كل ذلك خلال لحظات، لذلك عندما جاء أصدقاؤه ليروا ما الذى جعله ينادى ويطلب النجدة، وجدوه يصعد من الماء لاهثا ويشير نحو الجثة العجوز السابحة فى المياه الراكدة.. نظروا نحوها فى خوف وهم يتصايحون، بينما ابتعد هو فى خطوات سريعة قبل أن يبدأ جسده فى التحول ليتخذ هيئة الفتاة الجميلة!

(لحظة! الفتى تحول لفتاة؟! أى هراء هذا! كيف يتحول الذكر لأنثى؟! أنا لا أعرف، لكنها تعلم الكثير والكثير.. ربما استخمت تعويذة أو ما شابه لتنقل نفسها إليه ثم تتغير! أنا عن نفسى غير مقتنع لكنى أنقل الحكاية بأمانة)

المهم.. خلال دقائق ابتعدت الفتاة فى ملابس الفتى المسكين.. الفتاة التى ارتسم فى عينيها جمال مبهر وغضب جدير بزبانية

الجحيم.. لقد خسرت حربا هنا، ويجب أن تنتقل لمنطقة أخرى كى تمارس فيها افعالها التى لا نعرف غايتها حتى الآن!

* * * * * *

انتقلت الفتاة سيرا على الأقدام عبر عدة قرى.. كثيرا ما باتت ليلها تنادى سيدها، لكن يبدو أنه تركها بالفعل..

لم يستجب لها أحد على الإطلاق..

نادت على قومها بأكملهم إذ ربما يرق قلب أحدهم! توسلت لهم بالدموع أن يساعدوها بلا جدوى.. (طبعا أنت تتساءل عن قومها.. تساءلت أنا أيضا لكنى عرفت لاحقا!)

لم يكن أمامها إلا أن تكمل طريقها لتفعل ما تجيد فعله.. كانت تسير وتلتقط بعض الثمار لتتغذى عليها فحسب.. ذات مرة اصطادت دجاجة من عشة قريبة وذبحتها قربانا لمن تسجد لهم لكنهم لم يهتموا.. لم يظهر لها أحد، فأكلتها كما هى..

ظلت تسير إلى أن وصلت لقرية من قرى الصعيد.. قررت أن تعبث بهم قليلا لربما وجدت عندهم الإقامة والطعام.. ظلت تتجول هنا وهناك، بينما لفتت هيئتها المزرية التى تناقض جاذبيتها المفرطة أنظار الجميع، وإن ظنوها مجرد شحاذة أخرى.. لكنها شحاذة بارعة الجمال!

وأثناء تجوالها نهض أحد التجار وعرض عليها طعاما، فابتسمت فى استحياء يذيب القلوب ابتسامة رقص لها قلب الرجل!

وحين جلست جواره على الأرض تتناول طعامها بهدوء لم يتمالك نفسه فسألها:

- من أين أنت؟

قالها التاجر وهو يسيطر على نفسه بالكاد للفتاة الجالسة، فقالت برقة:

- لا أعرف يا سيدى.. لا أذكر شيئا منذ ثلاثة أيام.. فجأة وجدتنى فى حقل أسير على غير هدى..

تعجب الرجل بشدة.. كان يظن أن من يفقدون الذاكرة يأتون فى الأفلام العربية فقط!

- وما اسمك؟

- لا أعرف أيضا!

نظر لها.. واضح أنها غنيمة أرسلها الله له! سيأخذها لبيته ويجعلها خادمة إلى أن يظهر لها صاحب - على حد قوله-!

كان يعيش مع زوجته وأبنائه، فعرض عليها أن تأتى لتعيش معهم، فوافقت على استحياء.. لم ينتظر ثانية أخرى ونهض من فوره ليغلق المحل ويعود بها للمنزل، بينما يصور له عقله خيالات وهمية لما يمكن أن يحدث بينهما لاحقا! الرجال مهما كبروا فى سنهم ومكانتهم وعلمهم فهم فى النهاية أطفال يرغبون فى كل حلوى جميلة!

أما زوجته، فكأى سيدة مصرية أصيلة ثارت وأرغت وأزبدت ورفضت مكوثها معهم مطلقا.. لها فقط أن تستحم وتأخذ ما يناسبها

من الثياب و قليل من المال والزاد ثم ترحل من هنا.. لم تكن الفتاة تهتم بما تسمع، إنما كانت تنظر للطفل القابع خلف الباب ينظر لها بخوف.. كان لم يتعد العامين، وبفطرة الأطفال بالغة النقاء شعر بالخوف منها على الرغم من لطفها.. نظرت له بتركيز وبدأت تتمتم بكلمات مبهمة.. بعد ثوان بدأ الطفل يشعر بالسخونة تجرى فى دمائه وأصابه الغثيان فانحنى يفرغ ما بمعدته.. قاطع فعله هذا نقاش التاجر وزوجته وهبا ليلحقانه..

- إنه ساخن كالنار.. اتصلى بالطبيب حالا..

- لا داعى.. أنا أستطيع علاجه!

جاءه الصوت الرقيق من الفتاة.. نظر نحوها فى جزع بينما جلست هى جوار الفتى تحتضنه، فامتزج مرضه بالخوف منها واشمئزازه من رائحتها البشعة مما جمده تماما فى مكانه.. وضعت يدها على جبهته وأخذت تتمتم مرة أخرى أمامهم، وسرعان ما أخذت حرارته تنخفض وراح جسده يهدأ حتى نام فى لحظات بين يديها..

نعم..

لو أنك تظن أنها أنها مارست نوعا من السحر الأسود، فظنك فى محله تماما!

نهضت مريحة رأس الطفل برفق على الأرض وطلبت من الأم أن تطمئن على ابنها.. فى دهشة قالت الأم أن حرارته انخفضت!

وعلى حين ارتاح الأب لما حدث لأن ابنه صار معافى، ضرب

صدر الأم شك، لكنها لم تستطع البوح بما فى قلبها..

المهم، انتهى الأمر إلى بقائها فى العشة القديمة بالقرب من المنزل! كان قرارا سيئا للطرفين.. الزوج يريدها داخل المنزل بالطبع والزوجة لا تريدها أصلا، لكن ما صار قد صار.. حل وسطى جميل لم يرض أحدا سوى الفتاة نفسها!

كانت العشة رائعة بالنسبة لها.. جدران من الأسمنت، ودورة مياه ملحقة، وسقف خشبى قديم.. كانت العشة تعيش فيها بعض الحيوانات الريفية الخاصة بأسرة التاجر لكنها فارغة الآن!

هكذا تم ترتيبها وتنظيفها بسرعة لتقيم فيها..

ثم بدأت أخبار الفتاة تجتاح القرية الصغيرة! فعلى حين أن الزوجة كانت تحكى عن الفتاة ومافعلته من قبيل كراهيتها والخوف منها، حكى الزوج عنها من قبيل الكرامات وأنها مبروكة.. وسرعان ما بدأ الأمر!

رأى الجميع أنها من الممكن أن تكون مفيدة سواء كانت شريرة أم مبروكة، بدأ الناس يتوافدون لها..

بدأ الناس يطلبون منها طلبات تتعلق ببيوتهم وزواج أبنائهم.. وتطور الأمر لطلب الحجاب وفك السحر واستخراج الجان!

وعلى العكس من الساحر النصاب، كانت ساحرة بارعة لا يشق لها غبار.. كانت قوية مسيطرة ناجحة، وبدا من الواضح أنها احتلت مكانها هذا ولن تخرج منه مطلقا..

لن ينتهى وجودها هنا قريبا!

* * * * * *

استقرت أمورها هنا ربما لأعوام متتالية.. التاجر وزوجته تناسوا أن هذا المكان كان لهما فى يوم من الايـام، وصـارت العشة ملكا خالصا للفتاة التى تمر عليها السنون فتزداد جمالا وجاذبية..

لم يخب سعى من ذهب لها أبدا، لكن ثمنها كان غاليا لأنها لا تطلب النقود، وإنما كان طلبها..

الدم!

تتحقق رغباتك وأمنياتك مقابل وعاء من الدم النقى تستخرجه من جسدك مباشرة عبر جرح قطعى فى الساعد، صار علامة مؤكدة لكن من زارها يوما..

لكنها كانت بحاجة للنفوذ..

للقوة..

وهذا لن يأتى بين ليلة وضحاها..

ستنتظر!

يوما ما سيأتى من تجد فيه طلبها..

ووقتها..

ستصل..

وستكون فى مكانة تتمناها وتريدها بين عالمين كما كانت على قاب قوسين أو أدنى قديما..

حسنا.. أنت لا تفهم جيدا، أو ربما قفزت لذهنك بعض الاستنتاجات الواضحة كالشمس، لكنى لم أكن أفهم جيدا وقتها، لذلك انتبه معى لتفهم كل شىء!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊



الجزء الثاني

حكاية أخرى! قد لا تبدو الأمور مرتبطة ببعضها جدا عند هذه النقطة، خصوصا وأننا سننتقل من الريف المصرى الجميل لألمانيا فى العصور الوسطى.. البرد والضباب والحروب الصليبية التى تقرع بيوت الكل فى عنف!

لكن عليك أن تثق فى جيدا.. الأمور مترابطة بشكل يثير الدوار، فقط عليك أن تنسى الجزء الماضى مؤقتا!

ألمانيا 1217 ميلاديا:

الدولة الألمانية فى ذلك الوقت لم تكن كما نعرفها الآن.. لم يكن أهلها بذات العنجهية التى رأيناها منذ بزوغ هتلر، ولم يكونوا سوى بعض الفلاحين البسطاء الذين يرغبون فى الحياة بهدوء وسكينة بلا هم أو مرض.. لكن – لسوء حظ من كانوا يعيشون ذلك الوقت – كانوا يعيشون فى عصور مظلمة، حيث تنتشر الأمراض خاصة الأمراض الجلدية التى جاءت بسبب قلة النظافة، إذ أنهم كانوا يحرمون الاستحمام تقريبا إلا فى الضرورة القصوى!

وعلى الرغم من ذلك فالبلاد جميلة مبهرة، تترامى فيها الحقول الخضراء على امتداد البصر ممتزجة مع الغابات الألمانية الساحرة، وترعى فيها الحيوانات باطمئنان.. كانت تعد ألمانيا من أخصب البلاد أرضا وأوفرها ماشية على الإطلاق!

فى ذلك الوقت كانت الحملات الصليبية تحاول الاستئناف بإيعاز من البابا (إينوسنت) الثالث، والتى كانوا يجمعون فيها البسطاء جمعا من أجل الذهاب للحرب فى الشرق، خاصة بعد عودة بيت المقدس لأصحابه..

وفى ظل هذه الأجواء، ترى الجزار (فريدريك) يعمل بهمة ونشاط.. كان ممحبوبا للغاية من الجميع، كما كان من أشهر جزارى الخنازير فى المنطقة، وما زاد من شهرته محل فطائر (مارى) جارته التى كانت تأخذ منه اللحم الطازج لتصنع منه الفطائر..

وكانا صديقين حميمين.. من جهة لأنهما قريبين فهى ابنة خالته، ومن جهة لأن كليهما لم يتزوج حتى الآن.. فى الأعراف الأوروبية لا يصح هذا النوع من الزواج كما لا يصح عندنا زواج الأخوة!

ومع ذلك كانت تحمل له قدرا من الحب، لكنها لم تصارحه..

وذات ليلة بعد انتهاء عملهما معا، كان يسيران معا للمنزل كما اعتادا.. كان منزلا واحدا فى الماضى ثم اقتسماه فصار منزلين جميلين متجاورين..

كانا يسيران بمرح، لأن الأعياد قد اقتربت والجو يحمل سرورا.. بعض البيوت بدأت تصنع الزينات وتعلقها خارج المنازل، وهناك من يضىء الطريق بمشاعل طويلة الأجل، ومع ذلك كان الطريق خاليا من المارة أو يكاد..

- ما رأيك أن تأتى للعشاء معى الليلة؟ عندى حفلة بسيطة دعوت إليها بعض الأقارب.. من فضلك تعال.. اقض الليلة معنا ولا تكن كالذئاب الوحيدة..

ابتسم (فريدريك) ونظر للأرض فى غموض.. واضح أنه يخفى شيئا لا يريد لأحد أن يعلمه، وقال:

- أخشى أننى لن أستطيع الحضور الليلة.. عندى خطط للأسف!

- خطط؟ أتمنى ألا تكون البقاء فى المنزل وذبح المزيد من الخنازير استعدادا للغد!

ضحك وقال:

- ليس تماما..

قرن قوله بقبلة على وجنتها وهو يهمس:

- أجازة سعيدة يا حلوتى..

كانا قد وصلا بالقرب من منزلها فتركها وسار مبتعدا، بينما ترمقه هى من خلفه بشىء من الحسرة قبل أن تدلف للمنزل!

وعلى باب منزله وجد هذه الفتاة.. جميلة جذابة بشكل لا يمكن تفسيره.. هناك شىء ما فى ملامحها تجعلك منجذبا بكل جوارحك لها.. ومع ذلك توتر كيانه كله وهو يهمس بخوف:

- ماذا تفعلين هنا؟

ابتسمت فى دلال وقالت:

- الجو بارد كما ترى، كنت أبحث عن مكان دافىء.. لم أقصد إزعاجك!

نظر حوله وكأنما يتأكد أن لم يره أحد، ثم تقدم بسرعة وفتح الباب داعيا إياها للدخول..

* * * * * *

بعدها بخمس دقائق كانا يخوضان ملحمة على الفراش وهما عاريان تماما! لا داعى أن تعرف التفاصيل لأن الرقابة ستراجع هذه الرواية للأسف، ولكن يكفى أن تعرف أنه كان قويا وسيما كأبطال الإغريق، وهى كانت جميلة متناسقة رائعة كآلهة الجمال فى أى ثقافة!

وبعد تنهيدات الخلاص استلقت الفتاة فى حضنه باسترخاء، على حين نظر هو نحو السقف قليلا، قبل أن يقبلها ويهمس:

- أحبك.. لكنى أريد أن أنااااام!

- أنت قليل الذوق أتعرف هذا؟

ضحك وهى تقبله بنهم وشغف.. مرت ثوان قبل أن تقول وهى تداعب صدره:

- أود أن أبقى هنا للأبد.. مكانى بين ذراعيك فى هذا المنزل وفى هذه البلدة.. كم كنت أتمنى ألا نكون مضطرين للمغادرة!

- حبيبتى.. لولا حاكم المقاطعة الغبى هذا ما كنا فى حاجة للمغادرة.. منذ أن رآكى وهو يهيم بك حبا!.. للحق أنا أعذره، فمن الذى يراك ولا يذوب؟!

- أنت مخادع..

- وأنت جميلة..

- أحبك..

- أعلم هذا!

- منذ متى ونحن معا؟

- لا أعلم.. ربما عام؟

ابتسمت فى مكر ووجها يحمل لوما، ثم قالت:

- بل خمسة عشر شهرا! هل تحبنى أصلا؟

ارتفع حاجباه فى دهشة ولم يرد! ما بال هذه الفتاة اليوم؟

- لو كنت تحبنى فلن تخفى علاقتنا عن الكل.. كنت ستتزوجنى رغم أنف الجميع!

- حبيبتى.. من أجلك سأترك بيتى وعملى وعائلتى وسأرحل من هنا.. اتذكرين ذلك؟

نظرت للأسفل للحظات، ثم رفعت عينين مغرورقتين بالدموع وهمست:

- أعلم.. لكنى بحاجة أن.. أسمع منك أنك تحبنى..

- أحبك..

- عدنى أن أظل فى قلبك للأبد وأنك لن تنسانى أبدا مهما كانت الظروف!

اعتدل فى مكانه بقلق.. هذا كلام ليس وارءه خير على الإطلاق! ما الذى يحدث؟

- هل كل شىء على ما يرام؟

أومأت برأسها فى حركة غير مفهومة وهمست:

- قلها!

صمت لثوان، ثم قال:

- سأحبك للأبد.. وستظلين بقلبى للأبد!

غزت الفرحة ملامحها المتجهمة، وابتسمت وهى تتابعه بعينيها الرائعتين وهو يعتدل، ثم نهضت بلا كلمة نحو الغرفة الأخرى التى وضعا فيها ملابسهما (كانا قد نزعا الملابس وهما داخلين)، وقبل

أن تخرج نظرت له نظرة كلها رقة وقالت:

- إلى اللقاء حبيبي..

ضحك منها ثم استلقى على ظهره.. يالها من مجنونة هذه الفتاة، وربما هذا ما جذبه إليها فى المقام الأول! العجيب أنه لا يعرفها إلا بالكاد.. لا يعرف عنها شيئا، غير أنها ظهرت فى البلدة منذ عام تقريبا وتعيش على أطراف البلدة، ومن يومها وهو مغرم بها.. وقع فى براثن حبها بلا أى جهد، حتى أنه سيترك عالمه كله ليظفر بها للأبد.. الأعجب أن كل من بالبلدة يكرهها، إلا الحاكم الذى رأى فيها جسدا يستحق الاقتناء فحسب.. أفاق من تأمله على صوت عواء كلبته.. كانت كلبة صغيرة الحجم للغاية، وجدها ذات مرة فاحتفظ بها منذ سنين.. سمعها تعوى وتئن بتلك الطريقة التى تجيدها الكلاب.. نهض من مكانه وصاح:

- حبيبتى.. مذا هناك؟

لم يأته رد.. صاح مرة أخرى باسمها، لكنه لم يظفر بشىء غير الأنين المتواصل للكلبة!

شعر بالقلق، فهض من مكانه لينظر ماذا هناك و..

وجدها ملقاة على الأرض، وبيدها سكين ذبحت به نفسها، بينما تتعاظم حولها بركة الدماء حاملة حياتها إلى حيث لا عودة!

صرخ المسكين..

صرخ وصرخ وصرخ.. ثم انتبه فكتم صراخه بيده على حين

انهمرت الدموع من عينيه وكأنما كانت بالانتظار.. وعلى الرغم من أنه كان جزارا معتادا على ذبح الخنازير إلا أنه لم يتحمل المنظر.. انهار جالسا جوارها وأمسك يدها يقبلها بكل ألم وينظر للسماء ويصرخ صراخا مكتوما:

- لماذا..

لماذا!

* * * * * *

فى الظلام حملها..

سار بها على وهن فى الطريق المظلم لقلب الغابة..

كل خطوة تحمل أطنانا من الألم..

لن يصدقه أحد أنه لم يقتلها..

لن يرحمه أحد..

سيتخذ الحاكم الأمر حجة لإطفاء غليله وإرواء غضبه وسيعدمه..

خطوة بعد خطوة فى قلب الظلام..

يشعر بنبضات قلبه توشك على اختراق صدره..

ياللألم..

ياللوجع..

وفى منطقة مناسبة وضعها تحت شجرة، ثم بدأ يحفر برفش كان معه..

لم يكف عن البكاء ولا لحظة كما لو كان طفلا صغيرا..

حبيبته..

كانت أجمل ما حدث فى حياته..

أنهى الحفر، ثم حملها برفق و..

وضعها فى الحفرة!

القبر!

يا الله.. ليته يموت الآن ليتخلص من كل هذا العذاب!

صعد من الحفرة بعدما قبلها فى جبهتها قبلة طويلة، وبدأ يهيل عليها التراب حتى عادت الأرض كما كانت تقريبا.. أزاح عليها بعض أوراق الأشجار، ثم صرخ صرخة تردد صداها فى الغابة كلها..

الآن ماتت!

* * * * * *

الرؤية مهتزة غير واضحة.. هناك امرأة تجرى داخل منزل ملىء بالزخارف.. يبدو كقصر أحد الأمراء أو النبلاء، كما يبدو مألوفا بشكل ما..

الظلام يكتنف المكان، وفى الخارج..

هناك أربعة أشباح تسير ببطء..

مخيفة..

ترتدى أسمالا سوداء، وعلى رءوسهم أغطية تمنع رؤية وجوههم..

أو وجوههن!

شىء ما ينبئك أن الخمسة أشباح إنما هى لنسوة!

تمد إحداهن يدا مخلبية قذرة، يمتد السواد فيها حتى منتصف الإصبع لتفتح الباب، فتصاب المرأة بالداخل بالذعر كأنما رأتهن مع أنها بعيدة عنهن.. تحاول الهرب فتصعد على الدرج المؤدى للطابق الأعلى وتنظر خلفها لتجد ثلاثة منهن يسرن باتجاهها بلا أى منطق!

كيف أتين إلى هنا؟

وبدأ صوت همس مقبض يتعالى..

صوت تعاويذ!

التفتت المرأة نحو باب جوارها لتفتحه، وتجد نفسها وجها لوجه أمام رابعتهن! كانت ضئيلة الجسم جميلة الوجه خبيثة النظرات..

فجأة أمسك بها الثلاثة، وطعنتها إحداهن بسكين قذر..

صرخت، لكنهن أجبرنها على الركوع وهن يمسكنها، بينما تحركت الأخيرة لتحضر كأسا معدنيا بينما تركت أظافرهن القذرة علامات واضحة على جسدها..

الأخيرة أشارت بيدها فطار حبل من لا مكان إلى السقف ليتعلق بشىء ما، ثم لفوه حول وسطها لترتفع عن الأرض قليلا.. ما أن ارتفعت حتى قلت مقاومتها كثيرا وضعف صوتها وصراخها!

ومع ذلك كانت تتلوى وتحاول الهرب، بينما تقدمت الضئيلة نحوها بسكين عاجى منبعج وغرسته فى عنقها القريب وهى تضع الكأس تحته و..

انتفض (فريدريك) من النوم!

كابوس شنيع!

نظر حوله فى الحجرة يتأملها بصدر منقبض.. صدره يعلو ويهبط لاهثا، ثم اعتدل على فراشه واضعا رأسه بين كفيه..

لقد مر عام منذ وفاة فتاته..

تغير كثيرا..

تساقط بعض الشعر من مقدمة رأسه، وغزا الشيب بقية الرأس فى جشع!

لم يخبر أحدا بما صار غير (مارى).. صديقته وكاتمة أسراره والوحيدة التى يأتمنها على سر كهذا، وهى قد صدقته على الفور.. لا يدرى كم الليالي التى سهر يبكى على صدرها ويئن.. كان قلبها يئن ويتمزق من أجله لكن لا باليد حيلة!

كانت (مارى) والحق يقال من أنقى الناس سريرة وأطيبهن.. لم يكن بداخلها ذرة حقد أو شر.. ليس هناك إلا الحب والخير فحسب!

خلال هذا العام كان (فريدريك) كثير الشرود بشكل ضايق عملاءه، كما قل إنتاجه بشكل ملحوظ.. ساءت حالته الجسدية وإن ظل قويا، لأنه لم يعد يأكل تقريبا!

صار لا ينام إلا بعد تناول كوب من المنقوع الذى وصفه له الطبيب..

لم يستطع نسيانها قط، والآن..

منذ عدة أيام تهاجمه تلك الأحلام المخيفة الوحشية بشكل

يومى.. كل يوم يرى نفس المرأة تهاجمها نفس الأشباح وينتهى الحلم برؤيتها تموت ببشاعة..

كان يمر بمراحل الاكتئاب كما سيصفها الطب النفسى فيما بعد، ولن أندهش لو قتل نفسه قريبا!

صارت حياته رتيبة مملة بلا طعم..

يذهب لمتجره صباحا ليقطع اللحم ويبيعه فى شرود متجاهلا أسئلة الناس، ويعطى لـ (مارى) ما تشاء من اللحم، ثم يحمل أرباحه ويعود للمنزل.. ذات مرة استوقفه قاطع طريق، فألقى إليه ما يحمله من مال بعدم اهتمام ثم أكمل سيره، حتى أن اللص شك فى الموضوع قبل أن يحمل غنيمته ويرحل!

لم يعد يهتم..

إنه يعيش فحسب!

دائما يحمل ملامح من يوشك على البكاء..

انهار قلبه ولم يعد فى إمكانه فعل شىء! لكنه فى تلك الليلة كان بحاجة للحديث مع (مارى)؛ لذلك اتجه إليها بعد العمل، (بالمناسبة هو لم يعد يسير معها إلى منزلها فى كل ليلة كما كان معتادا!) وسألها بصوت خفيض وهى تمسح المنضدة الخشبية الكبيرة:

- هل مازال عرض العشاء قائما؟

أجفلت (مارى) لدخوله الغير متوقع والتفتت تنظر له بدهشة، ثم ابتسمت متعجبة من هذا الرجل.

* * * * * *

- يبدو أنهم قاسين جدا .. منذ متى وأنت تحلم بهذا الحلم المروع؟

- منذ أيام.. ربما يومين أو أسبوعا أو ثلاثة! لا أذكر بالتحديد!

- يا إلهى.. ربما يتلاعب بك الشيطان، أنت لم تذهب معنا للكنيسة منذ فترة طويلة.. هل تود الذهاب للأب كى يباركك؟

هز رأسه نافيا وهو يمط شفتيه فى يأس وقال:

- بعد موتها ذهبت عدة مرات، ولم أشعر أنه يساعدنى.. لم أعد أهتم بهذا الأمر!

كان كلامه خطيرا، لأنه متدين للغاية كما تعرف.. الشرخ فى روحه كبر حتى استولى على المنطق الوحيد الذى يجب أن يتمسك به.. حدقت (مارى) فيه لثوان قبل أن تقول:

- لا بد أن الحلم له علاقة بما حدث؟

نظر لها فى غضب ليس له سبب:

- المرأة فى أحلامى لا تشبهها.. لا أحد منهم يشبهها!

نطقها وساد الصمت المحرج للحظات.. قطعته (مارى) قائلة بصوت متحشرج:

- صحيح.. لقد أحضرت لك شيئا.. انتظر..

نهضت من مكانها لتغيب بضع لحظات، ثم عادت حاملة لفافة ما:

- لقد أحضرتها لك منذ فترة.. لم أجد فرصة كى أعطيكها، لكن أن تأخذها متأخرا خير من ألا تأخذها على الإطلاق!

مد يديه وفتح العلبة.. كان داخلها سكينا صغيرا يلمتع على ضوء الموقد القريب..

- هيا.. افرح بها واقتل المزيد من الخنازير ودعنا ننسى الحزن والألم.. إنها من أفضل الأنواع!

نظر للسكين وابتسم، ثم شكرها قبل أن ينهض ليذهب لبيته.. رافقته حتى الباب ثم ودعته بقبلة على وجنته، قبل أن تعود للداخل وهى مشوشة الذهن!

* * * * * *

دخل (فريدريك) منزله.. الجو مظلم كئيب، فأخذ يبحث عن الموقد ليشعله ثم أخذ يتأمل السكين قبل أن يضعه جواره قليلا.. كان هناك شىء من الهرج والضجيج بالخارج لكنه لم يهتم جدا.. وأهل القرية يعرفون أنه صار منطويا فبالتأكيد لن يكلف أحدهم نفسه عناء إخباره بما يحدث، وهو عموما فى غنى عن ذلك..

دخل حجرته ليشرب مشروبه الطبى ويحاول النوم.. كان الوقت مبكرا نسبيا لأن الليل مازال فى أوله، لكنه كان يهرب بالنوم..

انغلقت عيناه ببطء وانزلق فى نوم أسود لا يدرى لكم من الوقت..

لكنه يسمع طرقات.. طرقات على باب المنزل؟

لا يهم! يبدو أنه حلم..

حاول النوم، لكن الطرقات تتكرر..

فتح عينين مكدودتين ليتأكد، وسرعان ما أتته الطرقات تدوى

وسط الظلام الساكن.. لقد مر الرجال ومن الواضح أن الليل شارف على الانتصاف، فمن هذا الذى يطرق بابه الآن؟

من ياترى؟

نهض منزعجا منتفخ العينين.. لا بد أنها مصيبة كبرى ليحتاج أحدهم أن يطرق بابه هو بالذات دونا عن أبواب أهل القرية كلهم!

والطرقات تتكرر محطمة أعصابه.. عليك اللعنة يا من تقف خلف الباب

- انتظر سآتى..

قالها بصوت يحمل آثار النوم.. وسرعان ما فتح الباب؛ فإذا بها (مارى) نفسها تقف منكوشة الشعر مذعورة، وبصوت أجش قالت:

- حلمك.. لقد تحقق!

* * * * * *

دعاها للداخل كى يستوضح الأمر.. دلفت المرأة وهى ترتجف من أثر البرد والأدرينالين، ثم قالت:

- لقد سمعت الرجال يتحدثون فى غضب.. كان أحدهم يمر جوار بيت الأرشيدوق (شتايلر)، فإذا به يسمع صوت صراخ ينبعث من الداخل، ورأى مجموعة نسوة يخرجن من نافذة البيت ويطرن نحو الأفق وهن يضحكن.. كانت النسوة ساحرات يا فريدريك!

أحضر الرجل أصدقاءه، ودخلوا البيت لربما تكون هناك ضحيا من الأطفال، أنت تعلم أن الساحرات يقتلن الأطفال، لكنهن وجدوا

امرأة معلقة فى السقف من وسطها مطعونة فى الظهر ومذبوحة.. كما رأيت أنت فى حلمك بالضبط!

حملها الرجال وذهبوا ليدفنوها الآن فى المدافن القريبة، فقط هم بانتظار القس كى يلقى عليها الماء المقدس حتى لا تتحول لشىء شرير..

(فريدريك).. أنا خائفة للغاية! ما معنى حلمك هذا؟ كيف رأيت هذه الأحداث قبل أن تقع يا (فريدريك)؟

ظل صامتا للحظات، ثم تركها واقفة فى مدخل منزله واندفع خارجا من المنزل يعدو نحو المقابر..

يجب أن يراها ويتأكد..

سرعان ما وصل، وكانوا يدلونها داخل القبر.. أسرع نحوهم وهو يلهث، ثم ألقى نظرة.. لم يكونوا وضعوها فى صندوق، وإنما قرروا دفنها مباشرة وسط التراب حتى لا تكون لديها الفرصة لأى حركة لو عادت! وهكذا كان وجهها واضحا جليا لفريدريك!

- إنها هى!

قالها لـ(مارى) وهو يرتجف بعدما عاد..

- لقد تعرف عليها أحد الواقفين، ويقول أن اسمها ((مينرفا) فرناند).. إنها هى أنا متأكد تماما! هى المرأة التى رأيتها مرارا وتكرارا!

صمت (مارى).. لم تكن تدرى ماذا تقول حقا، فقالت:

- ألا تدرى كم أن الأمر مدهش عجيب؟ لقد سمعت من قبل عن أناس يحلمون بهذه الأحداث قبل أن تقع.. يسمونها الأحلام التحذيرية على ما أعتقد!

- نعم، ولكن لماذا أنا؟ أنا ليس لى علاقة بهم كلهم على الإطلاق!

- لا أعرف.. ولكن أعتقد أن الأمور ستتوقف عند هذا الحد، اليس كذلك؟

نظر لها فى حيرة وهو يتراجع فى مقعده ويهمس:

- أتمنى يا عزيزتى.. أتمنى!

* * * * * *

فى اليوم التالى لم يذهب لفتح متجره بدعوى المرض! وكان هذا شيئا عجيبا غريبا على الناس الذين اعتادوا وجوده طوال أيام العام حتى فى المواسم التى لا يشترى أحد فيها اللحم! حتى فى فترات مرضه كان يحضر ويذبح خنزيرا واحدا ويعود، لكن ألا يأتى مطلقا! هذا غريب!

والحق أنه كان محبوبا بين الناس؛ لأنه طالما أعطى الفقراء اللحم بلا مقابل، أو كان ينتظر قليلا على النقود لحين ميسرة.. كما قلنا كان وحيدا، ومتجر قريبته (مارى) وحده يدر عليه دخلا ممتازا!

بالطبع تضايقت (مارى) للغاية خاصة وأنها اضطرت لشراء اللحم من جزار آخر، ولم تكن فطائرها على نفس الجودة!

أما (فريدريك) فقد كان فى عالم غير العالم.. رأسه يدور بجنون..

كيف يمكن أن يتكرر الحلم لفترة قبل أن يحدث؟

بل كيف يمكن أن يحلم بأشياء لم تحدث على الإطلاق؟

الأمر عجيب؛ لذلك اتخذ قراره.. يجب أن يرى بنفسه ليتأكد!

فى منتصف النهار البارد – وكان الجو غائما والضباب ينتشر فى كل مكان – تسلل من منزله متجها ناحية منزل الأرشيدوق..

وصل لهناك بسرعة، ثم دلف للمنزل بلا صعوبة تذكر، لكنه ارتجف بشدة لما رأى تفاصيل المنزل واضحة جلية كما رآها فى حلمه!

اتجه نحو السلم الذى جرت عليه المرأة وصعد عليه ببطء.. تتضح عليه آثار أحذية الرجال الذين سبقوه لإحضار الجثة.. للحق كان خائفا..

الظلام يكتنف المكان على الرغم من أنه فى وسط النهار، ومع ذلك تقدم..

هنا كانت تجرى..

وهنا كانت تنظر خلفها..

وهنا فتحت الباب لتمسكها النساء من خلفها..

وهنا علقوها وماتت!

كان المكان عجيبا.. يحوى العديد من اللفائف والكتب الخاصة بالأرشيدوق الذى يزور المكان فى الصيف فقط، لكن لا أحد يجروء على سرقة قشة واحدة من المنزل وإلا هدم البلدة على من فيها!

أخذ يدور حول المكان الذى ماتت فيه.. وعلى الأرض وجد شيئا غريبا لم ينتبه إليه أحد!

رقعة جلدية صغيرة للغاية مكتوب داخلها كلام لا يفهمه، لأنه لا يستطيع القراءة! وبينما هو واقف، انفتح الباب خلفه عن فتاة جميلة ما أن رأته حتى انطلقت هاربة لا تلوى على شىء؛ فانطلق خلفها.. كانت تجرى بسرعة رهيبة منبعها الذعر، ومع ذلك لحق بها فى آخر الردهة وهى تنهنه فى رعب.. مهما كانت سرعتها فالملابس التى ترتديها ثقيلة! أنت تعرف ملابس الأوروبيات فى هذه العصور!

– من فضلك لا تؤذينى.. لاتؤذينى..

قالتها وهى ترفع يديها لحماية وجهها..

– لن أؤذيك.. اهدئى.. أريد أن أعرف فقط ما الذى جاء بك إلى هنا!

– أأنت من رجال الأرشيدوق؟

– لا.. لالا.. أنا لست من رجاله، أنا..

صمت للحظات حائرا فيما يقوله، ثم سألها:

– هل أنت هنا بهدف السرقة؟ هل تسرقين؟

أشاحت بوجهها بعيدا وقالت:

– لالا.. أنا فقط.. سمعت بما حدث للمرأة وكنت.. فضولية!

– هل كنت تعرفينها؟

– لا..

– إذن، لماذا حضرت؟ لا يوجد فضول بهذه القوة!

استجمعت الفتاة شتاتها ونظرت فى عينيه.. لم تكن بحاجة لأكثر من هذه النظرة لتدرك هشاشته، فرفعت عينيها بحزم وسألته:

– وأنت؟ إذا لم تكن من رجال الأرشيدوق ولست هنا بهدف السرقة، ماذا تفعل؟

بالفعل ارتبك (فريدريك) وأشاح بناظريه وقال متلعثما:

– أنا..

– لقد حلمت بالأمر أيضا، أليس كذلك؟

كان سؤالا مباغتا زلزله للغاية.. لا يمكن أن يحدث ذات الأمر لشخصين! ظل صامتا وهو يضيق عينيه لا يدرى ماذا يقول حقا.. الكلمات تذوب على شفتيه، وحيرته كانت كافية جدا لترضى نفسها الوثابة إلى الإجابة.. لذلك خفضت عينيها وهى تزيح يديه عنها، ثم همست:

– يجب أن أريك شيئا!

قرنت كلامها بأن تحركت نحو الحجرة التى ماتت فيها المرأة، وعندما دخلا سألته:

– ألا تلاحظ شيئا غريبا هنا؟ لقد انتبهت له بمجرد دخولى!

أخذ ينظر متلفتا.. لا يعرف! ثم ركز عينيه على أحد الأركان التى تحتوى رفوفا.. قال:

– هذه الأرفف.. هنا كان يوجد باب..

- بالضبط!

وسرعان ما تعاون الاثنان فى إخلاء الرفوف ليبحثا.. طرقا الحائط ليجدانه مجرد لوح خشبي خفيف، ومع قليل من القوة انفتح باب يؤدى إلى ظلام دامس!

* * * * * *

بعد دقائق كان (فريدريك) يحمل مشعلا بدائيا صنعه من الخشب الجاف.. كان – كمعظم من عاشوا فى هذه الأزمنة الغابرة – يتقن إشعال النار من الاحتكاك القوى بأى أداتين خشنتين، وتقدم بضع خطوات فى الظلام خلف اللوح الخشبى الساقط، وتبدى لعينيه سلم صاعد للأعلى فى ممر ضيق لم يكن ظاهرا من قبل، وبتردد بدأ يصعد ومن خلفه الفتاة التى تحاذر من سقوطها نتيجة الفستان القروى الواسع، حتى صارا فى الأعلى، وهناك وجدا أغرب مشهد يمكن تخليه!

حوض زجاجى ملىء بالماء العكر والطحالب والأعشاب البحرية، وفى منتصفه يقف قرص يشبه العملات المعدنية وإن كان أكبر حجما..

- يجب أن نحصل عليه ونفهم ماهو!

قالها ثم مد يمناه يشمر عنها الكم قبل أن يضعها فى الماء المثلج ويستخرج هذه الـ.. أيقونة ربما!

التقطتها منه وقالت أن عليها كتابة..

(أنت صنعت الوحش الذى أنا عليه)

لم يفهم معنى الكلام، وهى لم تدركه أيضا وإن دلت ملامحها على أن هذه الكلمات دقت أجراسا ما فى ذهنها.. أما (فريدريك) فقد أخرج الرقعة الصغيرة من جيبه ومدها إليها قائلا:

- أنتِ تعرفين القراءة؟ إذن اقرأى هذا الكلام:

مدت يدها تلتقط الرقعة الجلدية وتهمس:

- مهما حدث لا تركع وإلا ينتهى اتصالك بالأرض!

- ومعناه؟

- لا أعرف! يشبه كلام الحاكم الحقير الذى أقدم فى حانته الخمر ولكن معكوسا.. يريدنا أن نركع!

غمغمت بالكلمات الأخيرة فى حنق لكنه لم يهتم، وعاد يسأل:

- ربما.. ربما أرادتنا هذه المرأة أن نعثر على هذا الشىء؟ ربما لهذا راودنا معا نفس الحلم؟

- ربما..

شعر بالغضب والتوتر، فسار خطوات نحو النافذة ليرى بعض رجال البلدة يقفون بالأسفل وينظرون نحو الطابق الأعلى.. لا بد أنهم رأوا النار التى تضىء من الشعلة، ويبدو عليهم الغضب..

- اللعنة.. تعالى يا..؟

- (بياترس)..

- (بياترس)! أسرعى!

على الفور جذب يدها لينزلا معا، تاركا الشعلة فى مكانها.. وسرعان ما كانا خارج المنزل يعدوان كل فى طريقه محاولين الابتعاد أكبر قدر ممكن عن هذا المكان.. وحين تلفت (فريدريك) حوله وجد الفتاة اختفت، ومعها الرقعة الجلدية والتميمة!

* * * * * *

فى وسط المدينة كان يوجد مطعم يملكه الحاكم.. أقرب وصف لهذا المطعم هو ملهى ليلي أو (كباريه) وفقا لما نعرفه الآن، إذ كان هناك العازفين الذين يقدمون ضوضاءا موسيقية غير مفهومة، والكثير من أكواب الجعة والخمور الرديئة، تقدمها فتيات لا حول لهن ولا قوة أمام الأنذال مرتادى المكان ومعاقرى الخمر، ويجب أن يصمتن وإلا فالعذاب الذى يقترب من الموت مصيرهن الحتمى، ولادية ولا عزاء!

ترى بينهن تلك الفتاة (بياترس) التى تقدم الخمر لرجل بدين عظيم اللحية والشارب، فيجذبها بعنف ليحصل منها على قبلات مقززة ويدور بيده على جسدها الرشيق، فتتأفف بصمت من رائحته ثم تنهض مبتعدة بينما يضحك هو كخنزير برى ويترجرج كرشه بشكل عجيب!لا يمكنها أن تفعل غير ذلك.. الحاكم اختارها وخدعها وانتهى الأمر.. دخلت للخلف كى تبكى قليلا كما اعتادت قبل أن تستكمل تقديم المشروبات للخنازير بالخارج!

مرت الليلة بطيئة كما تمر كل الليالى، ونالت أجرها الضئيل

وبعض الخبز واللحم، ثم سارت باتجاه الباب..

- (بياتريس).. لا تتأخرى غدا وإلا فلن تأخذى أجرك!

مضت فى طريقها دون أن تعير انتباها للصوت القبيح الذى أصدرته رئيستها بعدما ألقت جملتها القاسية، وعادت لمنزلها لتجد ابنها الوحيد نائما..

ملاك صغير فى السادسة.. مات أبوه منذ أعوام فى حرب لا يعرفون عنها شيئا، وتركه لها.. لا أحد يريد أن تعمل عنده هذه الأرملة إلا الحاكم الذى غرر بها ووعدها باشياء أدركت أنها لن تتحقق قط!

وعدها مالا وراحة ومعاملة جيدة.. ووجدت فقرا وتعبا وزبائن فظة حقيرة!

وضعت الطعام جوار ابنها حتى يتناوله عندما يستيقظ، بينما جلست فى الركن تتأمل التميمة التى بيدها..

* * * * * *

(فريدريك) كان على وشك الجنون.. يريد معرفة أكبر قدر من المعلومات حول ما يحدث.. يريد أن يفهم!

بعد تفكير ذهب للكنيسة وهو لم يذهب لها منذ فترة طويلة، ولم يكن هدفه الصلاة.. قابله الأب بالترحاب ثم جلسا يتناجيان.. يجب أن يتحدث معه بحكمة وحذر كى يحصل منه على ما يريده، فهو أكثر الناس علما فى هذه البلدة.. هكذا انتهز الفرصة فى منتصف الكلام وسأله:

– أسمعت يا أبتى عن أحد الناس يجب ألا يركعوا حتى لا يفقدوا اتصالهم بالأرض؟ أو ناس تحولوا لوحوش؟

هرش القس العجوز فى لحيته للحظات، ثم قال:

– لا أعرف ماذا تقول يا بنى، لكن ألفاظك هذه توقظ داخل عقلى بعض الذكريات البعيدة.. لا أعرف هل لها علاقة بما تريده أم لا، لكنى سوف أقصها عليك على كل حال!

قديما جاءت مجموعة من السحرة للبلدة.. أخذوا يقولون لنا بعض الأشعار والكلام غير المفهوم ويطلبون منا أى مقابل.. خبز أو قطعة لحم أو أى شىء، فانصرف عنهم الناس.. لم يهتم بهم أحد فأصابهم اليأس ورحلوا.. كان منهم سبع نساء عجيبة مخيفة لا ننساهم أبدا، ولما اختفى طفلان من البلدة تشاءمنا جميعا وقلنا أنهن ساحرات ومن حولهن سحرة، فحاولنا مطاردتهم لكننا لم نفلح! وكنا متأكدين أنهم أخذوا هؤلاء الأطفال.. على كل حال، لقد كان كلامهم قريبا من الجمل التى قلتها، وإن كان لكلامهم سحر عجيب على من يسمعه، كما ذكر الكثيرون أنهم رأوا هذه النسوة فى أحلامهم أو رأوهم فى يقظتهم بعد استيقاظهم.. هذا كل ما أعرفه!

ولو أردت رأيى يا بنى، أعتقد أنهن كانوا ساحرات.. ربما أنا لا أعرف!

شكره (فريدريك) ثم نهض مشوشا.. لقد صارت الأمور غامضة مخيفة للغاية!

* * * * * *

كانت الفتاة تجلس فى حجرة منزلها تتأمل التميمة فى عمق.. هناك جرس ما يدق فى روحها أنها تعرفها بشكل ما.. ثم مقدرتها الغريبة على القراءة فى مجتمع ينتشر فيه الجهل! متى تعلمت القراءة أصلا؟!

لم تصارح ذلك الرجل بهذه المعلومة أنها أول مرة تقرأ حسب ماتذكر، ولكنها الحقيقة..

تنهدت ووضعت رأسها بين كفيها وهى تتأمل التميمة وفجأة هاجمتها ذكرى عنيفة!

ولادة..

بطن منتفخة وألم رهيب..

أظافر سوداء تخمشها بلا رحمة..

تعاويذ!

وفجأة دخل ابنها ينتزعها مما هى فيه فحدقت فيه بذهول..

- ماما..

احتضنته، بينما تأمل هو التميمة بشغف وقال:

- ما هذا؟

ابتسمت فى حيرة متوترة وقالت:

- لا أعرف.. إنه شىء وجدته فقط.. أخبرنى عن يومك!

- تبدين على غير ما يرام.. هل أنت غاضبة؟

- لا .. حبيبى أنا فقط متعبة..

- هل لديك عمل اليوم؟

نظرت لعينيه الجميلتين بعض اللحظات وقالت:

- نعم.. لوقت قصير ثم أعود.. أعدك!

ظهرت خيبة الأمل على الطفل الصغير، فأردفت:

- لكن.. أتعلم شيئا؟ هذه ليلتى الأخيرة هناك! أعدك بهذا.

ما أن قالتها حتى ارتفعت صيحات الفرح من الصغير وانقض على أمه يضحك ويلاعبها على الفراش!

* * * * * *

- انتظر يا بنى..

قالها الأب الطيب، فالتفت إليه (فريدريك) مدهوشا، كان يبدو على الأب الطيب التردد، ويبدو أنه حسم أمره فقال:

- يا بنى.. مما سمعته أن من يبحث عنهم يهلك.. هناك خمسة بحثوا عنهم قديما وقد هلكوا جميعا.. أحدهم تعفن جسده وهو حى وكان صراخه يملأ الآفاق.. والثانى هجمت عليه كافة أنواع الحشرات والتهمته من الداخل.. كان يعانى آلاما لا يمكن تخيلها حتى أنه ألقى بنفسه فى النهر ليتخلص منهم.. والثالث أصابه الجنون وأخذ يأكل من لحمه الخاص.. ولا أذكر الباقين، غير أن الأخير قيل أنه مات غرقا أمام منزله على شاطىء النهر.. والمشترك بينهم كلهم..

أخذ نفسا عميقا ثم أردف:

– المشترك بينهم جملة تشبه ما قلته أنت الآن محفورة على أجسادهم.. انظر إلى الوحش الذى صرت عليه.. شىء من هذا القبيل!

– سيدى.. وهل لم يجدوا جثة هذا الأخير أبدا؟

– أبدا يابنى.. أبدا!

– إذن.. ربما كان من الخير أن أذهب لأرى منزله، ربما كان أحد ممن هناك يعرف شيئا يفيدنى.. أين كان منزله؟

– على شاطىء النهر كما قلت لك.. المنزل البرتقالى الوحيد ولن تجد جواره منازل أخرى.. أعتقد أن اسمه كان (رون)..

– شكرا لك..

– بنى، ما قلته لك ليس سرا، بل يعرفه كل من هم فى عمرى، لكن يجب أن تفهم شيئا.. أعلم أنهم قد عادوا ليفعلوا شيئا ما هنا، وربما كانت كل هذه قصص خيالية فقط، ولكن.. خذ الحذر يا بنى.. خذ الحذر!

حكى (فريدريك) كل هذا الحوار على (مارى)؛ والسبب أنه كان يريدها معه تؤنسه فى رحلته.. فى النهاية هو ليس لديه غيرها لتشد من أزره فى هذا الموقف، واتفقا على الذهاب معا لاستقصاء الأمر فى صباح اليوم القريب!

انتهى من كلامه معها وعاد لمنزله.. حمل بعض اللحم لكلبته الوفية، فقد تذكر أنه لم يضع لها طعاما طازجا منذ يومين.. دخل

للمنزل وأخذ يصفر بفمه مناديا إياها فى شرود..

لم تكن هناك استجابة، فدق قلبه فى عنف! هناك أوقات يتعاظم فيها إحساسك بالخطر وهو الآن يشعر بالخطر كأوضح ما يكون!

صفر مرة أخرى.. ولا رد!

بدأ يبحث عنها فى المنزل بحذر.. يصفر حينا ويلوح بالطعام حينا! هذه ليست عادتها لأنها كلبة شرهة أصلا!

وضع الطعام الطازج على الأرض وأخذ يبحث عنها، ولم ينتبه للدود الذى أخذ يزحف خارجا من الطعام!

- أين أنت عليك اللعنة!

صاح بها، فسمع صوتا يأتيه من خلفه.. تزلزل كيانه وهو يلتفت ليجد تلك القميئة الصغيرة..

التى رآها فى الحلم..

التى ذبحت وقتلت بدم بارد..

فى منزله الآن!

لا يدرى كيف لكن جسده كله ارتجف من الرعب حتى كاد يفقد النطق، لكنه صاح بصوت مرتجف:

- من.. أنت؟ اخرجى من منزلى حالا!

كانت تحمل شيئا غير واضح المعالم.. لفافة أو.. لا يعرف! وبصوت رهيب قالت:

- أين ما أخذته؟ يجب أن تعيد ما أخذته وإلا..

- أنا لم أفعل شيئا.. من أين جئتِ أصلا؟

- جئت من تحت الباب.. أستطيع فعل أشياء لا تتخيلها.. ومن اللألم تأتى قوة الحياة!

مع جملتها الأخيرة شعر بجسده يتشنج بشكل رهيب وعجز عن التنفس فسقط على الأرض جاثيا على ركبتيه أمامها!

- ومن الجرح نشعر بقيمة الحياة..

وبألم لا يتخيله رأى جرحا قطعيا طويلا يظهر على كفه.. كأن سكينا شق لحمه ببطء!

ثم..

رمت اللفافة التى بيدها ليجدها..

كلبته..

ميتة..

شقت بطنها بالكامل!

- غدا تعيد ما أخذته.. وغدا يعود لمكانه.. أنت من أخذته وأنت من يجب عليك أن تعيده!

ثم ضمت يدها فسقط على الأرض وأظلمت الدنيا فى عينيه تماما و..

فقد الوعى!

* * * * * *

فى الصباح..

طرقات حادة على باب منزل (فريدريك)..

رفع رأسه المشوشة من على الأرض.. لا يذكر جيدا كيف نام على الأرض.. كان هناك حلم سخيف..

حلم؟

لا.. لي حلما، كان واقعا حينما رأى جثة كلبته على الأرض أمامه..

- (فريدريك).. هل أنت بالداخل؟

نهض مذعورا وحمل الجثة ثم ألقاها خلف باب، وألقى بقطعة قماش على بقايا الدم المتجلط على الأرض.. مازال ذهنه مشوشا حتى أنه لا يعرف من ينادى.. بطنه مقلوبة تماما والغثيان يتملك منه إلا أنه تمالك نفسه، لكن ألم يده باغته فجأة، فربط شيئا على يده المجروحة بينما الطرقات تتوالى..

- قادم قادم..

أسرع وفتح الباب.. كانت (مارى) التى سألته بدهشة:

- أين كنت؟ ليس من عادتك النوم لكل هذا الوقت!

- آسف.. سأستعد حالا!

- وماذا تعتقد أننا سنجده هناك؟

- لا أعرف تحديدا ولكن.. يدور فى ذهنى أن الأخير هذا ربما كان مختبئا منذ عقود! ربما زيف موته!

- أنت تقول كلاما جنونيا..

- وما العقل فيما رأيناه حتى الآن؟.. عزيزتى.. سنذهب ونرى..

- ولكن..

صاح بها بعصبية بالغة:

- لا لكن! ليس هناك لكن! كل من تعامل مع هذه المخلوقات مات بطريقة مأساوية.. لابد أن هناك سرا يجب أن أعرفه قبل أن يأتوا إلى.. إنهم قادمون وأنا لا أريد أن أموت بمثا هذه الطريقة البشعة.. إذا كنت تريدين أن تظلى هنا فهذا شأنك!

قال كلماته وهو يندفع للاسطبل الخلفى حيث توجد الخيول، أما (مارى) المسكينة فقد اتبعته دون كلام آخر.. مهما كان فهو بحاجة لها ويجب أن تساريه فيما يريده!

* * * * * *

كان الطريق رائعا.. الجو رائع هذا اليوم رغم الغيوم التى تتكاثف فى السماء، والأعشاب الخضراء تترامى فى كل مكان، بينما زرقة المياه جوارهما تصبغ المكان بلون زاه رائع، ومما زاد من روعته أن الطريق كان جبليا مغطى بالخضرة.. كان (فريدريك) يحث الحصان على السير بينما تأتى (مارى) خلفه.. ومن بعيد شاهد مجموعة من الفرسان يتقدمون للناحية الأخرى.. لابد أنهم من المتطوعين فى الحملات الصليبية، ولحسن الحظ أنهم كانوا بعيدين عنه وإلا صدعوا رأسه بكلام كثير عن أهمية مايفعلونه، ولايهمه حقا الآن!

بعد ساعة تقريبا وصلا إلى وجهتهما.. صدق الأب حين قال أن منزله مميز، إذ أنه كان وحيدا بلا منازل جواره، ولونه البرتقالى

العجيب يتوهج وسط كل هذه الخضرة..

تقدما بهدوء حتى وصلا لباب المنزل، وهناك ترجلا وربطا الحصانين.. أخذ (فريدريك) نفسا عميقا وطلب من (مارى) الانتظار هنا لأنه لا يعلم ما بالداخل!

وعلى عكس فضول النساء المعتاد، لم تناقشه.. أومأت برأسها فى امتعاض وجلست على حجر قريب..

طرق الباب!

مرت ثوان بلا أى رد فعل، ثم فتح شاب وسيم الطلعة الباب..

- صباح الخير..

- صباح النور؟

- أريد محادثة (رون) من فضلك..

- سيدى.. (رون) مات منذ زمن بعيد..

- أعلم.. أخبره فقط أن.. يجب أن يثبت قدميه على الأرض حتى لا يفقد الاتصال، وأخبره أن الأمر بخصوص الساحرات!

نظر له الشاب شزرا متعجبا، أو ربما حملت نظرته اتهام وخطورة لكنه لم يعقب.. فقط أغلق الباب فى وجهه دون كلمة!

تراجع (فريدريك) للخلف، وأخذ يتأمل المكان.. بيت بسيط، ولا أحد حوله.. هناك قارب يرسو قريبا على الشاطىء، ومن الواضح أن لا نساء هنا لأن الملابس المنشورة ليست فيها عناصر نسائية!

بعد برهة انفتح الباب..

- تفضل!

وسار أمامه يتقدمه ويرشده إلى حجرة سيده..

لم يكن المنزل كبيرا، لكنه كان نظيفا منظما للغاية، وسرعان ما فتح أمامه باب ليجد شيخا طاعنا فى السن جالسا على فراش قديم يواجه نافذة تطل على النهر، وأمامه مقعد قديم.. كانت رائحة الحجرة قديمة وكأن كل شىء فيها لم يتغير منذ دهور.. أشار له العجوز بالجلوس فجلس، وأشار له بالكلام..

- احم.. سيدى.. الموضوع بخصوص (مينرفا) لو كنت تعرفها.. لقد قتلوها منذ عدة أيام!

رفع الشيخ حاجبا مندهشا ولم يعقب.. ثم قال:

- كيف عرفت أنى حى؟

- تخمين.. فقط تخمين!

- وماذا تريد؟

- أريد معرفة كل شىء.. إنهن قادمات فى إثرى.. أنت استطعت النجاة والهرب، ربما استطعت فعل مثلك..

ساد الصمت للحظات قبل أن يقول:

- ذات مرة رأيت (مينرفا) تفعل شيئا.. رأيتها تتمتم بكلمات جميلة لم أسمع مثلها من قبل.. وكنت على الشاطىء بعدما اصطدنا كما وفيرا من الأسماك نفرزها.. أسماك ميتة، وفجأة بدأت الأسماك تتحرك.. الخياشيم بدأت تتحرك.. الأسماك عادت تتلوى فى جنون

كأنما دبت فيها الروح فجأة..

ساحرات يابنى.. سبع ساحرات شريرات، يتلاعبن بالكلمات والألم والعقول، ومادمن جئن خلفك.

أخذ نفسا عميقا وأردف:

- فأنت تملك شيئا يريدونه بقوة.. اعطهم ما يريدونه يابنى.. لم تكن (مينرفا) خطيرة وإنما الباقيات هن سبب كل الألم.. هن الخطر، انظر..

ثم أزاح ملابسه ليرى (فريدريك) جروحا على بطن العجوز، جروح تشكل حروف وكلمات..

- هل تعتقد أنها كلام بسيط؟ إنها تسبب الموت يا بنى.. تسبب الموت لكل شىء أحبه.. زوجتى.. أبنائى واحدا تلو الآخر.. كل شىء! اعطهم ما يريدون وانته منهم..

- لا يمكننى.. لا أملك ما يريدونه!

- إذن.. اهرب!

* * * * * *

فى طريق العودة حكى لـ(مارى) ما حدث، ثم التزم الصمت تماما.. اين يمكن العثور على هذه الفتاة؟

ظل يفكر دون كلام حتى لاحت له القرية أمام عينيه.. نظر لها وللملهى الكبير على الأطراف، وفجأة التمعت فى عقله جملة مشوشة:

" يشبه كلام الحاكم الحقير الذى أقدم عنده الخمر ولكن

معكوسا.. يريدنا أن نركع"

قالتها تلك الفتاة فى المنزل.. ماذا كان اسمها؟

اتسعت عيناه وهو يسرع نحو الملهى القذر.. لابد أن يسأل عنها!

وفى نفس الوقت، كانت (بياترس) تستعد للرحيل من القرية! لن تعمل هنا مرة أخرى.. لقد انتهى كل شىء بالنسبة إليها ولن تتحمل حتى الاعتذار للحاكم عن العمل! سترحل!

كانت تنظر لعينى ابنها الجميلتين وهة تجمع الأغراض البسيطة.. كطفل كان سعيدا بالخروج والمغامرة القادمة.. وضعت كل أموالها فى صرة تحت حزامها وأخذت تتأكد أنها لم تنس شيئا!

أما (فريدريك)، وصل للمكان ودخل إليه.. بطبيعة الحال لم يكن به الكثير من الرواد فى هذا الوقت من اليوم.. هناك نادل وبعض السكارى لكن هذا كل شىء.. اقترب من النادل البدين وقال:

- مرحبا.. أنا أبحث عن فتاة جميلة.. لديها فستان واسع لونه أبيض وأزرق، وهى بيضاء مستديرة الوجه وشعرها كثيف، اسمها (بياترس)، هل يمكنك أن..

التفت إليه النادل وقال:

- اخرج من هنا!

- انتظر.. أنا لا..

- اخرج.. ألا تفهم؟ اخرج!

لم ينتظر..

كان يعرف ردود الأفعال العجيبة هذه فخرج، ووقف بالخارج يتنسم الهواء قليلا.. كانت (مارى) تراقب الوضع، ورأت علامات اليأس على وجهه، فترجلت من الحصان واقتربت منه، حين اقتربت منهما فتاة وتجاوزتهما باتجاه الملهى..

على الفور تحركت (مارى) نحوها..

- من فضلك.. نحن نبحث عن (بياترس)..

نظرت لهما الفتاة مدهوشة مع قليل من الذعر..

- من فضلك.. نحن لا نريد أذى.. نريدها فى أمر هام جدا!

غمغمت الفتاة:

- كل هذا الجنون.. إنها مجنونة.. تحلم بأشياء عجيبة و..

- أنا الرجل الذى كانت تحلم به.. من فضلك..

صدمة ضربت قلب وعقل الفتاة ولم تستوعب الأمر جيدا للوهلة الأولى!

نظرت له الفتاة متسعة العينين.. هزت رأسها وأشارت بإصبع مرتجفة نحو مجموعة منازل قريبة وأخبرته أن يبحث عن خامس منزل على اليسار..

وفى ذلك الوقت..

كانت (بياترس) قد جمعت كل أشيائها وتتجه نحو الباب حين رأت الباب ينفتح عنوة بقوة بالغة، ومن خلفه يظهر ذلك النادل البدين وعيناه تشتعلان، وما أن صار فى الداخل حتى أغلق الباب خلفه

بهوجائية تلوح فيها آثار الخمر!

كان يحبها، أو ربما يشتهيها منذ فترة.. كان غاضبا من تصرفاتها التى لاحيلة لها فيها، كان دائم الغيرة والسؤال عنها لكنها لم تعره اهتماما قط! وسؤال الرجل عنها أشعل نار قلبه.. إذا كانت تذهب لكل الناس فلماذا لا تأتى إليه؟

ما أن رأته حتى فهمت.. لن يكون هنا خير على الإطلاق! قالت لابنها بصوت مهزوز:

- ادخل حجرتك الآن يا صديقى..

أطاع الابن الكلام فورا واندفع لحجرته فى رعب..

- مطيع ابنك هذا.. يبدو أنه لم يرث هذه الصفة منك..

- ماذا.. تريد؟ ماذا تريد؟

اقترب منها ورائحة الخمر تفعم أنفها:

- أنت تعلمين أنى أحبك.. أنت تعلمين أن الحاكم أخى وبرغم هذا.. ترفضين الاقتراب منى..

وفجأة انهال على وجهها بصفعة مدوية انخلع لها قلب ابنها فى الداخل وهو يصرخ:

- لماذا؟ لماذا أيتها العاهرة؟ يأتى الرجال ليسألون عنك طوال الوقت وأنا لا؟

لم يعطها فرصة للحديث، بل جذبها من شعرها وأوقفها، ثم سحبها نحو إناء مملوء بالماء وهو يزمجر كالثور وغمرها فى الماء..

حاولت المسكينة إخراج رأسها لتعب بعض الهواء لكنه عاود تغطيسها وهو يرغى ويزبد.. مقاومتها تنهار، وفجأة هاجمتها نفس الرؤية!

نفس اليد المخلبية!

نفس البطن المشدودة..

كانت يداها تدفعان الأرض بجنون، حين لمست شيئا.. قطعة خشب ربما؟ أو لعبة؟ لعبة من ألعاب ابنها.. سيف خشبى، التقطته وببقايا قوتها ضربت فخذ الرجل الضخم الذى صرخ متألما وأفلتها.. خرجت من الماء تشهق وتنظر له.. انغرس بعض الخشب فى فخذه بالفعل! كان جرحا صغيرا جدا لكنه أخذ يولول كطفلة ثكلى! فقد كان مرفها غير معتاد على الألم.. رفعت (بياترس) السيف الخشبى الذى انكسر، وبكل قوتها غرسته فى عنقه!

جحظت عيناه ونظر لها فى ذهول مشوب بالألم.. حاول الكلام فخرجت منه غرغرة مخيفة فحسب، بينما تفجرت الدماء من عنقه وفمه المفتوح لتغمر ملابسه، وسرعان ما تهاوى على الأرض كدب عملاق تم اصطياده فى الغابة!

لم يمت فورا، إنما رفع نظره إليها وهو يحمل فزعا غير معقول.. لم يكن يتوقع ما صارت الأمور إليه! أخذ ينظر إليها نظرات كلها شر وحقد.. استعطاف..

رجاء!

زاغت عيناه بعدها وشرد إلى حيث ذهبت روحه بلا رجعة!

فى هذه الأثناء كان (فريدريك) يقترب من منزلها المتواضع، والذى كان قريبا للغاية من الغابات.. وقف أمام بابها للحظات ثم طرق الباب بحزم..

- (بياترس).. أنا (فريدريك) الذى قابلتيه فى منزل الأرشيدوق (شتايلر).. افتحى الباب..

كانت بالداخل تتهنه غير مصدقة..

تسمع الباب لكن..

يبدو أنها أصيبت بصدمة عصبية جعلت ردود فعلها بطيئة.. استدارت نحو الباب تسير، بينما برز ابنها من الباب.. ارتجف حين رأى هيئتها والدماء التى تغرق ثيابها.. صرخ:

- أمى.. ماذا حدث.. أمى!

من الخارج سمعه فريدريك، فعاد يطرق الباب بقوة:

- أنا أسمعك.. افتحى الباب..

وسرعان ما انفتح الباب ليجدها أمامه.. مبللة الشعر يتقاطر منها الماء.. ثيابها غارقة فى الدماء، وابنها خلفها ممتقع الوجه، ويبدو على وجهها آثار لطمة هائلة.. والدماء التى تلطخها؟ ماذا حدث؟

- لقد حاول قتلى..

لم يفهم.. نظر لها بحيرة وتساءل:

- من الذى حاول قتلك؟

- حاول قتلى.. أنا وابنى.. لقد قتلته.. أنا لم أقصد.. ساعدنى!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

لا حقا فى منزل فريدريك، وقد جلس مع (بياترس) وابنها .. كانت قد غيرت ملابسها وعقصت شعرها، ورغم كل شىء بدت جذابة للغاية!

كان يجلس جوار ابنها يتحدثان، حينما طلبت من الصغير أن ينام قليلا.. نظرت لـ(فريدريك) بعدها وقالت بخجل:

- اسمع.. هذا الرجل كان..

- لا أريد معرفة شىء.. انتهى الأمر.. أريد فقط الشىء الذى وجدناه سويا!

مدت يدها وأخرجته من وسط ثيابها الكثيفة ثم أعطته وقالت بلهجة مشوشة:

- ها هو.. لكنك ساعدتنا.. أنقذتنا.. أنت رجل طيب!

- رجل خائف.. أنا رجل خائف!

- ونبيل..

ساد الصمت للحظات ثم قالت بصوت خفيض:

- لماذا تهتم بهذه الـ.. لماذا تهتم بها على كل حال؟

- لأن.. هناك من سيفعل أى شىء لاستعادتها ويجب أن أعيدها!

- هؤلاء الذين قتلوا (مينرفا)؟

- لا يهم..

- لكن.. تلك المرأة أرادت أن نجدها!

- ووجدناها.. والآن يجب أن أعيدها.. الأمر بسيط.. سأعيدها وإلا.. لا أعرف لكن لن يكون الأمر بسيطا.. هم قادرون على الوصول إلىَّ فى أى مكان.. لا كلام يقال بعد ذلك!

هزت (بياترس) رأسها فى عدم اقتناع.. كانت تبدو متأزمة بشكل ما، لكنها لم تتكلم، بينما نهض (فريدريك) ليذهب للمنزل اللعين..

- هل ستعود؟

قالتها فى رجاء..

- ابقى هنا ولا تفتحى لأحد مهما كان الأمر!

قالها فى حزم، ثم مضى فى طريقه.. امتطى الحصان وبدأ يسير الهوينى تجاه المنزل.. كان الجو يزداد ظلاما والضباب يزداد كثافة، وزاد الأمر سوءا أن الرعد أخذ يشتعل من فوق رأسه..

وعلى مشارف المنزل وجد ذلك الخادم الوسيم واقفا يلهث! كان يبدو أنه واقفٌ منذ فترة؛ وما أن رأى (فريدريك) حتى قال له:

- سيدى يبلغك أن المرأة التى تم قتلها كانت قد أرسلت له رسالة منذ شهور.. وهو يعتقد أن الرسالة فيها شر كبير، وأن الرسالة موجهة لك! كانت تعلم أنك ستصل إليه بشكل ما،ويرغب فى رؤيتك على وجه السرعة إن أمكن..

أنهى كلماته ثم امتطى جواده وأخذ ينهب الأرض عائدا من حيث أتى!

* * * * * *

وفى نفس الوقت، كان (رون)العجوز يجلس فى حجرته المطلة على النهر يفكر.. يجب أن يرحل من هنا، ولكن مع التماع البرق رأى شيئا جمد الدم فى عروقه فلم يستطع الحركة مرة أخرى..

لم يستطع حتى التنفس!

* * * * * *

بينما كان (فريدريك) واقفا ينظر للحصان الذى يبتعد بسرعة.. قطعا لن يذهب لـ (رون) العجوز الآن.. ربما يذهب إليه فيما بعد!

رسالة له منذ فترة من امرأة رآها فى الحلم!

بدأت السماء تمطر بغزارة وكأنما خزائن ماء السماء انفتحت كلها مرة واحدة، فأخذ يجرى ليدخل منزل الأرشيدوق..

فى الداخل كان الأمر مختلفا بشكل يثير الدهشة.. الردهة مضيئة بشكل مجهول، وتلك المرأة القصيرة تجلس على إحدى المقاعد تعبث بشىء فى يدها.. لو دققت النظر لوجدتها دودة سوداء قبيحة المنظر!

وقريبا منها تجلس امرأة أخرى أمام منضدة عليها كأسان من مشروب أحمر اللون!

أهو دم؟

وكان الجو دافئا بشكل كبير!

ابتسمت الثانية وهمست بصوت كله دلال:

- يوم مخيف؟

- لا يهم..

ضحكت وهى تعيد رأسها للخلف، ثم قالت:

- أتعلم.. فى ظروف أخرى كنت أود أن أستعملك فى أشياء أكثر إثارة..

قال فى خشونة:

- أنا لست من هذا النوع.. هلا ننتهى من كل هذا؟

- أوه.. أنت فظ! لا يجب أن تكون فظا هكذا! أتعلم شيئا.. كنت أجلس أمام من هو مثلك ذات مرة، وقلت له بعض الكلمات البسيطة.. كلمات تسببت فى حمى شديدة وقروح دموية مخيفة..

كانت تتكلم وتعبث أيضا بدودة سوداء أخرى.. وأردفت:

- لن تتخيل الألم الذى يمكننى أن أسببه.. هل تحب أن ترى؟

ضرب الذعر قلب (فريدريك) بعنف.. أخذ يلهث قبل أن يحاول استجماع شتات نفسه ويقول:

- لم آت إلى هنا لأرى بعض الخدع السحرية.. لدينا أمور ننهيها!

ضحكت الساحرة بصوت عال، ثم أردفت:

- حسنا.. الأهم أولا.. أين هى؟ أريد أن أراها!

ازدرد لعابه بصعوبة ثم قال:

- ولكن.. عندى شروط أولا!

اعتدلت فى مكانها مندهشة وهى تمسك الكأس بيديها معا وقالت:

- شروط؟ هل أنا قد سمعت بشكل صحيح أم أنى قد أفرطت فى الشراب؟

- نعم.. أريد وعدا أنك لن تمسينى بسوء.. أنا أو (بياترس) أو ابنها!

- يبدو أنى سكرانة فعلا!

- عدينى وسأعطيها لك!

رفعت حاجبا وهزت رأسما مستهزئا وقالت:

- حسنا.. أعدك! بالمناسبة أنت لاتعرف شيئا عنها أليس كذلك؟ مجرد مساعدة حمقاء دون أن تفهم شيئا! لا تضع فى حسبانك أننا ربما كنا على صواب؟

لم يعقب على كلامها بشىء، إنما مد يده وأخرج لفافة صغيرة وفضها ليجد داخلها.. قرصا خشبيا!

تناولته من يده المذهولة بغضب، وبضغطة صغيرة فتته..

- هذا يثبت صدقى! يبدو أن فتاتك خدعتك.. يبدو أنها تتلاعب بك! وأنت.. أحمق!

* * * * * *

فى الوقت نفسه، كانت (بياترس) جالسة مغمضة العينين فى قلب الظلام، وسرعان ما فتحت عينيها.. يبدو أنها تنوى على شىء ما!

* * * * * *

- فتاتك لا تستحق الثقة سيد (فريدريك)..

اقتربت القصيرة من خلفه وهمست ببعض الكلام الغامض.. شعر بجسده يرتجف، ثم فجأة بصق بعض الدماء من فمه.. أنفه نزفت أيضا.. نظر ليده فإذا ببقعة دماء تنتشر مكان الجرح السابق!

مدت الجالسة أمامه بقطعة قماشية نظيفة بطريقة راقية فيها الكثير من التهكم، فأخذها ومسح ما نزف من فمه..

- أحضر لنا ما أخذته سيد (فريدريك)، ولا تنتظر منا رحمة بعد الآن!

* * * * * *

وفى بيت فريدريك، كانت (بياترس) تتقلب على فراشها..

تتلوى..

واضح أن التفكير يغلبها بشكل كبير.. ثم..

سمعت طرقات على الباب.. طرقات رقيقة متكررة بإلحاح..

نهضت (بياترس) لتنظر.. تكررت الطرقات مرة أخرى، فشعرت بالقلق.. وقفت جوار البابا وهمست:

- (فريدريك)؟

جاءها الصوت مألوفا، لكنه ليس صوت (فريدريك).. صوت آخر تعرفه جيدا:

- افتحى يا (بياترس)..

دون وعى حقيقى منها فتحت الباب، لتدخل تلك الواقفة بالخارج.. (مينرفا)!

* * * * * *

- (مينرفا)؟

ابتسمت ودخلت، ثم دلفت للمكان تتأمله.. وما لبثت أن التفتت إليها وقالت:

- هل تذكرت يا عزيزتى؟

شعرت (بياترس) بالتشتت.. والرعب!

- كيف؟ لقد رأيتك تموتين.. لقد متى!

- لا يهم.. لكن.. يجب أن تعرفى شيئا.. كل هذا من أجلك أنت.. إنهم يحسدونك.. إنهم يشعرون بالغيرة منك.. لقد كنت دوما تملكين القدرة على الشعور بأشياء لا يمكن لأحد الشعور بها..

- لا أفهم..

- لا يهم أن تفهمى الآن.. سرعان ما ستتذكرى كل شىء.. وأنا معك يا صغيرتى.. أنا معك!

- أنا.. مشوشة!

- أنت مميزة.. كم هو محظوظ ذلك الرجل الذى معك بوجوده معك!

هنا شعرت (بياترس) بالخطر يدق فى مؤخرة رأسها ناقوس الخطر! لقد اختارت (مينرفا) (فريدريك) بالذات لكى ترسل إليها إحساسها بالخطر! لقد كانت تستنجد به..

والآن..

تقول: (ذلك الرجل) بهذه اللهجة المستهجنة؟

تراجعت (بياترس) خطوتين للخلف وارتجفت وهى تعيد الحديق فى وجه الواقفة أمامها، واغرورقت عيناها بالدموع وهى تهمس:

- من أنت؟

ظلت الواقفة تنظر لها بشك.. تعيد النظر متعجبة وهى تنحنى للأمام، ثم اعتدلت وتنهدت تنهيدة عميقة قبل أن تقول:

- كالعادة.. أخطىء فى تفصيلة! ربما لم يكن يجب على أن أذكر هذا الغبى الذى ترافقينه!

ثم مدت يدها تمسح وجهها وتجذب جلدها ليتبدى تحته وجه ساحرة شمطاء من اللاتى قتلن (مينرفا)! وبصوت أجش مخيف قالت:

- مفاجأة.. وخدعة!

امتقع وجه (بياترس) وهى تنظر إليها..

- هل تذكرينني؟

- الكاذبة.. المخادعة..

ضحكت الشمطاء العجوز وهى تقول:

- تعود لك الذاكرة رويدا رويدا.. وأنا يبدو أننى أفتقر للمارسة!

- ماذا تريدين منى؟

- أنت تعلمين ماذا أريد..

ارتجفت (بياترس).. لابد أنها تتكلم عن ابنها! هى لا تملك غيره، لكن..

- لا يمكنك أن تأخذيه منى! هذا ضد القواعد! أنا أذكر القواعد جيدا!

ابتسمت العجوز مرة أخرى وهى تقول باستهزاء:

- القواعد.. نعم.. القواعد التى لاتتبعينها! عزيزتى.. يجب أن نتفاهم!

* * * * * *

فى منزل الرجل العجوز (رون) على البحيرة، عاد الخادم من إيصال رسالته ودخل لسيده فوجد منظرا مخيفا.. فى ظلام الحجرة كان سيده يرقد على الفراش، وأمامه تقف فتاة رائعة الجمال مسربلة بالسواد تتكلم ببطء فتثير القشعريرة والخوف:

- لا تخف..

لا تتوتر..

كان يجب عليك أن تظل مختفيا..

الليلة ستموت..

ولكن.. ليس بسرعة!

سأحرص على أن نظل معا لساعات طويلة..

لا تخف..

* * * * * *

كان (فريدريك) يشعر بالغضب.. لقد تركوه يرحل فقط كى يعود بهذا الشىء الملعون، والذى هو ضمان حياته الوحيد، فكان يدفع

حصانه للجرى بجنون نحو المنزل.. من بعيد شاهد بعض الفرسان يتغنون بالأغانى الحماسية التى تدفع فى قلوبهم بالشجاعة، إذ أنهم كانوا يذهبون أيضا كسابقيهم للمشاركة فى الحملات الجديدة!

لم يهتم..

وسرعان ما وصل للمنزل واقتحم باب المنزل على (بياترس) الجالسة على الأرضية الخشبية الباردة فى ركن مظلم، وصرخ فيها:

- ماذا فعلت أيتها اللعينة؟ وأين ذلك الشىء؟

رفعت عينيها إليه وهمست:

- لقد أخذوا ابنى!

شعر بالصدمة.. همس لها وهو يجثو على قدميه:

- لماذا.. لقد أرادوا ذلك الشىء فحسب!

- لم أستطع إعطاءه إياهم لأنى.. تذكرت كل شىء!

كانت تتحدث بصوت متهدج بينما تنساب دموعها على وجنتيها.. التزم الرجل بالصمت بينما استدركت هى:

- أنا.. منهم!

شعر بالصدمة..

- لكن.. أنت لا يمكن أن تكونى ساحرة.. أنت لست منهم ولست مثلهم فى شىء..

انهمرت من عينيها الدموع أكثر.. فتحت يديها لترى الدائرة متوهجة كالذهب فى يديها وهى تكمل:

- التميمة.. هذه حياتنا.. هذه هى مصدر قوتنا، وبدونها لن نعيش ولن تكون لدينا قوة..

كنت معهم لكنى لم أحب ما يفعلونه، لأنى كنت قادرة على الحب.. كنت قادرة على فعل ما لايستطيعون فعله، الزواج والإنجاب.. ولهذا كانوا يشعرون بالغيرة.. كانوا يكرهوننى، فقرروا عقابى!

أخذوا تميمتى، وعلى شاطىء قريب يمتلىء بالسواد وقاذورات البحر دفنوها.. وقتها نسيت من أنا.. نسيت قوتى وحياتى، ثم باعونى للحاكم الفاسد ليرونى وأنا أتعذب وأتألم بلا حيلة ولا قوة..

أما (مينرفا).. كانت مختلفة أيضا، فلم تدع الأمر يستمر طويلا.. كانت (مينرفا) عندها القدرة على رؤية المستقبل.. ترى كل شىء إلا ما يتعلق بهم فقط، لكنها كانت قادرة على بعث رؤيا بمستقبلهم لنا فيمكنهم رؤية ما سوف يحدث ويحكونه لها، ولهذا بعثت لك برؤياها يوما بعد يوم..

كانت خائفة ولا تفهم.. رؤيتها الواضحة لنا كانت غير واضحة لها! كانت تبعثها لك ولى، تستنجد.. كانت ترى المستقبل ولا تملك تغييره!

(مينرفا) لم تدعنى أتألم، فاستخرجت التميمة من الشاطىء الأسود، وهنا بدأت الذاكرة تعود لى رويدا رويدا، لكنهم اكتشفوا الأمر وقتلوها!

قتلوها بطقس الانتهاء حتى لا تعود مرة أخرى! خرجت الأولى

لتشهد موتها وتعود لمكمنها مرة أخرى.. نحن نستمد قوتنا كلها من الأرض، فإذا ركعنا صار من السهل قتلنا..

الجملة الأخيرة عجيبة.. الأولى و.. قوة الأرض؟

وعلى الرغم من عجبه إلا أن الصمت ساد للحظات.. كان (فريدريك) لا يكاد يفهم شيئا، فسأل فى حيرة:

- ولكن.. ما شأنى أنا بهذا كله؟ لماذا اختارتنى؟

أمسكت (بياترس) بيده وهمست:

- لا أعرف.. ربما لأنى كنت سأختارك.. ومن الناس جميعا سأصطفيك لتكون جوارى..

اشتد بقلبه العجب! هل أعجبت به أم ماذا؟ وهل هذه ظروف يتاح فيها الحب والإعجاب؟

ثم مسحت على يده المجروحة فاختفى الجرح كأنما لم يكن له وجود! ارتجف (فريدريك) وسأل فى وجل:

- من أنت؟

- أنا (بياترس)..

أنا الساحرة السادسة..

أنا ابنة القلب..

أنا التى تملك القدرة على الحب..

أنا التى تقف أمامك بلا خوف..

قرنت كلامها بأن وضعت التميمة بين يديه وأغلقت يده عليها

بكلتى يديها، ثم قالت:

- ها هى.. أعدها إليهم، لقد انتهى كل شىء..

- لا لا لا.. لا يمكن.. لا يمكن.. هذا الشىء الوحيد الذى يبقيك حية وربما أنا كذلك.. لا يمكن أن ينالوه.. لم أكن أفهم شيئا فى البداية لكن الآن.. ربما أنا أخذته من هناك ويجب على أن أعيده وينتهى الأمر؟

لم تكن تستمع إليه.. كانت تسير فى الحجرة ويبدو عليها التفكير العميق، ثم قالت فى شرود:

- السابعة..

نحن لم نرها قط إلا هذه المرة..

صنعتنا واختفت! هى أصلنا..

هى التى حولتنا لنكون مساعدين لها فى الأساس، وأعطت كلا منا قوتها..

كانت تكلفنا بالمهمات فى أحلامنا..

لم نرها وجها لوجه أبدا ن لكننا نعلم أنها الأقولى والأشرس والأكثر خطورة..

هى الأقوى والأضعف!

هى التى أخذت حياة كل منا لتضمها لنفسها..

هى التى لو أصيبت بمكروه فسيموتوا جميعا وأنا..

إنها دوما تختبىء حتى تصير أقوى!

- واين تختبىء؟

- لا أعرف.. يقولون أنها فى ثنايا القلب.. لا أفهم معنى ذلك!

- و(مينرفا)، هل كانت تعرف مكانها؟

- لا أعرف أيضا، لكن لو كانت تريد قول شىء لقالته.. (مينرفا) كانت تريد النجاة مما فعلته فحسب!

- لحظة.. هناك أمر ما.. خادم (رون) قابلنى وأخبرنى أن سيده لديه رسالة لى، من (مينرفا) نفسها! رسالة ربما بعثتها لى منذ فترة! أنت تقولين أنها ترى المستقبل، فربما كان لهذا علاقة؟

- إذن؟

- إذن، هيا نذهب إليه..

* * * * * *

كان (فريدريك) يشعر بالإرهاق كما لم يشعر من قبل.. لا يدرى منذ متى لم يأكل شيئا تقريبا، ولم ينل قسطا كافيا من الراحة، لكن لا وقت لكل هذا الآن.. كان ينهب الأرض بحصانه ومن خلفه (بياترس).. كان منظرهما مثيرا خاصة مع شعرها الذى يتطاير خلفها، وكان الحصان ينطلق بأقصى سرعة ممكنة وكأنما يشاركهما التوتر ويريد الانتهاء من كل هذا سريعا!

وسرعان ما وصلا للمنزل.. ترجلا وهما يلهثان ونظرا للمنزل القابع فى الظلام.. وكما قال لـ(مارى) من قبل قال لها:

- انتظرينى هنا.. لا أعرف من بالداخل، أو ماذا بالداخل.. لا نريد مفاجآت سيئة!

وهى أيضا لم تعترض وكأن الموقف يعيد نفسه، فأومأت برأسها إيجابا فى هدوء مستسلم، بينما دلف هو مباشرة للمنزل الذى كان مفتوحا، وهو شىء غريب!

دخل للبيت الصامت والمظلم تماما إلا من بصيص الضوء القادم من الخارج.. سار بضعة خطوات ثم هتف بصوت منخفض على استحياء:

- سيد (رون)؟

جاوبه الصمت المطلق.. لا شىء، فأكمل سيره متوجسا.. هذا الهدوء لا ينذر غير بالشر حتما!

وصل إلى باب غرفة العجوز، وفتح الباب.. كان العجوز راقدا على ظهره ينظر للسقف وشفتاه ترتجفان..

- سيد (رون)، أأنت بخير؟

اقترب منه أكثر، ثم لاحظ أن عينيه تتحركان نحوه، بينما تسيل الدموع على وجنتيه..ولا تعبير على وجهه على الإطلاق! ولكن..

الغطاء الذى يستدفىء به.. إنه ملوث ببقع من الدماء!

رفع الغطاء ليجد الهول..

مئات من الديدان السوداء تعبث بجسده، وتنتقل من جرح إلى آخر بحرية تامة! والعجوز المسكين متجمد غير قادر على الحركة!

صرخ (فريدريك).. صرخ ثم التفت خلفه ليعدو بعيدا عن هذا الفزع والألم! خرج من الغرفة بسرعة ليصطدم بالخادم الوسيم الذى

انقض عليه بسكين يريد نحره!

تراجع للخلف فورا ونظر للخادم.. كانت ملامحه غريبة للغاية، تحمل الذعر مع الألم والخوف وليس فيها شىء من الشر! انقض عليه مرة أخرى وهو يصرخ:

- ساعدنى.. لا أستطيع.. التحكم..

قالها وهو يهوى عليه بالسكين، وهذه المرة مست السكين ذراعه فأدمته..

- توقف.. توقف..

- لا أستطيع.. لا أعرف.. إنه أقوى منى!

هنا انقض عليه (فريدريك) بدوره ليسقط معه على الأرض، لكن الخادم تخلص منه بقوة غير طبيعية، وألقاه جانبا ورفع السكين عاليا، حين توقف بغتة وهو ينظر للأعلى مدهوشا، ومن خلفه كانت (بياترس) تمسك رأسه وتهمس فى أذنيه بكلمات، سرعان ما تهاوى على إثرها على الأرض ينتفض..

- ماذا فعلت به؟

- جعلته يهدأ.. إنه ليس مضرا للآخرين.. هو مضر لك فقط.. لقد جعلوه أداة لقتلك فحسب!

ثم نظرت للفتى الملقى على الأرض وقالت بصوت رقيق:

- أعتذر.. بمجرد ذهابنا ستتحسن.. أين الرسالة التى كان (رون) يريد أن يريها لـ(فريدريك)؟

بصعوبة بالغة اشار الفتى لحجرة (رون).. صاح (فريدريك) أنه لن يدخل هناك مرة أخرى..هزت (بياترس) رأسها ودلفت للحجرة.. ظلت هناك بضع دقائق سمع فيها ترنيمات بصوتها.. ترنيمات عجيبة غير مفهومة، مع أنات خفيفة لا شك أنها صدرت من (رون) نفسه، ثم خرجت دامعة العينين وبيدها اللفافة، وبلا صوت سارت صوب باب المنزل!

وهما يبتعدان سألها:

- كيف عرفت مكان اللفافة؟

- أخبرنى (رون)..

- وماذا فعلت بـ(رون)؟

صمتت لثوان، ثم نظرت للأرض وهمست:

- أرحته من عذابه!

لم يحب أن يستفسر أكثر.. المهم الآن هو معرفة ما الموجود فى هذه اللفافة! هكذا فتحت اللفافة وقرأت:

- عليك أن تذهب لملجأ كنيسة (بورشيمايستر).. اتجه للغرفة 13،وهناك ينتهى كل شىء!

نظر لها (فريدريك).. هذه الكنيسة تبعد مقدار يوم كامل.. كان الكل يعرفونها، منذ أن احترقت قديما بكل الأطفال الذين كانوا فيها، ومنذ عقود لم يدخلها أحد! صارت مبنى مشهورا يخشى الناس الاقتراب منه!

لكن..

ليس هناك حل آخر..

يجب أن يكونوا هناك حتى ولو كان القادم مجهولا..

هكذا طوت اللفافة وقالت:

- هيا بنا..

- انتظرى.. و(مارى)؟ قريبتى الوحيدة.. هل يستطيعون الوصول إليها بأى شكل من الأشكال؟

نظرت لعينيه قليلا.. كانت عيناها تشيان بألم قاتل وخوف جارف على ابنها المختفى.. همست:

- أرجوك هيا نسرع.. لا أعتقد أنهم وصلوا إليها بأى شكل.. أرجوك.. ابنى هناك.. أنت لا تعرف مالذى يمكن أن يفعلوه.. إذا أردت الطمئنان عليها فلا بأس، ولكن أسرع.. أسرع!

حسنا.. لن يأخذ الأمر كثيرا.. سنمر فى كل الأحوال على القرية، ومن هناك ننطلق إلى الكنيسة.. وهذا الحصان قد أجهد أيضا، ربما كان من الخير أن نحضر عربة مغطاة لأننا سنسافر ليلا..

هكذا فكر (فريدريك)..

* * * * * *

أمام منزل (مارى) توقف.. طرق الباب بلا أى رد، فدخل.. لا يعرف لماذا يشعر فى قلبه بكل هذا الخوف..

دخل المنزل وأخذ يبحث عن (مارى) وينادى باسمها على

استحياء.. هل ياترى مازالت فى مطعمها؟

إلى أن وجدها جالسة فى حجرة نومها.. كانت تعطيه ظهرها وتهتز كأنما تأكل شطيرة! اقترب منها فى هدوء وجل.. منظرها ليس مريحا على الإطلاق.. ماذا تأكل هذه الفتاة؟

عندما اقترب منها صرخ وانقض عليها يمنعها مما تفعله.. كانت تأكل أصابعها!

زمجرت الفتاة وحاولت الإفلات، لكنها ثبتها على الأرض وصرخ:

- (بياترس).. ساعديني..

فورا جاءت (بياترس) تحاول معه منعها، وقيدت يديها خلف ظهرها..

- ساعديها.. أوقفيها.. أنت أوقفت الرجل هناك..

هزت رأسها فى أسف قائلة:

- آسفة.. لست أستطيع فعل كل شىء.. آسفة!

- وما معنى هذا؟

- سوف تستمر.. ما أن نفك قيدها حتى تستمر حتى تموت.. إنها طريقتهم! ولا أعرف كيف أوقفها!

انهار (فريدريك).. لم يعد بوسعه الاحتمال، ووجدت (بياترس) نفسها غير ذات جدوى، فقالت بصوت مشوب بالأسف:

سأخرج لأحضر بعض الماء من الخارج..

لم يرد على الفور.. كان ذاهلا لا يمكنه التفكير بوضوح.. استلقى

جوار (مارى) وهو يهمس:

- أرجوك تمالكى نفسك..

أرجوك..

أنت كل من أملك فى الدنيا الآن..

أرجوك..

يجب ألا تكون هذه النهاية بمثل هذه البشاعة..

أعرف أنك قوية.. أعرف أنك تستطيعين المقاومة..

قاومى..

فجأة أتاه صوت (بياترس) من خلفه يحمل شيئا من الجفاف:

- أعتقد أنى أستطيع مساعدتها.. لست متأكدة لكن.. ربما!

نهض ونظر لها مندهشا من تبدل موقفها السريع:

- حقا؟

- نعم.. ولكن عليك بالخروج قليلا..

خرج على الفور، وأغلقت (بياترس) الباب.. ظل يدور حول نفسه، بينما تتعالى صرخات (مارى).. مالذى تفعله تلك الحمقاء، أم أنها تقوم فحسب؟

الصرخات تتعالى أكثر وأكثر، وهو يحاول أن يسد أذنيه بيديه، وفجأة وقع نظره على النافذة ليجد (بياترس) عائدة تحمل بعض الماء!

إذن..

من التى بالداخل؟

اندفع يجرى باتجاه الغرفة ليجد امـرأة عجوزا تخرج.. نفس المرأة التى انتحلت شكل (مينرفا) من قبل! وبصوت لطيف قالت:

- أحذرك من الدخول هنا يا سيد..

لكنه دخل.. ولم يتمالك نفسه من الذى رآه، فانهار صارخا كما لم يفعل طوال حياته..

هذا كثير جدا!

ومن خلفه جاءت (بياترس) تجذبه ليبتعدا عن هنا!

* * * * * *

كان الطريق طويلا شاقا..

الأيام الأخيرة حملت من الألم والإرهاق ما لم ره خلال عمره كله.. بالفعل أخذا عربة يجرها حصانان، وانطلقا صوب الكنيسة، وفى الطريق ترك لها لجامه وذهب فى نوم عميق أقرب لفقدان الوعى!

استيقظ مع بزوغ النهار، والضباب شديد الكثافة.. لولا وجود الطريق واضح المعالم لضلا طريقهما أكيد وسط كل هذا البياض الذى وجدا نفسيهما فيه..

استيقظ ليجد أنهما تقريبا أمام الكنيسة!

نظر لـ(بياترس) بعينين منتفختين وهمس:

- أريد إيذاءهم..

أريدهم أن يموتوا..

لم تعلق (بياترس) وإنما قالت:

- لابد أن الأخيرة تختبىء هنا.. لابد أنها فى وعاء أو.. سنجدها!

نظر لها وقال:

- ماذا سيحدث عندما أموت؟

- هذا شىء سيحدث حتما.. الكل سيموت يوما!

- وأنت؟ هل ستموتين؟

هزت رأسها بلا معنى وقالت:

- ابنى سيعيش.. لقد عشت أعمارا فوق عمرى.. ولكل شىء نهاية!

قالتها ثم مدت يدها تحتضن يده..

وسرعان ما كانا يدلفان للمجأ القديم..

كان المكان مهجورا.. لا يدل على وجود حريق ضخم كما كانوا يسمعون، لكن بالتأكيد توجد آثار حريق متفرقة!

- أسرع.. لن يمض وقت طويل حتى يجدونا!

أخذا يبحثان عن الغرفة 13.. كانت فى نهاية الممر مغلقة الباب.. جرب (فريدريك) أن يفتحها فانفتحت، وفى الداخل كان لا يوجد شىء تقريبا إلا خزانة خشبية قديمة، وسرير قديم بلا أخشاب أو فرش، وحوض استحمام!

تقدما داخلين، كانت الخزانة قديمة وعليها نقش ما.. حروف.. نفضت (بياترس) التراب من عليها وقرأت:

– عدنى أن أكون قلبك للأبد! ما معنى هذا؟

شعر (فريدريك) بالصدمة.. هذه الجملة!

على الفور عصفت بعقله ذكريات مؤلمة..

– عدنى أنك ستحبنى للأبد..

– أعدك..

– أحبك..

لابد أن هذا له معنى ما.. لابد أن هذه الخزانة تتعلق به، لذلك تقدم نحوها وفتحها بكل قوة ليجد داخلها..

طبق من الفضة!

كان يلمع بشدة ولاتبدو عليه آثار السنين، حتى أنهما رأيا فيه وجهيهما بكل وضوح كأنه مرآة!

ضيقت (بياترس) عينيها فى تفكير عميق وهى تحاول تحليل المعلومات أمامها..

أخذت الطبق وتفحصته قليلا.. لابد أن له مغزى ما!

مرآة.. مرآة

هل هذا الطبق مرآة؟

نظرت للطبق وعكست عليه صورة (فريدريك) ثم اتسعت عيناها فى رعب..

شهقت..

نظرت لـ(فريدريك) بفزع وهمست من بين دموعها وأسنانها:

- لا يمكن.. إنه أنت!

- أنا؟

- أنت.. أنت الوعاء الذى تختبىء فيه السابعة!

- ماهذا الـ..

- صدقنى.. أنا رأيت! لن ترى مادمت لست واحدا منا.. أنا رأيت.. أنت الوعاء.. أنت هو الوعاء!

- لالا .. غير ممكن..

قالها وهو يبتعد، فجرت وراءه توقفه بأسئلة متلاحقة:

- فكر.. كنت تعرف فتاة، صحيح؟ من هى؟ كيف عرفتها؟ ةلقد ظهرت فى حياتك فجأة اليس كذلك؟ لقد جعلتك تقع فى غرامها؟ ماذا تعرف عنها؟ أجبنى!

لقد تركتك ورحلت فجأة؟ أنت لا تفهم!

كان رأسه يدور مع كل هذه الذكريات التى تضرب جوانب عقله بلا رحمة..

لكن..

صحيح أنه لا يعرف عنها شيئا!

- لا.. لماذا أنا؟

- لأنها تعلم أنك لن تنساها ابدا.. أنت المكان الأنسب لتختفى!

كان يهز رأسه يمينا ويسارا فى ألم.. يبكى وعضلات وجهه كلها تتشنج.. كان يحبها كما لم يحب شيئا فى حياته من قبل قط! لكن

كلامها لايمكن تصديقه!

إنها تهذى!

- إنها داخلك يا (فريدريك)..

فى ثنايا قلبك أنت!

كان يذكر..

يذكر ضحكهما.. لعبهما..

يذكر مغامراتهما فى قلب الغابة..

يذكر لقاءاتهما المحمومة..

قبلاتها الشهية..

عناقها..

- إنها فى قلبك..

ارتجف صوته من فرط التوتر والبكاء وهو يقول:

- أريدها أن تخرج من قلبى..

احتضنته وهى تقول:

- أعلم كيف أفعل هذا.. أعلم كيف.. ولكن عليك أن تخبرنى ما الذى حدث بالضبط.. وبالتفصيل!

وفى الخارج، انفتح الباب لتدخل أشباح طويلة مخيفة! نسوة ترتدى ملابس سوداء، يمشين وكأنهن يطفن فى الهواء..

أما فى الأعلى، كان (فريدريك) انتهى من شرح ما حدث.. أخذت (بياترس) تتلفت حولها، ثم أحضرت ملاءة قديمة ولكنها قوية، وفورا

صنعت منها بعض الحبال وعلقتها فوق حوض الاستحمام، بحيث تتدلى منها أنشوطة، ثم استدارت له وقالت:

- عندما تشعر هى أنك فى خطر ستخرج.. ووقتها يجب أن نعلقها فى هذه الأنشوطة ونمنع صلتها بالأرض تماما.. سيكون الأمر عنيفا لأنها تدافع عن وجودها وحياتها..

فريدريك، يجب أن تقتلها!

وقرنت كلامها بأن أحضرت قطعة قماشية وبللتها ببعض من مياه المطر الذى بدأ فى الهطول بالخارج.. عادت له والرياح تعصف بشعرها وهمست:

- مستعد؟

هز رأسه فى ألم.. كان وجهه يرتجف وعضلاته تختلج.. مازال يحبها!

- لا أريدك أن تموتى..

ابتسمت بكل حزن الدنيا واغرورقت عيناها بالدموع وقالت:

- عدنى أنك ستعتنى بابنى..

امتلأت عيناه بالدموع.. لم يكن يستطيع الكلام.. بصعوبة قال:

- أعدك..

- عدنى أنك ستحبه.. ستكون له أبا..

هز رأسه موافقا، بينما نظرت هى لأسفل.. طلبت منه الرقود على الأرض، ثم اعتلته حتى لايمكنه الإفلات ووضعت القطعة على أنفه!

للحظات كان بإمكانه التحمل، لكن بدأ صدره يضيق..

يريد الهواء..

عضلات صدره تضيق، فيجاوبها ألم من بطنه.. يهز رأسه ذات اليمين واليسار، لكنها تسيطر عليه بكل قوتها.. الهواء يضيق فى رئتيه والألم يجتاح صدره بجنون، فيحاول التماسك لكن الموت يلوح..

يصرخ بصوت مكتوم.. لايريد الموت لكنه سيموت..

سيموت!

حاول المقاومة بلاجدوى! لم يتخيل أنها بهذه القوة.. يئن، بينما هناك غمامة تتكون على عينيه..

يوشك على فقدان الوعى بينما جسده يتشنج محاولا اقتناص أى نسمة هواء، وفوقه (بياترس) صارمة يزيد ضغطها ولا يقل، حتى بدأ جسده يتراخى ووعيه ينسحب!

وفى الردهة بالخارج كانت الساحرات يسرن.. يطفن فى المكان بهدوء كأشباح صامتة، بينما فقد (فريدريك) الوعى.. كانت (بياترس) تبكى وتهمس فى أذنه:

- لا تقلق، إنها قادمة.. إنها قادمة.. لا تقلق!

تراخى جسده تماما..

بدأ نفسه يتوقف..

هل من الممكن أن تكون مخطئة؟

فكرت فى ذلك عندما رأت دودة سوداء قبيحة الشكل تزحف

جوار رأسه على الأرض..

ثم..

شعرت بقوة جبارة تنتزعها من فوقه، ثم صرخ (فريدريك) صرخة عظيمة تجسدت على إثرها حبيبته جواره عارية!

* * * * * *

على الفور نهضت (بياترس) تمسكها بينما أخذ هو يسعل ويسعل محاولا استجماع قواه..

كانت الساحرتين تتنازعان، وإن مالت كفة القوة ل (بياترس) التى صرخت وصرخت وهى تجذبها نحو الأنشوطة.. بعينين غائمتين رأى (فريدريك) هذا المشهد فنهض مترنحا خائر القوى، ولكن جذبها بشدة حتى الأنشوطة، فتركتها (بياترس) بين يديه وجرت تجذب الحبل سريعا حتى صارت الفتاة معلقة من وسطها فى الهواء!

هنا انهار (فريدريك) فاقد الوعى..

وقعت جواره (بياترس) تنظر..

صدره يتحرك ببطء..

رفعت رأسه وهمست:

- ابق معى من فضلك..

وبدأت تتمتم بما تتمتم به.. لا تجيد غير السحر ويبدو أنها بارعة فيه.. ما أن انتهت حتى فتح شهق (فريدريك) شهقة عنيفة وفتح عينيه ونظر لها.. نظرت له بفرحة غامرة، ثم وضعت بيده سكينا..

فى الخارج كانت الساحرات يقتربن من الباب ومعهن الطفل..

فى الداخل.. سار (فريدريك) نحو الفتاة المعلقة..

حبيبته..

نظرت له بكل عطف ممكن.. همست:

- فريدريك؟

- لا تستمع إليها.. إنها عاهرة! اقتلها!

- انتظر (فريدريك) لا تقتلنى.. إنها كاذبة!

- اقتلها يا فريدريك.. لا تنتظر..

- أرجوك لا تقتلنى.. إنى أحبك..

- اقتلها..

- ألا تذكرنى؟

- أنت لست حبيبتى.. أنت تركتينى فى ألم.. أنت تركتينى أعانى..

- اقتلها قبل أن تضعف..

- انظر لى.. كان بإمكانى اختيار أى شخص، لكنى اخترتك أنت..

كان يعانى.. ينظر لها ولا يتحمل فكرة موتها مرة أخرى، لكنها خدعته.. تركته يموت كل يوم ألف مرة!

- أنا اخترتك لأنى أحببتك يا فريدريك.. أنا ما أنا عليه.. أنا بلا اختيار!

- اقتلها.. لا تستمع.. انته من هذا الأمر!

- أنت تعلم أنى أحبك..

- لا تستمع وانظر إلى.. إنها مخادعة!
- لقد وعدتنى أنك ستحبنى للأبد.. اليس كذلك؟
- لماذا؟ لماذا أحبك؟

فى هذه اللحظة انفتح الباب ودلفت بقية الساحرات بكامل سطوتهن.. اعتدلت الفتاة فى الهواء ولاح على محياها ابتسامة ثقة.. قالت أكبرهن:

- لا بد أن أعترف.. لم أتوقع أن تعيشى كل هذه الفترة!
- ومن خلفها دخلت الساحرة الأخيرة مع الطفل، وبكل قسوة وضعت على عنقه سكينا..صرخ باسم أمه لكنه الساحرة كتمته بنعومة!
- رجاءا.. دعيه يذهب ولا تؤذيه..

قالتها (بياترس) برجاء وألم.. قلب يتمزق على ابنها فى موقف فائق الصعوبة!

أجابتها الكبرى بقسوة:

- لا! بل دعيها أنت تنزل من مكانها وسيعيش ابنك فترة أطول!

هنا تحرك فريدريك، ورفع السكين يضعها على نحر المعلقة فى سماء الغرفة! الغريب أنه لا يذكر اسمها حقا.. هل ذكر اسمها أو ناداها به ولو لمرة حتى؟

لا يهم.. لكن التى تمسك الطفل شددت عليه الخناق فصرخ باكيا فى ذعر..

- تقبلى قدرك يا (بياترس).. أنت ستموتين، وأنت.. اعطنا التعويذة وسننسى كل شىء، والفتى سيعيش لفترة..

كانت المعلقة تنظر للسكين بذعر لا يصدق..

- فريدريك.. لا تقتلنى.. لا!

ابتسمت الكبرى.. قالت بمكر:

- هل ترين النهاية؟ إنها سيئة.. ربما لا تريدين ترك ابنك وحده.. اتركوها وسنتفاوض.. لا تجعلى النهاية سيئة..

ابتسمت (بياترس) ونظرت لفريدريك، ثم نظرت إليهن.. ابتسمت بحزن وقالت:

- للأسف، لا يمكننى التفكير فى نهاية أفضل! اقتلها يا فريدريك.. الآن!

أغمض (فريدريك) عينيه، ثم..

أغمد السكين فى عنق الفتاة!

جحظت عيناها للحظات، ثم دوى صراخ النسوة كلهن وهن يتهاوين على الأرض مفارقات للحياة يتحشرجن حشرجات الموت الأخيرة.. ببقايا حياتها انقضت (بياترس) على ابنها تحتضنه الاحتضان الأخير..

قبل أن تسقط على جانبها مفارقة الحياة..

* * * * * *

قطعا لم تنته القصة عند هذا الحد..

لقد تحولت النسوة إلى تراب أمام عينيى (فريدريك) والفتى، وإن شعر الاثنان بوخز قاتل فى قلبيهما .. ألم كأنما انتزع قلبيهما حيين!

بكى الفتى كثيرا فى حضن فريدريك.. وبكى (فريدريك) كثيرا فى حضن الولد، ثم رحلا من هذا المكان للأبد.. ولم ينس أن يأخذ التعويذة معه وهو ذاهب.. بالأحرى لقد أخذ تعويذتين:

تعويذة (بياترس)، وتعويذة حبيبته التى لم يعرف اسمها قط!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊


ساحر الكتب



الجزء الثالث

الحياة قطعا لا تتوقف على أحد ولاتهتم بأحد، وإنما تسير على وتيرتها الخاصة والتى ربما لا تكون مفهومة!

أحيانا تصير الأمور غريبة وغير منطقية وغير معقولة، ويتشابه الماضى والحاضر فى الأحداث، فيتكرر بشكل ممل ومخيف!

(طبعا أنا أقول هذه الكلمات لأبدو عميقا فحسب، قبل أن أعود لدورى البسيط فى نقل هذه الأحـداث عن لسان راويها الثرى الذى طلب لى غداءا أيضا!)


ساحر الكتب

ألمانيا، عام 1228 ميلاديا.

بعد الوقائع السابقة بإحدى عشرة سنة!

ترى جيشا ضئيلا مكونا من ستمائة فارس فحسب يسيرون تجاه مدينة عكا! وفى منتصف هذا الجيش ترى شابا قوى الجسد فى وسط الصفوف.. لو دققت النظر لوجدته هو نفسه ابن (بياترس)، وهو الطفل الذى احتضنه (فريدريك) كى يربيه..

حسنا.. من العدل أن تعرف ما حدث لـ(فريدريك).. لقد احتضن الطفل الصغير، وعاد به للقرية، لكنه لم يستطع الحياة هناك.. صارت القرية مكانا للتعذيب النفسى.. جواره منزل (مارى) الفارغ، وكلما نظر إليه تذكر وفاتها المروعة!

وفى حجرته..

هنا تحديدا ماتت حبيبته..

الوحيدة التى لم يحب سواها فى حياته، والأسوأ، انتهت حياتها على يديه هو نفسه!

وفى محل عمله، لم تعد هناك طلبات من (مارى).. صار الموضوع سيئا بما لا يقاس، فقرر الرحيل من البلدة!

أصابه الاكتئاب حادا مضاعفا هذه المرة، وصار ما يربطه بالدنيا هو الفتى فحسب..

بالمناسبة كان اسمه (جوزيف)..

ربما لو كان وحيدا لتخلص من حياته منذ فترة!

على كل حال، باع بيته ومحله وحمل نقوده وسار ناحية قرية أخرى يريد حياة جديدة..

مضى على انتقاله مع الفتى ما يقارب الشهر.. الحق أن ألمانيا فى ذلك الوقت كانت على قدر من الأمان بين الناس؛ إذ أن الإقطاعيين كانوا يأكلون أموال الناس ويعذبونهم بما يكفى للقضاء على الجريمة! الكل يريد الحياة فحسب وندر اللصوص الذين لم يجدوا ما يستحق السرقة!

وصلا إلى مدينة صغيرة وعاشا هناك.. بحث عن منزل بسيط يعيش فيه مع ابنه (أو الذى اتخذه ابنا) وصار يحميه ويرعاه.. اتخذ بعدها مقرا يبيع فيه لحم الخنازير كما اعتاد، وعلم ابنه كيف يفعلها.. وفى وقت قليل صار من أشهر بائعى اللحم وكل من بالمدينة يقصده!

وتمر عليهما السنين بطيئة قاسية.. لم يستطع (فريدريك) نسيان ما حدث، ولم يستطع أن يقترب من امرأة أخرى قط!

صار منغلقا على نفسه بشكل لا يمكن وصفه، إلا من (جوزيف) الذى أعطاه كل حب ممكن، وكل رعاية ممكنة!

ثم بدأ يعاقر الخمر، وهى أسوأ ما يمكن أن يحدث لشخص.. وقتها كان (جوزيف) فى الخامسة عشر.. ربما رأى (فريدريك) أنه صار كبيرا بما يكفى ليعتنى بنفسه، فأهمله شيئا فشيئا وصار يقضى أغلب وقته يحتسى الشراب.. حاول (جوزيف) أن يثنيه عن ذلك، لكنه لم يستطع!

الأمور تسير من سيء لأسوأ، حتى كانت ليلة حدث فيها شيء غريب للغاية!

عاد (فريدريك) يترنح ومعه زجاجة تمتلىء حتى نصفها بمشروب لعين، ودلف للمنزل ثم سقط على فراشه يئن قبل أن يذهب فى نوم عميق..

كان (جوزيف) أيضا يغط فى النوم، حين تحركت التميمة أسفل فراش (فريدريك) فجأة!

كان يضع التميمتين فى علبة نحاسية مغلقة، وحولها كيس من الخيش محكم.. وفجأة حدثت هذه الحركة.. تبدو وكأن العلبة قفزت من مكانها عاليا!

ثم قفزة ثانية..

ومرة ثالثة..

ورابعة..

حتى صارت تتقافز قفزات متلاحقة وتتدحرج بشكل عجيب فى كل مكان، بينما (فريدريك) نائم غائب عن الدنيا، لكن (جوزيف) انتبه.. استيقظ ونهض متكاسلا يبحث عن سبب هذه الضوضاء، فرأى العلبة التى تتحرك بطريقة تنافى كل منطق.. شعر بالعجب منها.. ظل يراقبها للحظات، وفى عقله دار سؤال:

- هل هى أمه؟

هل أمه تحاول العودة بشكل ما؟

خفق قلبه بعنف.. اقترب من العلبة، ودون تفكير نزع عنها الغطاء الخيشى واستخرجها.. مازال ما بداخلها يتقافز وإن همد قليلا وكأنما شعر بيده..

بيد مرتجفة فتح العلبة، فأغشى عينيه ضوء من العلبة واندفع من داخلها شىء ارتطم بصدره بقوة هائلة أفقدته الوعى على الفور!

وساد الصمت على الحجرة..

(فريدريك) نائم على الفراش و(جوزيف) نائم على الأرض فاقد الوعى، إلى أن أشرق الصباح.. ببطء تململ (فريدريك) وهو ينهض من على الفراش ليفاجأ بالفتى ممدد على الأرض، فشعر بالجزع..

نهض مترنحا والصداع يفتك برأسه وهو يهتف:

- (جوزيف).. ماذا بك يا بنى؟

لمح العلبة المفتوحة لكنه لم يفهم على الفور.. ثم اتسعت عيناه لما رأى التميمتين اختفتا.. أخذ يحاول إيقاظ الفتى المستلقى على الأرض، وفجأة فتح الفتى عينيه بيضاوين تماما، فتراجع (فريديريك) فى رعب..

ظل هكذا للحظات ثم عاد لطبيعته.. اقترب منه (فريدريك) ببطء، ثم جلس جواره دون أن يفهم شيئا.. كل مايفهمه أن هناك شىء شرير حدث هنا، وأن ماحدث لن يأتى بالخير أبدا!

- ماذا حدث؟

- لا أعرف.. سمعت صوتا فى العلبة، حاولت فتحها، لكن لا

أعرف ماذا حدث لاحقا.. فقدت الوعى ووجدتنى هنا!

- وما كان بداخلها؟

- لا أعرف.. لم أرها!

شعر (فريدريك) بصدمة فقدان الأمل.. كان يأمل أن توجد التمائم مع الفتى! ربما كان هناك أمل فى عودى (بياترس)!

ربما كان هناك أمل فى عودة.. حبيبته!

لكن كلمات الفتى جعلته تحطم قلبه حرفيا.. ظل صامتا لبضع لحظات، ثم أغلق عينيه واستلقى على الأرض و..

مات!

هكذا!

أعرف أن الأمر غير قابل للتصديق، لكن كم مرة سمعنا عن أشخاص ماتوا من فرط حزنهم!

ماتوا من فرط ألم قلوبهم!

ربما فعلت الخمر أفاعيلها، مع حزن قلبه المضطرم.. ربما رأى عقله أن من المناسب التوقف عن الحياة الآن ففعل..

وربما هو عمره فحسب!

مات (فريدريك) أمام (جوزيف) الذى لم يصدق.. احتضنه وظل يصرخ وهو يتأرجح به يمينا ويسارا.. للأمام والخلف!

شتى مشاعر الألم والخوف والجزع انتابته واجتاحت كيانه الصغير.. مازال صغيرا على كل هذا الألم، وعلى العكس من القرية

السابقة التى كان كل من فيها يغلقون على أنفسهم الأبواب، فقد تجمع الناس ليروا سبب كل هذا الصراخ، وفوجئوا بوفاة الرجل الطيب!

على كل، فقد اهتموا بكل شىء يتعلق بالجنازة والصلاة والدفن حتى أودعوه قبره للأبد مع انهيار تام من الفتى!

مات (فريدريك)!

* * * * * *

سارت الأمور بسرعة بعد ذلك، فقد سمع عن حملة يقوم بها الملك للذهاب إلى الشرق.. حملة سلمية لمن أراد أن يشارك!

«هنا يجب أن تعرف شيئا، ملك البلاد فى هذا الوقت كان اسمه (الامبراطور فريدريك الثانى)، وهو ليس (فريدريك) الجزار الذى مات منذ قليل.. قد ينتقد البعض هذا الكلام ويرون أن الموضوع لا يخلو من فقر فى اختيار الأسماء، لكن ما اسهل الولوج للانترنت ثم البحث عن اسم ألمانى مناسب.. لكنك تنسى ألا حيلة لى فى الحكاية! لو الأمر بيدى لأسميته (باتريك) أو (جون) أو (عويس) حتى! لكنى أنقل ما سمعته فقط، لذلك أرجو ألا يصيبك الدوار أو التشتت أو (اللخبطة)! فلنتفق أن (فريدريك) القادم هو امبراطور ألمانيا.. اتفقنا؟"

نعود لقصتنا.. كان الامبراطور (فريدريك) الثانى حاكم البلاد يخطط للقيام بحملة صليبية سادسة، خاصة بعد فشل الحملة السابقة.. ولكنها كانت حملة عجيبة للغاية، إذ أنه كان على عهد

ووفاق مع الملك (الكامل) ملك مصر، ودون الدخول فى تفاصيل معقدة اتفق الملك (الكامل) على إعطاء القدس مهادنة للامبراطور! كان أمرا عجيبا، خاصة وأن العهد مازال قريبا بمعركة حطين التى فتح الله بها على صلاح الدين بالمدينة المقدسة، لهذا جمع الامبراطور عددا ضئيلا من الجنود بلغ ستمائة جندى فقط، أبحروا فى أسطول هزيل للغاية حتى وصلوا إلى عكا..

طبعا من نافلة القول أن (جوزيف) قد شارك فى هذه الحملة! ربما لم يستطع الحياة فى نفس المكان كأبيه، وربما من باب التغيير فقط.. وربما لأن أبيه حدثه عدة مرات عن أمنيته بأن يكون ممن يذهبون فى هذه الحملات ويتركون كل شىء خلفهم!

المهم أنه ذهب فى رحلة تعطى الحياة لونا وطعما مختلفين!

وعندما وصلوا إلى عكا، طلب الملك (فريدريك) منه طلبا عجيبا للغاية.. أن يترك الجيش ويذهب كرسول للملك (الكامل) فى مصر برسالة..

كان حديث السن بلا خبرة، لكنه شعر بالفخر لهذه الثقة.. انطلق من فوره لمصر، مستعينا بشخص ممن يفهمون فى الطرق..

رحلة طويلة على صهوة جواده، عبر فيها بلادا وطرقا لم يكن يتخيلها.. رأى أناسا مختلفين ومظاهر حضارة عملاقة، حتى وصل إلى مصر!

على مشارف مصر تركه الدليل، وبدأ يعتمدعلى نفسه بسؤال

الناس عن الطريق إلى القاهرة، ثم إلى قلعة الجبل والتى يمكث فيها السلطان (الكامل)!

كان منبهرا بكل شىء.. النهر الواسع والجو المشرق.. كان الجو حارا بالطبع، لكن الرؤية كانت صافية بشكل يثير الدهشة..

قابلته دورية من رجال الحرس، واقتربوا منه فى سرعة وعيونهم تحمل الغضب والتساؤل، ما الذى يفعله هذا الإفرنجى هنا؟

بكلمات متلعثمة حفظها بالكاد قال أنه يريد مقابلة السلطان (الكامل)! لم يفهموا غير (السلطان الكامل) بالكاد وسط كلماته الرديئة، فقرروا اقتياده للقصر.. أدرك بلا جهد أنهم يكرهونه حقا.. يكرهونه ولا يريدون التعامل معه، لكنه لم يشغل باله بهذا وعاد يتأمل الكون من حوله..

تأمل من بعيد الجبال المثلثة الضخمة والتى يسمونها أهرامات.. شعر بالرهبة عندما علم أنها بناء بشرى.. رأى الكثير قبل أن يصل إلى القلعة، وسرعان ما دلف للقلعة الشامخة، ثم إلى عرين الملك..

بهو واسع فخم بشكل لا يمكن تخيله، ولم يره من قبل قط.. اقتحمت خياشيمه رائحة البخور القوى والأعشاب العربية المجهولة التى كان يشربها الجميع..

من بعيد اشار إليه رجل فخم الهيئة جالسا على عرش رائع أن يقترب..

كان يقف أمام السلطان (الكامل) بنفسه!

* * * * * *

أشار له السلطان بالجلوس، فجلس فى رهبة.. كان المكان رهيبا مهيبا كما ينبغى أن يكون.. قدموا له مشروبا عجيبا من أعشاب ساخنة، فتقبله شاكرا.. كان الكل يتكلمون حوله بالعربية التى لا يفقه منها حرفا، وسرعان ما جاء رجل يتكلم بلغته، وطلب منه الرسالة!

كيف عرف أنه يحمل رسالة!

أخرجها ومد يديه بها إليه، ثم عاد يجلس.. فض الرجل الرسالة وقرأها على مسامع الملك والحضور بلغة عربية سليمة! أى أنه كان يقوم بدور المترجم الفورى كما نعرفه الآن!

كان التفكير يبدو جليا على الملك.. لو أحببت أن تعرف المحتوى، فقد كان رجاء من الملك (فريدريك) الثانى بسرعة تسليم بيت المقدس كما وعده الملك، وهو قد أعاد بناء عكا وحصنها ليكملا تحالفهما!

لكن هذا لا يهمنا على كل حال.. ليس لهذا دور فى قصتنا، أما الملك فقد قرر أن ينتظر قليلا ليفكر فى رد مناسب، ربما لأنه لم يرغب فى التسليم، خاصة بعدما اعترض على هذا القرار خاصته وأقاربه.. ليس من المناسب تسليم بيت المقدس للفرنجة، ليس بعد أن أعادها صلاح الدين بكل هذا الجهد والعرق والدماء!

ولكنه ليس مقتنعا.. يريد تسلميها للامبراطور الألمانى بدون سبب مقنع!

ربما لأن علاقته بالامبراطور الألمانى قوية ولا يريد إفسادها، وربما هناك سر لا يعلمه أحد ليعطيه المدينة المقدسة طواعية!

المهم..

جلس الفتى قليلا قبل أن يأمر الملك بحجرة له يستريح فيها قبل أن يكتب الرد ليعود بها إلى الامبراطور.. نهض الفتى ليصطحبه أحد الجنود لمكان قريب.. فى طريقه لمح بعض الجوارى السمراوات الحسان يتمايلن جوار نافورة ماء، وأمامهن أنواع شتى من الفاكهة.. وشم عطورا أخرى داعبت مخيلته وأذابت قلبه (لا تنس أنه مراهق وكل هذه المؤثرات الحسية والمعنوية جعلت الهرمونات تتدفق فى عروقه بأقصى قوة، حتى شعر بجسده يلتهب حرا، وكم تمنى لو خلع ملابسه هذه ويلقى نفسه وسط الحسان والنافورة.. فى قرارة نفسه تمنى ألا يرحل أبدا من هنا، وهو ما سيحدث على كل حال!)

فى حجرته خلع ملابسه المتسخة واغتسل بمكان ملحق بالحجرة، وارتدى ملابسا عربية نظيفة كانت موضوعة له على الفراش فصار وسيما مليحا جميل الطلعة..

هناك طعام شهى لا يعرف اسمه ولكنه ملىء بالتوابل الغامضة التى ألهبت براعم التذوق فى فمه، وهناك فواكه لم يرها من قبل!

وهنا أيضا لا تنس أن أوروبا كانت تعيش فى ظلام حضارى تام.. ليس لديهم أى نوع من أنواع الرفاهية على الإطلاق!

الانبهار سيد الموقف.. بالفعل كان لا يرغب فى العودة لبلاده،

خاصة وأنه لا شىء لديه هناك ليعود له.. لذلك قرر الهرب والحياة هنا للأبد!

كان يظن أن البلاد كلها تعيش فى هذا الترف والرخاء!

فى ظلام الليل، استغل كونه ضيفا وأخذ يتجول بين جنبات القلعة يتأمل ما فيها من مظاهر الحضارة العربية.. الأضواء المبهرة والموسيقى تصدح بين جنبات عدة أماكن متعددة.. الأمراء يسهرون ليلهم بين الخمر والنساء، وربما لا يريدون شيئا غير هذا فقط.. لم تكن الحراسة بالداخل قوية، فأخذ يتأمل الجو العام منبهرا مدهوشا مستمتعا.. كان كأجواء منطقة الحسين كما نعرفها الآن مع نسبة المجون والخلاعة المنتشرة، إلى أن وصل إلى إحدى بوابات القلعة والتى كان يقف عليها حراس غلاظ شداد.. نظروا إليه متسائلين عما يريده، فأشار للباب وقال:

- السلطان.. السلطان!

كانت الكلمة الوحيدة التى يعرفها من اللغة العربية، فقرر أن يقولوها لهم وهم يفهمون ما يريدون أن يفهموه.. نظروا لبعضهم فى شك، وأخذوا يتناقشون.. لم تكن الأوامر فيها شىء بخصوص هذا الرجل، ولم تكن تشمل خروجه.. ربما كان لديه مهمة سرية ما!

بعد قليل من التشاور فتحوا له الباب ليخرج فى حال سبيله! بمنتهى البساطة خرج (جوزيف) من القلعة ليختفى فى ربوع مصر، ولم يجده رجال السلطان الكامل بعد ذلك قط!

* * * * * *

سار الفتى على غير هدى يحاول التقاط أى كلمة يفهمها.. كانت نظرات المصريين له تفيض كراهية، لكنهم قوم بسيطون فقراء يحملون الطيبة بين جنباتهم، لذلك لم يتعرض له أحدهم بأذى، حتى جاء الليل.. كان هو قد ابعد المسير حتى وصل إلى قرية ما.. المنظر رائع بهذا المجرى المائى البسيط الذى يشق الحقول، والزرع الأخضر المنعش الذى صار أسودا الآن.. ربما هى من قرى الجيزة، وهى القرى الوحيدة القريبة من القلعة ويمكن الوصول إليها مشيا على الأقدام!

بدأ يشعر بالخوف البلاد جميلة لكنه لن يستطيع الحياة هنا دون معاونة!.. ربما بعد يوم كامل من الخروج من القصر حان الوقت لأن يعود! لكن.. كيف يعود؟

ربما حاكمه الملك بتهمة التجسس.. ربما قتله، وهو مجرد أجنبى وحيد هنا على كل حال! لذلك قرر أن يلتمس مبيتا عند أى شخص من الفلاحين حتى الصباح، ووقتها يمكنه أن يتخذ قرارا صائبا..

سار على شاطىء الترعة يبحث بعينيه فى قلب الظلام المتزايد عن أى منزل قريب، لكن.. شاهد شيئا عجيبا نوعا! شيئا جمد الدم فى عروقه!

شاهد شخصا يسير بين الحقول وحده..

لا يدرى سبب القشعريرة التى انتابته، ولا خفقان قلبه المتزايد،

لكنه اقترب منه ليفاجأ بأنه امرأة!

عرف ذلك من شعرها الطويل؛ إذ أنها كانت توليه ظهرها.. ما أن اقترب قليلا حتى سمع صوتا عذبا يقول:

- (جووووووززييييييييف).. تعال..

كان الصوت ساحرا بما تحمله الكلمة من معان.. صوت رقيق جميل ساحر رائع لم يسمع مثله قط!

- (جووووووووووززييييييييف).. اقبل نحوى!

قالتها الواقفة، ثم التفتت له ليرى أجمل وجه فى حياته.. امرأة كاملة الأنوثة، بالغة الجمال والروعة، لها عينان واسعتان صافيتان جميلتان للغاية، شفتاها كثمرتى فراولة تريدان القطف..

تسارعت أنفاسه مع ضربات قلبه، بينما اقتربت هى منه بدلال.. وكأنما سمع صوت موسيقى غامضة تسيطر على حواسه، بينما تقل المسافة بينهما.. وسرعان ما كانت تقف أمامه ليدرك أنها أضخم منه.. كل شىء فيها أكبر منه.. رأسها الضخم وذراعاها الكبيران وجسدها الرائع الكبير ورائحتها العطرة العفنة!

نعم.. رائحة عجيبة هى مزيج من الورود والياسمين وعطن الأشجار الميتة!

مدت يديها تحتضنه، ثم انحنت قليلا تقبل شفتيه بنهم لا ينتهى، وهنا..

شعر بدفء وخمول لا يمكن وصفه.. عيناه تتثاقلان وجسده

يرتخى بينما تحمله المخلوقة حملا وتسير به بين المزروعات.. لم يكن لديه القدرة على المقاومة فعلا، بينما تتجه به نحو الترعة وتهبط به للماء.. شعر بالماء البارد العفن يكتنف جسده، بينما تنزل به لتحت الماء..

ومازالت شفتاها ملتصقتان بشفتيه تقبله..

يريد أن يصرخ..

يتشنج..

يخرج من حضنها اللعين..

لكن كأنما ابتلع مخدرا يمنع حواسه من الاستجابة، إلى أن صار تحت الماء تماما!

كانت – كما لابد أنك عرفت – هى النداهة!

نعم.. من حظها العثر أنها وجدته.. أنت لم تخطىء القراءة.. كان حظ النداهة سيئا..

وهنا وقفة سريعة لابد من تفسيرها حتى لا تختلط الأمور إذ أنى أنا نفسي كنت لا أكاد أفهم شيئا! وربما حتى الآن!

النداهة مخلوق خرافى من المخلوقات التى يعج بها الأدب العربى، ولكن هى مخلوقة ينتشر ذكرها فى العالم كله بأشكال مختلفة، مثل الحوريات التى تنادى على البحارة ليلا فى جزر الكاريبى، و (الجيبونية) فى المكسيك والتى تتماثل مع النداهة المصرية، و(الإيكو بانج) فى كوريا وغيرهن، وكلهن لهن نفس المواصفات.. تسير ليلا

فى البر أو البحر، وسط الحقول أو وسط المناطق المقفرة، ثم تختار ضحية وتنادى على اسمه، هنا يفقد الضحية السيطرة على نفسه ويسعى جاهدا لتلبية النداء، فيذهب ولا يعود للأبد!

لا أحد يعرف يقينا من أين تأتى هذه المخلوقات، وقيل عنها كلاما كثيرا، منها أنها من أنواع الشياطين، ومنها أنها مخلوق متوحش يماثل الويندیجو (وهو رجل تم الاعتداء عليه من قبل حيوان متوحش فصار متوحشا ويملك قوى خارقة) وهى نفس فكرة المذءوب تقريبا!

ولكن الأقرب للصواب أن النداهة هى بشر من خادمات الشيطان.. ساحرة لو أنصفت القول، تسير ليلا لاصطياد الضحايا مسلحة بقوى غير طبيعة نظير ما تقدمه من خدمات وقرابين لكائنات الظلام، ومن تحصل عليه يكون قربانا للشيطان!

كلام عجيب؟

نعم ولكنه يحدث للأسف! فى المملكة العربية السعودية حدث أن اقتحمت الشرطة السعودية بيت دجال يغوى الناس فطار أمام أعينهم للأسفل كى يهرب لكنهم القوا القبض عليه بعدما ارتفع تكبيرهم فسقط من مكان مرتفع وكسرت قدمه! وعندما اعترف كانت له معاونة تحمل نفس الصفات من الجسد الضخم والجاذبية المطلقة، واتهموا فى اختفاء الكثير من الناس.. وحكم عليهما بالإعدام كما تنص القوانين!

وفى الأردن ألقى جموع الناس القبض على سيدة تنادى على

الناس ليلا فيذهبون إليها ويختفون، فكمنوا لها ذات ليلة وقبضوا عليها، وفى الصباح ماتت! فتحوا الحجز ليجدوا جثتها وحدها بعدما تغير شكلها بطريقة عجيبة جدا!

إذن النداهة فى النهاية مجرد إنسانة ربما تحمل شيئا من القوى الغير طبيعية، فهل تقف هذه أمام ساحرتنا؟

لا طبعا! الأمر أكبر وأعقد بكثير كما ستعرف حالا!

نعود لما يحدث:

ما أن ضاق نفسه وأوشك على الغرق تماما حتى توهج صدره وانفجر الماء عن جسدى فتاتين يانعتين جميلتين عاريتين، انقضت إحداهما على النداهة تكبلها، والأخرى تلفتت حولها ثم غاصت تحت الماء مرة، ومالبث الفتى أن انتفض وسعل الماء القذر ثم أخذ يحدق فى المعركة الهائلة التى نشبت أمامه فى قلب مياه الترعة..

كان يحدق فى أمه..

(بياترس)..

وتحت ضوء القمر كان الصراع بين النداهة التى تفاجأت.. امرأتان قويتان تهاجمنها، ولا تعرف من أين ظهرتا!

وبقوة عارمة غير طبيعية اجتذبتها المرأتان للأسفل.. قبلتها الفتاة الجميلة التى لانعرف اسمها حتى الآن، ثم تسللت إليها رويدا رويدا، بينما عادت (بياترس) لتسقط فى الماء وتجذب الفتى إليها وتتمتم..

استقرت المعركة بامرأة واقفة فى وسط الماء صامتة تلهث.. جسدها يتحرك بشكل عجيب.. ينتفض ويتلوى ويصغر وينبعج!

كانت النداهة واقفة تتغير.. لم تعد النداهة هنا، وإنما هى الساحرة!

نظرت للفتى وهمست:

- (بياترس)؟

صمت الفتى للحظات ولم يرد..

- أنا أعرف أنك بالداخل.. شعرت بك منذ اللحظة الأولى!

هز الفتى رأسه، بينما يحدق فى شكل النداهة التى تتغير لتصير هى نفسها الساحرة..

- لن أتخلى عنك لو أحببت.. ولكنى لن أتركك تؤذينى..

- إذن.. فراق للأبد؟

- فراق..

ثم ابتعدتا من الماء الآسن كل فى طريقها، وفى رأسيهما دلالات وعلامات لا يعلمها إلا الله تعالى!

* * * * * *

ما حدث لاحقا غامض نوعا، لكن تفسره الصفحات التالية، والمنقولة (بتصرف للتسهيل) من كتاب (رسم الكلام فى وصف الحكام) لمؤرخ عربى يدعى: (تامر بن عبد العظيم بن سالم المصرى)، وهو مؤرخ من أهل الشمال برع فى وصف هذه المرحلة؛ مع أن كتابه

لم يلق انتشارا مناسبا وقتها وضاع أغلبه إلا بضع مئات من الأوراق، وقيل أن كتابه بلغ خمسة آلاف ورقة أو تزيد.. الأوراق أعطانيها الرجل الثرى فى المقهى فصورتها بهاتفى فحسب.. (بالمناسبة أعرف أنه من الغريب أن يكون هناك مؤرخ اسمه (تامر) لكن هذا اسمه والله العظيم!)

كتب عن هذا الوقت فى فصل (غرائب أخبار الملوك والمماليك):

" ولما كان (توران شاه) ابن الملك (نجم الدين) حاكم مصر، ابن الملك (الكامل) الذى مات لعامه الرابع يزور مصر، رأى فتاة مليحة وكأنها القمر فى تمامه، عيناها كبئر فضة مظلم يجتذب القلوب فلا تفلتها، ثم رآه الخاصة والعامة يصحبها فى كل مكان ولا يفارقها، تذهب معه أينما ذهب وتحل معه أينما حل، وكانت منه بمنزلة الزوجة والجارية والسيدة، يخضع لها ويحكمها، فصارت له وصار ملكا لها تعبث به كيفما شاءت، فصار يلقى لها بالأموال والجواهر ولا تهتم به، إنما كانت تكثر الطلب من الجوارى والغلمان، ولا يراهم أحد بعدها قط!

وكان أن ضج البعض باختفائهم وعم الخوف غلمانهم وجواريهم، حتى طلب الملك منه أن يرحل، وكان الملك فى ذلك الوقت هو السلطان (الكامل) حاكم مصر.. فلم تدعه المرأة حتى أسرت للملك بكلمات لم يسمعها غيره فذهلت عيناه وارتجف حتى رأوا كرسيه يتحرك، وبعدها غادرت مع (توران شاه) إلى بلد (آمد) فى بلاد ما

بين النهرين، وكانت تابعة لأبيه الأمير (نجم الدين) الذى لم يصر ملك مصر وقتها..

كان (توران شاه) فاسدا لا يفيق من الخمر ولا يتركها فى وقت، وتكرر الأمر مع العبيد والإماء، فكان يكثر من الشراء، وقالوا سمعوا صياحا وصخبا أسفل قصره، ولكن لم يرهم أحد بعدها قط كما الحال فى مصر، حتى اشترى لها عشرة من الفرسان كانوا قبض عليهم أسرى بعدما دخلوا بلاده دون إذن.. فأخذهم فى قصره واختفت آثارهم وقيل أنه قتلهم ولا يعرف أحد ماذا حدث لهم..

كانوا فرسان (غياث الدين الرومى) الذى استشاط غضبا وأقسم ألا يتركهما ينجوان بفعلتيهما؛ فإما أن يعود الفرسان وإما أن تقوم الحرب، فلم يحفلا به، فكان أن حاصر (آمد) بجيوشه وكان حاضرا معهم بنفسه يملأه الغضب..

بعث (توران شاه) إلى أبيه يستنجد به، بينما كانت امرأته ثابتة تقول ألا بأس وأنهم سيرحلون..

وكان أبوه محاصرا بجيوش (بدر الدين لؤلؤ) فلم يدر ماذا يفعل، وزوجته (شجر الدر) حائرة فيما تصنع، حتى أن قال الحارس أنه سمع امرأة غريبة تحادثها ليلا وتعطيها شيئا، وتأمرها أن تبعث بهذه الرسالة إلى الجيوش الخوارزمية الذين هم قوم (شجر الدر)، ثم اختفت المرأة أو طارت من الشرفة كأنها غراب أسود يلتقف الريح ثيابها..

ولم يأت الصباح حتى انقض الخوارزميون على جيوش (بدرالدين لؤلؤ) تنال منهم وتمزق شملهم، ثم انطلقوا إلى (آمد) يكتسحون جيوش (غياث الدين الرومى) وينالون منهم ما اشتهوا من دمائهم!

أما (توران شاه) فقد رأوه يضحك مسرورا مع امرأته ويأمر بإدخال الجرحى لسرداب قصره، ثم اختفى الكل بلا رجعة..

صارت قوتها بالغة ولا يجروء أحد على مخالفة أمر لها، تسير كأنها الموت بين جنبات القصر، وكل من يراها يسجد خاشعا بناءا على أمرها وأمر سيدها (توران شاه) الذى لم يحفظ جميل أبيه الذى بعث بالجيوش لينقذو!

وظل على هذا الحال سنينا، يشترى الغلمان ويجتذب الأسرى ليموتوا أو يختفوا للأبد، وإن حدث فى يوم جمعة مباركة أن هرب أحد السجناء وقد ابيض شعره تماما من هول ما رأى، وقال أنها تقتل الناس وتشرب دماءهم، ثم تجتذب الشياطين أجسادهم إلى ما تحت الأرض، تحت مسمع ونظر الشيطان الأكبر نفسه لعنة الله عليه وعلى من اتبعه إلى يوم الدين، وبمباركة (توران شاه) الذى صار دمية تتلاعب به كيفما شاءت.. نعوذ بالله من الشيطان وخبيث فعله وضلاله وقومه وآله ومن اتبعهم أجمعين.

ثم كان أبوه أن صار ملك مصر، فاشتهت نفسه أن يملكها، فكانت تقف فى المساء قبيل الغروب ترسل للهواء تجاه مصر كلاما لا ندرى معناه، وكانت تمسك بمتعلقات الملك (نجم الدين) وتصنع بها عجبا،

فتحترق فى يدها دون أن تمسها النار، أو تتلوى وتتحرك فتعزم عليها بما تعرفه من أسرار، حتى صنعت دمية وطعنتها فى قدمها، وعلم الخاصة بعدها أن الملك مرض فبترت رجله، ثم مات بعدها..

أخفت شجر الدر الأمر خوفا من استسلام الجيوش أمام جحافل الفرنجة القادمين والتتتار الذين يدقون الأبواب وتصارع بنى أيوب، وبعثت لابنه (توران شاه) كى يأتى ويأخذ ما تمناه وما اشتهته نفسه ويكون ملك مصر، فرقص طربا وكانت ليلة عامرة بالخمر والمرح أمام امرأته الراضية!

وتملك (توران شاه) مصر، ثم طلب من (شجر الدر) أن تعطيه المال والنساء والجوارى فرفضت.. صاحت امرأته فيه أن يقتلها فرفض وارتعد، فهى تقع مقام الأم منه، وتركها وذهب لفارسكور، وغضبت امرأته منه بشدة وقالت له أنه سيموت كما لن يموت غيره!

لم يكترث وأغرق نفسه فى الملذات بينما يحارب المصريون الفرنجة حربا ضروسا حتى انتهوا منهم وأسروا (لويس الثالث) وسخروا منه فى دار ابن لقمان، فأراد المماليك الثأر من الملك السكير، وبأمر من (شجر الدر) ذهبوا له يقتحمون بيته ليقتلوه ضربا بالسيوف، فتحاشى سيف (بيبرس البندقدارى) الذى أطار أصابعه وطعنه، فهرب إلى برج خشبى قريب مقام على النيل، فأشعلوا فيه النيران ليحترق وأمطروه بالسهام ليموت، فقفز من على للنيل وهو مشتعل، فسبح إليه (أقطاى) أو (أيبك) أحدهما، وبضربة قاضية

أطار رأسه ليغرق ويموت مطعونا حريقا غريقا عديم الرأس!

أما امرأته فقبضوا عليها وسحبوها لـ(شجرالدر) فى قلعة الجبل، حيث أمرت بقتلها ودفنها بلا غسل أو تكريم أسفل القلعة! وقال من رآها أنها همست لها بأن تموت ضربا بالنعال، وهو ما حدث لـ(شجرالدر) لاحقا حين قتلتها ضرتها ضربا بالقباقيب!"

* * * * * *

لو لخصنا الموضوع، فالساحرة (التى لا نعرف اسمها لسبب مجهول) نزلت إلى مصر، لتسيطر على (توران شاه) وتستخدمه كوسيلة لتحصل على مبتغاها، ثم قتلتها (شجرالدر).. ومن الواضح أن قوتها كانت عاتية فى ذلك الوقت، لكن الأمر منته هنا..

الأمر لا يخلو من ملل.. نقتلها، فتظهر تعويذة تعيدها للحياة، فنقتلها، فتظهر تعويذة تعيدها.. ألن ينتهى هذا الأمر؟

ولكن.. للأسف هذا ما حدث مرة أخرى أخيرة فى العصر الحديث!

تابع معى ما حدث..

* * * * * *

اندفن الجسد الآثم أسفل القلعة قريبا من المقابر، والأعجب أن تحققت نبوءتها كما ذكرتها لـ(شجرالدر) فماتت بالقباقيب.. ومرت السنين، والعقود، والقرون، ومازال المكان مغلقا لا يدخله أحد.. محظور على الناس، إلا من بعض المغامرات الطائشة لبعض

الشباب.. يدخلون سريعا ثم يخرجون بلا هدف سوى المغامرة..

نسيت أن أخبرك مكان هذه المقبرة، لو أنك أتيت من طريق السيدة عائشة من شارع المقابر، فسترى كهفا أسفل القلعة عليه سياج معدنى متهالك.. على يسارك.. هذا هو الكهف نفسه الذى دفنت فى آخره!

وظل الوضع هكذا حتى خمسينات القرن الماضى.. كانت أعمال التنقيب والتجديد تشمل هذه المنطقة بالتطوير، وكان العمال يبحثون عن شىء له قيمة تاريخية فى هذا المكان، فكان أن وجدوا عظاما متحللة وجوارها دائرة معدنية مغبرة، جمعوها ولم يجدوا شيئا غيرها فى هذا المكان!

عند فحص الدائرة لم يكن بها شىء مميز.. مجرد دائرة براقة عليها بعض النقوش والحروف اللاتينية! ربما لم تكن أثرية أو تدحرجت لهنا بشكل ما أصلا!

فكان مصيرها أن وضعت بإهمال وسط مخازن وزارة الآثار، ثم قرر السيد (مصطفى محفوظ) العامل هناك أن يحصل عليها لأنها صغيرة ويمكنه تصريفها لاحقا بعدة آلاف من الجنيهات، فسرقها ودسها فى ملابسه، وعاد بها لمنزله مسرورا.. إن ابنته الكبرى على وشك الزواج والمصاريف كثيرة، وكيف يمكن أن يملأ بيتها غير بهذه الطريقة؟

لم تكن أول مرة يفعلها، فقد سرق الكثير من الأشياء الصغيرة التى

لا ينتبه إليها أحد فى المعتاد وقام ببيعها ببضعة آلاف من الجنيهات قليلة كم ذكرنا، وربما لم تتجاوز ثمن القطعة الواحدة عشرين ألفا على أقصى تقدير!

اشترى عشاءا دسما وعاد لزوجته وبناته الخمس.. لقد كان يريد ذكرا، ثم اقتنع ألا فائدة بعد المولودة الخامسة!

كان مثالا للص النصاب الظريف للغاية، والذى استغل مكانه ليعيش حياة متواضعة سعيدة.. كل عدة أشهر يمد يديه ليأخذ قطعة (ولا من شاف ولا من درى) وكان حريصا على صغر الحجم، وكثيرا ما رفض إغراءات متعددة، ومنها كمائن من كبار العاملين أنفسهم ليختبروا أمانته، لكن رفضه هذا زاد ثقتهم فيه، فصارت الشكوك تدور حوله ولا تصيبه أبدا!

المهم..

عاد كما قلنا بعشاء دسم تناوله مع بناته وزوجته أمام التلفاز، ثم نام سعيدا راضيا..

وفى حجرة البنات بعد ثرثرة معتادة راحت أعينهن فى النوم فى منتصف الليل..

ورأت إحداهن فيما يرى النائمون امرأة جميلة تستنجد بها.. تريدها أن تفعل شيئا لها، وأن تستخرج قرصا صغيرا من ملابس أبيها، ثم استيقظت!

نظرت فى الساعة لتجدها الثانية بعد منتصف الليل فحسب،

أى أنها لم تنم سوى ساعتين! شعرت بالغرابة والإرهاق.. حلم قوى عنيف، لكنها استعاذت بالله وتقلبت ثم عاودت النوم.. وتكرر الحلم مرة أخرى بحذافيره تقريبا قبل أن تستيقظ مرة أخرى! نظرت للساعة لتجدها الثانية وعشر دقائق!

مستحيل.. كيف رأت كل هذا فى عشر دقائق؟ يبدو أنها أكثرت من العشاء!

نهضت وشربت بعض الماء، قبل أن تتخذ وضعا مريحا وتذهب فى سبات عميق و..

يتكرر الحلم مرة ثالثة، مع بكاء عنيف من الفتاة هذه المرة يرجوها أن تسرع!

استيقظت فى الثانية والنصف شاعرة بالحيرة والخوف.. هذه ليست رؤيا وليست حلما! طار النوم من عينيها للأبد، فنهضت من مكانها وقررت أن تنظر فى ثياب والدها مرة واحدة، ولو كان حقا فستخرج الدائرة وتضعها فى الأعلى لتفهم.. ربما هو (عمل) يراد به إيذاءهم؟ ربما كات تحذيرا لهم؟

نهضت بخفة وسارت عبر الصالة ثم دلفت لحجرة الأب الذى كان يغط غطيطا كفيلا بإيقاظ الموتى.. بهدوء اتجهت لملابسه وهى ترتعد.. لو استيقظ هو أو أمها الآن لصار موقفها لا يحسد عليه.. ماذا سيكون تبريرها؟ رأيت حلما؟

تسارعت أنفاسها وهى تتحس البنطال فى توتر حتى وجدت القرص!

تفاجأت!

لم تتوقع!

نظرت له وتفحصته فى دهشة.. كان كأنما يضىء على الرغم من الظلام المحيط.. فى الواقع لم يكن يشع نورا، وإنما كان واضحا جليا فى الظلام! دق قلبها فى عنف وقررت الاحتفاظ به مؤقتا لتتفحصه، وبخفة القطط تسللت للخارج حيث الصالة وجلست على الأريكة تنظر له..

كان قرصا جميلا براقا.. ومن بعيد كأنه تفكير سمعت صوتا رقيقا يدعوها لتلاوة كلاما غامضا..

انعقد حاجباها فى عجب..

لم تكن وكأنها تستمع حقا، وإنما كأنه صوت داخلى يترنم..

بتردد رددت الكلمات و..

وجدت القرص يتحرك..

يرتجف..

ثم يطير من بين يديها فى الهواء و..

اندفع بعنف داخلها مباشرة!

اتسعت عينا الفتاة المسكينة وأخذت تشهق طالبة للهواء، لكن لم يصدر منها صوت.. وكانت من بداخلها تحاول جاهدة الاستيلاء على الجسد.. كانت ضعيفة للغاية.. كانت نست غالبية ما تعلمته..

أخذت الفتاة تتلوى وتئن وتقاوم حتى ارتطمت يدها بالمزهرية

فأوقعتها على الأرض متهشمة بصوت عال..

- ماذا هناك؟

كان صوت أمها التى نهضت متعجبة لتشعر بالحركة العجيبة بالخارج.. ببطء سارت لترى ابنتها واقعة على الأرض ترتجف وتتشنج ممسكة بعنقها وعيناها تصرخان بلا صوت.. المخيف أن ملامحها كانت تتغير وتتشكل بطريقة مستحيلة!

امتزج الخوف على ابنتها بالذعر منها، ورغم ذلك هرولت بجسدها الضخم واحتضنتها وهى تصرخ، وسرعان ما كان الجميع حولها، وجسد الفتاة قد همد تماما وبدا أنها فقدت الوعى!

أضاء الأب النور واتصل بالإسعاف، حين أتاه صوت ابنته يرن كالموسيقى فلى أذنيه من خلفه:

– أبى..

التفت خلفه ليرى ابنته جالسة فى هدوء ومن حولها ينظرون لها فى دهشة..

فجأة فتحت عينيها وابتسمت وكأن شيئا لم يكن..

كان يبدو على وجهها الفرح، ولم لا وقد عادت للحياة مرة أخيرة!

مرة أخيرة؟

نعم..

مرة أخيرة!

لم تكن لديها القوة لتغيير شكلها، فقررت البقاء هنا قليلا ريثما

تستجمع قواها وذاكرتها ثم ترى ماذا سوف تفعل!

* * * * * *

عنوان من جريدة الحوادث المصرية:

- العثور على أسرة مكونة من أب وأم وأربع فتيات مذبوحين بوحشية فى منطقة الوايلى، واختفاء الفتاة الخامسة!

* * * * * *

هل استنتجت ما حدث؟

ليس غريبا أن تفعلها هى التى لا تملك قلبا.. وتركت المكان لتبتعد وتدرس الزمن الجديد.. وكى لا أطيل عليك، فقد صنعت ما تصنعه دائما.. بالحيلة صار لها مكان، وبالحيلة صارت تعمل بالسحر مقابل الدم.. لا نقود ولا هدايا ولاشىء! ثم آثرت الابتعاد على أطراف إحدى قرى الجيزة، وهناك استقرت.. بلغت شهرتها الآفاق فى وقت قليل، ولكن لم تكن بمثل قدراتها القديمة.. ثم جاءتها ساحرة شمطاء عجوز تريد منها العون، فاتخذتها أما..

وهل تتوقع ما حدث؟

إنها هى نفسها الفتاة التى كانت تكتب على القرموط بعدما تعلمت فنونا جديدة للسحر..

إنها هى نفسها زوجة الساحر..

وهى نفسها التى بدأنا بها قصتنا!

* * * * * *

4 الجزء الرابع

أرجو أن تتفهم أن التفاصيل مهمة.. النساء تحب التفاصيل وتحكى التفاصيل بأدق تفاصيلها! لو أنك على علاقة بأى امرأة فى الكون وأعطيتها هذه الرواية لهامت بها حبا على الفور! هناك الكثير من التفاصيل التى لا تفهمها أنتولاتدرى أهميتها ولا تعرف لماذا نحكيها من الأساس، ولكنها هامة! لقد كدت أجن وأنا أستمع لهذا الكلام وأريد أن أشير له أن (انجز)، لكنى كنت أتنفس وأتحلى بالصبر.. لقد تناولت ثلاثة مشروبات بعد الغداء وكل هذه نقود مدفوعة مقابل أن أسمعه وهو يحكى! وأنت أيضا دفعت مالا مقابل أن تعرف ماحكاه!

أعلم أن حتى هذا الجزء من قبيل الثرثرة والتفاصيل، لكنك تورطت فى المستنقع وعليك أن تكمله للنهاية!

السؤال هو: ما علاقة كل ماسيحدث الآن بكل ماحدث من قبل؟

حى راق للغاية من أحياء القاهرة:

تسعينيات القرن الماضى:

فى حى هـادىء يغرق فى الظلام والسكون إلا من ضوء بعض المصابيح المتناثرة هنا وهناك.. الهدوء التام يبسط نفوذه على كل شىء، حتى أنك لا تسمع إلا صوت الهواء وهو يتحرك فحسب..

وجوار سور إحدى الفيلات المتناثرة، سار رجلان بحذر يتحاشيان الضوء قدر الإمكان.. يبدو أحدهما قوي الجسد نوعا يسير ببطء وثقة، بينما الآخر يسير برشاقة يكاد يتقافز من فرط الأدرينالين التى يجتاح جسده!

وقفا فى منطقة مظلمة من السور يتلفتان مرة أخيرة، وبسرعة بدأ الرشيق يتسلق جزءا من السور العالى بمساعدة رفيقه، ثم هبط على الجانب الآخر بهدوء بالغ إلى داخل حديقة الفيلا، وتحرك فورا ناحية البوابة ليقف جوارها أمام شاشة إلكترونية تحتها عدد من الأزرار، هى أحدث شىء فى تكنولوجيا الحماية فى ذلك الوقت.. يضغط الشاب الأرقام فى تتابع يحفظه جيدا، وما لبثت البوابة أن أصدرت صوت صفير قصير معلنا انفتاح البوابة، فتجمد الفتى للحظات كى يتأكد أن لم يسمعه أحد، ثم وجد البوابة تنفتح ببطء وحدها ويظهر من ورائها رفيقه..

ابتسم الفتى ساخرا وهو ينظر نحو رفيقه.. كان رفيقه هذا وسيما بالفعل مع شعره الغزير الذى بدأ الشيب يغزوه فزاده وسامة، وجسده

الرياضى المفتول، ثم قال الرشيق فى صوت هامس:

- تفضل يا (جدو)..

وضع الآخر إصبعه على شفتيه وهمس فى صرامة:

- هششششش.. اصمت.. لا أريد كلاما على الإطلاق.. أتفهمنى؟

رفع الشاب حاجبيه فى تهكم ولم يرد عليه، ثم عبرا الحديقة بسرعة على أطراف أصابعهما وصولا إلى ماسورة جانبية تلتصق بأحد الجدران.. وبخفة شديدة ودون أدنى صوت تسلق الفتى الماسورة صعودا لأعلى حتى وصل إلى نافذة جانبية صغيرة.. أخرج من جيبه الخلفى أداة صغيرة عالج بها الرتاج حتى انفتحت النافذة، وبهدوء دلف للداخل ثم أخرج رأسه ناظرا لرفيقه رافعا إبهامه، فتحرك الوسيم فى الأسفل من مكانه وهو يهز رأسه حانقا من هذا المتباهى الأحمق!

كان الشاب الآن داخل الفيلا، تحديدا فى دورة المياه العلوية.. على الفور تحرك فى هدوء خارجا إلى الرواق الطويل فى الخارج.. الظلام دامس إلا من بعض أضواء الحديقة التى تنعكس داخل الفيلا فتبعث خيالات مرعبة.. ورغما عنه تساءل كيف يعيش رجل وابنه فقط فى كل هذه المساحة الشاسعة؟

ثم أخرج مصباحا صغيرا لصق على فوهته قطعة كارتون حتى لا يتناثر الضوء ويفضح مكانه.. فقط ينير المكان الذى يحتاج أن يراه فحسب..

حدد مكان باب الفيلا، وتحرك محاذرا أن يمس شيئا، ثم هبط السلالم بسرعة وأسرع فاتحا الباب للوسيم..

كان الوسيم واقفا فى توتر، وما أن فتح الباب له حتى دلف وهو يتنفس الصعداء..أومأ الأول برأسه قائلا:

- ها قد دخلنا.. لم يكن الأمر صعبا و..

قاطعه الوسيم بانزعاج وهو يضع يده على فمه ويقول:

- ششششش! أقسم لو سمعت صوتك مرة أخرى لأتركك هنا وأرحل.. اخرس قليلا..

أومأ الفتى رأسه فى تبرم، وبدءا يسيران معا.. كان من الواضح أن الوسيم يعرف طريقه داخل المكان جيدا وكأنه دخل المكان مرات ومرات من قبل، إذ أنه توجه مباشرة نحو حجرة المكتب ودخلها ووراءه رفيقه.. فى الداخل أغلق خلفه الباب، ثم توجه ناحية لوحة جدارية معلقة على الحائط ووقف أمامه بضع ثوان، ثم دفعها جانبا فانزاحت بحركة دائرية، وظهر من خلفها خزانة ذات أزرار..

أخرج من جيبه لاصقا شفافا عريضا ووضعه بحرص على الأزرار ثم رفعه وأخذ يتأمل فيها بتركيز.. طبعا كان ينظر لـلأزرار التى يستعملها الرجل والتى تحوي بصماته فقط!

لكن بدا على الرجل القلق نوعا، مما أثار فضول وقلق الشاب، فانطلق يسأل بصوت خافت:

- هل توجد مشكلة ما؟

هز الرجل رأسه إيجابا وقال:

- نعم.. هذه أربعة أرقام فقط لكن.. انا لا أعرف ترتيبها! لا أعرف ما الرقم الذى ينبغى أن أضغطه أولا وثانيا وثالثا وهكذا.. وهذه الخزانة تنغلق بعد ثلاثة محاولات ولن يستطيع أحد فتحها مرة أخرى إلا الشركة المصنعة فقط..

- إذن نحملها كلها ونأخذها معنا؟

- إنها ثقيلة جدا، كما أنها مثبتة جيدا داخل الحائط ولا يمكن نزعها على الإطلاق..

صمت قليلا ثم أخذ نفسا عميقا وقال:

- حسنا.. نحن هنا وانتهى الأمر، فلأجرب وليكن ما يكون..

مد يده وضغط الأرقام بتتابع بطىء، لكن الخزانة صفرت معلنة فشل المحاولة الأولى كما هو متوقع..

توتر الفتى وقال بهمس:

- والآن ماذا؟ جرب مرة أخرى.. ركز قليلا..

عض الوسيم على شفته السفلى وهو يكتم غضبه وحسرته، ثم حاول ببطء مرة أخرى..

صفير الفشل..

ترك اللاصقة ورفع يديه يمسك رأسه يفكر.. ثوان وقال فى شرود وهو يكلم نفسه:

- ربما.. هذه الأرقام تشبه تاريخ ميلاد ابنه؟

أشاح رفيقه بيده فى يأس وقنوط..

أخذ الوسيم نفسا عميقا مرة أخرى وكتمه وهو يضغط الأرقام بتتابع و..

تك!

انفتحت الخزانة!

اتسعت عينا رفيقه الشاب الذى أخذته المفاجأة.. من الواضح أنه كان ينتظر الفشل هذه المرة أيضا وتفاجأ بانفتاحها.. ارتجفت شفته السفلى وهو يقول:

- أنت عبقرى.. عبقرى.. طوال عمرى أحبك يا أخى.. ترمى كل هذه العبقرية وتعمل مشرفا لعينا؟ افسح لى المجال.. افسح..

ابتسم الوسيم وهو يفسح له المجال بالفعل، بينما يدخل رفيقه بحماس يجمع ما بداخل الخزانة..

كانت تحوى كما كبيرا من الماس فى عدة علب صغيرة، ومبالغ مالية بعملات متنوعة..

كان الفتى يمسح ما فيها تماما، حينما تناهى لمسمعهما فجأة صوت تكة باب الحجرة ينفتح و..

يظهر من خلفه صاحب الفيلا وجواره ابنه!

ثوان مرت والكل متجمد.. صاحب الفيلا وابنه الطفل يرتديان ملابس الخروج.. واضح أنهما عادا للتو من الخارج ولمحا شيئا فى غرفة المكتب فدلفا إليه..وبصوت مهزوز مذهول قال:

- (عدلى).. (خالد).. أتسرقانى أنا؟

لم يحرك احد ساكنا.. المفاجأة ألجمت الكل، فجأة تحرك الشاب والتقط تمثالا معدنيا وهجم على صاحب الفيلا الذى صرخ وهو يتراجع:

- ارجع يا (محمود).. اهرب..

لم يكن صاحب الفيلا ضعيف الجسد، لكن المفاجأة جعلت حركته ثقيلة.. حاول تفادى ضربة هوى بها الفتى لتصيبه ركلة منه أسفل بطنه، ثم هوى بالتمثال على رأسه مرتين بصوت مسموع خر على إثرها ساكنا على الأرض، والدم ينساب من رأسه ببطء على السجادة..

وقف النحيل يلهث، ثم اتجه ناحية الوسيم الذى يقف ساكنا جوار حقيبة المسروقات.. انحنى يحمل الحقيبة قائلا:

- هيا بنا..

كانت عينا الوسيم معلقتان بالطفل الذى سقط على ركبتيه جوار والده يرتجف.. عيناه متسعتان عن آخرهما وصدره يعلو ويهبط من الفزع ولا يستطيع حراكا..

مد الوسيم يده داخل حقيبة المسروقات برزمة نقود واتجه للصغير ورماها أمامه ونظر له.. لم يحرك الصغير ساكنا.. مد يده وربت على شعره وهمس:

- لا تخف.. لن يحدث شىء.. لا تخف.. ستعود لأمك قريبا..

صاح النحيل به بعصبية:

- هيا قبل أن اقتله هو الآخر.. هيا ..وخذ رزمة النقود هذه وكفاك جنونا..

نهض الوسيم وبدا فى عينيه غضب وهو يقول:

- بل سأتركها يا (خالد).. لن أتركه جوار جثة ابيه دون نقود.. يعنى أتزوج أمه وأخى يقتل أباه ونتركه يموت جوعا؟ ليس له أحد!

نظر النحيل للأب وهمس:

- هل مات فعلا؟

رمق الوسيم الجسد المسجى على الأرض.. كان صدره يتحرك ببطء.. لم يجبه وإنما انطلق خارجا من الفيلا، وخلفه رفيقه النحيل..

هنا فقط تحرك الطفل واضعا يده على صدر أبيه وبدأ يهزه فى ذعر وينادى عليه..

لكنه لم يستجب..

- أبى.. أبى..

ولا من مجيب!

* * * * * * *

فى زماننا الحالى:

كان (محمود) الشاب جالسا فى شرفته شقته التى تطل على النيل مباشرة من طابق مرتفع ويبدو عليه الاسترخاء الشديد، وجواره صديقه (ثروت) يستمتعان بالهواء المنعش، وأمامهما طبق كبير

يمتلىء بالفاكهة..

تمطى (محمود) بقوة ثم نظر لصديقه (ثروت) قائلا:

- أخيرا يا (ثروت).. هذه الشقة حلم حياتى.. أرأيت كم كانت فيلا أبى كبيرة وحولها حديقة شاسعة تعج بأشجار الفاكهة؟ لكن هذه الشقة هى الأحلى والأغلى والأقرب لقلبى..

أومأ (ثروت) رأسه فى تعجب يحمل طعم التحسر وقال:

- أنت حر طبعا ولكن.. المبلغ الذى دفعته هنا مبلغ باهظ فعلا.. مبلغ يجعلك تشترى عمارة فاخرة فى حى راق! وكان أمامك عدة شقق أخرى على النيل أيضا.. لماذا هذه الشقة تحديدا يا صديقى؟ حتى أصحابها لم يكونوا يريدون بيعها لولا السعر الضخم الذى عرضته!

ضحك (محمود) وقال:

- بالضبط.. أنت وضعت يدك على النقطة الهامة دون أن تدرى.. هذه الشقة تحديدا هى التى أريدها.. صحيح انى دفعت فيها مبلغا رهيبا، لكن ما قيمة النقود على كل حال إن لم أشتر ما أريده؟

مط (ثروت) شفتيه وقال:

- ولكن..

قاطعه (محمود) :

- سأخبرك السر.. عندما كنت صغيرا كنت ألمح هذه الشقة مع أبى رحمه الله.. وكنت دائما ما أقول له أنى سأحصل عليها.. على

هذه الشقة بالذات، فكان يبتسم استهزاءا بكلامى.. طفل صغير يقول (أى كلام).. لكن لم أتنازل قط عن حلمى هذا حتى حصلت عليها.. لعلمك أنا فى مفاوضات مع أصحاب هذه الشقة منذ ثلاث سنوات كاملة! أعتقد أنهم باعوها لى ليتخلصوا من إلحاحى.. انظر يا صديقى..

أشار بيده ناحية النيل والمراكب تسير فيه، ومن بعيد تتهادى الشمس ناحية الغروب، بينما يداعب الهواء جبهتيهما بعنف لطيف وقال:

- بالله عليك، أى مشهد أجمل من هذا المشهد؟

كان وجه (ثروت) تتبدى عليه الغيرة بقوة، لكن (محمود) لم يرها لأنه كان مشغولا بالنظر نحو النيل، ثم ما لبث (ثروت) أن مسح بيده على وجهه وعاد لنظرته المحايدة ويسأله مغيرا الموضوع:

- (محمود).. لماذا لم تتزوج حتى الآن؟

نظر له (محمود) بدهشة وهو يخبط كفا بكف ثم انفجر ضاحكا وهو يقول:

- أنت لا تعرف الملل يا أخى.. لقد سألتنى هذا السؤال خمسين مرة!

صمت (محمود) برهة ثم قال:

- أنا أريد الزواج ولكن.. أتزوج امراة تفعل فيّ مثلما فعلت أمى فى أبى؟

نطق العبارة وبدا فى عينيه الشرود..

تذكر أباه عندما كان راقدا على سرير المستشفى بلا حول ولاقوة، والأجهزة من حوله تصدر أزيزا متقطعا، والضمادة البيضاء تحيط برأسه، بينما يبدو غارقا فى تلك الغيبوبة العميقة، و (محمود) الصغير واقف إلى جواره والذعر باد فى عينيه..

على الجانب الآخر تقف امرأة على قدر من الجمال..ذلك الجمال الكريه الذى لا يمكنك أن ترتاح له مطلقا..

كانت تقف ناظرة للراقد فى كراهية، ودون أن تراعى وجود الطفل قربت وجهها من الراقد وهمست:

- ليتك كنت مت.. لماذا تتشبث بالدنيا لهذا الحد؟ أستتعبنى فى موتك مثلما أتعبتنى فى حياتك؟ لماذا لا تموت وحسب؟

مع كلماتها شهق الصغير وبدأ يبكى.. كان بكاؤه غريبا عليه لأنه يبدو كبيرا.. ربما حتى جاوز العاشرة بقليل، ولكن الموقف أكبر منه فعلا..

نظرت المرأة للصغير بتهكم وقالت:

- أتخاف على أبيك لهذه الدرجة؟ اتظنه رجلا؟

صمتت ثوان تستجمع شتات صدرها المضطرب، ثم حاولت أن تبتسم وهى تسير نحو الطفل قائلة:

- تعال هنا يابنى.. عندما يموت هذا الوغد سأشترى لك ألعابا كثيرة و..

لكن الطفل تراجع ليلتصق بفراش أبيه وأمسك يده بقوة..

هذا الموقف أثار حفيظة المرأة، فصاحت فى عصبية:

- اتركه يا بنى..اترك هذا البخيل المقرف.. لماذا أنت متمسك به هكذا؟ تعال هنا..

مدت يدها تحاول جذبه لكنه صاح فى هلع وهو يحتضن يد أبيه أكثر بينما تمد يدها تشده بعنف، وفجأة سمع (محمود) اسمه بوهن من بين شفتى أبيه، فصاح بفرح:

- أبى.. أبى..

فتح الأب عينيه بوهن ونظر لابنه بينما حدقت المرأة فيه بغضب مذهول!

ولو رأيتها تندفع خارجة من المكان فى غضب لظننتها كانت فى مشاجرة قاسية خاصة مع وجهها المحتقن!

فى الخارج تخرج هاتفا محمولا من تلك الهواتف الجديدة والتى تنم عن ثراء حامليها وتتصل بشخص ما وتهتف بغضب:

- زفت الطين مازال حيا..

وكان وراءها (محمود) الطفل ينظر نحوها ويسمع ما تقوله هذه المرأة..

أمه..

* * * * * * *

- (محمود).. (محموووووووود).. أين ذهبت؟

نظر (محمود) لـ (ثروت) ويبدو عليه أنه أفاق من شرود طويل تذكر فيه أحداثا رسمت تفاصيلا على وجهه، لكنه سرعان ما ابتسم وقال:

- عذرا صديقى.. شردت فعلا.. المهم أنى لا أرغب فعلا فى الزواج لأنى خائف منهن جدا.. أريد أن أتزوج، لكن من زوجة تحبنى أنا لا تحب أموالى.. تحب (محمود) الإنسان وليس (محمود) ماكينة صرف النقود..أنت تعلم جيدا ماحدث لأنى حكيته لك بالتفصيل الممل وتعلم أن أمى خططت لسرقة أبى والهروب مع صديقه والتمتع بنقوده.. لقد جعلت صديقه يخونه، مع أن أبى هو السبب فى تغيير مجرى حياته بالفعل بعد خروجهما من السجن؛ فكان الجزاء أن غدرا به وحاولا قتله! والسبب فى الأساس أمى!

ساد الصمت قليلا وبدا أن (ثروت) لا يجد ما يقوله تعقيبا على هذا الكلام الذى صدر بحرارة تفيض بالألم.. تنحنح ثم حاول أن يقول شيئا لكن (محمود) أسعفه قائلا:

- لا تقل شيئا.. أنا لا أثق فى النساء عموما.. ما رأيته من أمى يكفى جدا، ثم أنى آخذ ما أريده من النساء فعلا وبزيادة! مصريات وأجنبيات وكل الاشكال والألوان! ربما أرغب فى استقرار فعلا ولكن.. المخاطرة لا تستحق.

بدا على وجه (ثروت) إحباط كبير ممزوجا بغيرة وهو يقول لـ (محمود) بنبرة هجومية:

– يعنى تريد أن تقنعنى أن كل هؤلاء النسوة لم تجذبك إحداهن لتكون زوجتك يوما؟ لقد رأيتك مع نساء يكفين نصف رجال مصر.. الحقيقة أنك أنت مستمتع بحياتك هكذا، فمن فضلك لا تضحك علىّ.. أنا أعرفك.. أنت – لا – تريد – الزواج!

بدت على وجه (محمود) علامات الجدية وهو يقول:

– هـذا شأنك أن تصدقنى أو لا، لكنى فعلا لم أجد واحدة مناسبة، وربما السبب ببساطة لأنى لم أبحث قط.. والمشكلة فى نقودى.. لقد ترك لى أبى مالا كثيرا بالفعل، وكلهن ينظرن لمالى وليس لى.. ينبهرن بالنقود وليس بـ (محمود).. كما قلت لك يريدون ماكينة صرف أموال فقط..

أخذ شهيقا مستمتعا من الهواء النقى ثم قال:

– أنت تعلم أنى مستعد لإعطاء زوجتى كل شىء.. فقط اريد أن تحبنى أنا.. تحبنى لشخصى.. لا تتركنى لو مرضت أو افتقرت.. ليس مثل الفتاة التى تركناها فى الفيلا مثلا!

قالها وابتسم فى خبث ثم نظر فى ساعته وقال لـ (ثروت) :

– الساعة الآن السابعة.. ما رأيك أن نذهب لها معا؟

بدت فى نظرة (ثروت) شىء من الضيق وهو يقول:

– لا.. أنا لا أحب هذه الـ..

نهض (محمود) من مقعده وهو يقول له:

– لا تتحجج.. هيا بنا..

نطقها وتأبط ذراعه لينهض ويخرج معه من الشقة..

* * * * * *

قاد (محمود) سيارته الرياضية الفارهة إلى فيلا أبيه القديمة، والتى كانت ساكنة تماما كعادة بقية أخواتها فى الحى الهادىء، وإن كانت الوحيدة التى يسيطر عليها الظلام بعدما هجرها أهلوها وتركوها خاوية تجتر ذكريات الماضى..

لم يدر أحد سبب احتفاظ (محمود) بهذه الفيلا، ولا هو نفسه يعلم.. سبب مجهول يمنعه من تركها مع أنه لا يحبها.. لا يريد الحياة هنا، كما لا يرد أن يتركها لأحد!

ركن (محمود) سيارته أمام الفيلا وهبط منها وابتسامة تعلو شفتيه، بينما هبط (ثروت) فى تثاقل..

نظر له (محمود) وقال:

– يابنى ابتسم.. صدقنى الموضوع ظريف للغاية.. بل حتى أنى أخشى عليك من إدمانه إن جربته!

أومأ (ثروت) برأسه فى حركة غير مفهومة وأخذ يهمهم بينه وبين نفسه بجمل اعتراضية، بينما اتجه (محمود) ناحيته وتأبط ذراعه مرة أخرى كأنما يقبض عليه وهو يقول:

– من يراك هكذا لا يظن أبدا أنك من أحضرتها لى!

غمغم (ثروت) :

– لكنى قلت لك أن تتصرف وحدك.. أنا لا أحب هذه الأشياء..

رد (محمود) بكل حماس:

- حسنا.. لو لم تستمتع بوقتك فلن أدعك تحضر مثل هذه المواقف مرة أخرى.. اتفقنا؟

لم يرد (ثروت) وإنما أكمل سيره معه فحسب..

علاقة عجيبة جمعت بين هذين الرجلين مع أنهما مختلفين تمام الاختلاف.. احدهما ثرى كأنما هو من عائلة ساويرس، والآخر فقير كأنما هو مدرس حكومى! (محمود) وسيم بنى الشعر غزيره، بينما (ثروت) يحمل شيئا من الصلح، لكن كان لهما طول واحد وقدر من التشابه.. كان (محمود) لا يطيق (ثروت) هذا، لكن منذ أن أعطاه هدية غامضة صار صديقه المقرب ولا يفعل شيئا تقريبا بدونه وصار يعتمد عليه فى أعماله وبعض شئون حياته!

المهم، أن (ثروت) سار جوار (محمود) فى غير حماس، لكنه فى قرارة نفسه كان يرغب فى رؤية ما سوف يحدث.. طالما تحدث (محمود) عن غرفته الحمراء الخاصة!

كان (ثروت) معجب بفكرته التى استقاها من بعض المواقع الإجرامية المنتشرة على الانترنت العميق، ولكنه لم يرغب قط فى رؤية ما يفعله.. أو هكذا قال له..

دلفا معا للفيلا الخالية، وسارا خطوات ذات صدى مخيف نحو غرفة جانبية صغيرة..

غرفة (محمود) الحمراء..

الغرفة صغيرة، تتلطخ جدرانها وأرضيتها باللون الأحمر كيفما اتفق وكأن هناك من سكب اللون الأحمر عشوائيا على الحوائط والجدران فى شكل رهيب مفزع يثير شتى أنواع المخاوف، ومن فعل ذلك هو (محمود) نفسه بطلب من شركة متخصصة فى الديكورات..

على أحد الجدران توجد العديد من الأدوات الحادة.. شواكيش ومقصات عملاقة ومناشير متعددة ومثقاب كهربى صغير..

فى وسط الحجرة هناك مقعد فوقه مصباح صغير يلقى بضوء مقبض على الحجرة، وتجلس فوقه فتاة مقيدة بحيث يكون ذراعاها خلف المقعد، وقدماها مقيدان فى قدمى المقعد، وفمها مكمم برباط قماشى.. ومن الواضح أنها هنا منذ وقت طويل!

ما أن رأتهما الفتاة حتى أخذت تحاول الصراخ وعلامات الانهيار تغزو عينيها المجنونتين بالذعر.. لابد أن ألف خاطر قاتل دار برأسها وهى ترى كل هذه الأدوات وكأنما دخلت بخطأ لفيلم رعب أمريكى! تحاول الصرخ فيخرج صوتها مكتوما.. وبسبب بكائها كانت مستحضرات التجميل سائلة مختلطة على وجنتيها بشكل مخيف.. وهناك رائحة آسنة سيئة لا نريد معرفة مصدرها حقا!

ببطءٍ دخل (محمود) وسار تجاهها بينما اكتفى (ثروت) بالوقوف فى ركن الحجرة فحسب.. بصوت تعمد أن يكون عميقا مخيفا كأنما يتقمص دورا فى فيلم تكلم:

- (سارة) يا (سارة).. أنتِ سرقتنى يا (سارة).. هل هذا معقول؟

جحظت عينا الفتاة وهى تهمهم فى توسل ورجاء، بينما أكمل:

- وهل تعلمين ما عقوبة السرقة يا (سارة)؟ هل تعرفين كيف يأخذ الناس حقهم من السارق؟

أخذت الفتاة تنفى برأسها فى ذعر وتحاول الصراخ فيخرج صوتها مكتوما أكثر..

ضحك (محمود) وهو يقول:

- أحسنتِ يا فتاة.. لا بد أنك تقولين أنهم يقطعون يد السارق ولكن اللثام على فمك يمنعك، وأنا..

مال ناحية وجهها وحدق فى عينيها مباشرة، ثم قال بصوت مخيف:

- سآخذ حقى..

هنا تحرك (ثروت) ناحية (محمود) فى توتر قائلا:

- (محمود).. يكفى هذا.. دعها تمشى وسوف..

قاطعه (محمود) بنبرة باردة:

- سوف ماذا؟ لا يا صديقى.. أنا أريد حقى فقط.. أليس هذا حقى؟

ثم عاد ينظر لعينى الفتاة قائلا:

- أتعرفين يا حلوة شيئا.. لو كنتِ طلبتِ منى ما سرقتيه لكنت أعطيتك إياه فورا وبلا تردد.. أنا لا أهتم بالنقود فعلا، وما سرقتيه بالنسبة لى لا شىء.. لكن.. تسرقينى؟

أخذ نفسا وعاد للخلف وقال بصوت هادىء:

- عموما.. سامحك الله..

نظرت الفتاة بعينين كلهما أمل، ولكنه استطرد قائلا:

- أما أنا.. فلن أسامحك..

عادت الفتاة تتلوى فى جنون وتبكى، بينما سار (محمود) خطوات قليلة وراءها نحو المنشار الكهربى وأداره بصوت مفزع وسار به نحو الفتاة وهى تصرخ وتصرخ بصوت مكتوم، وفجأة بدأت فى إفراغ معدتها والرباط القماشى يمنعها..

بسرعة مد (محمود) يده والتقط مقصا قطع به الرباط القماشى وخصلة من شعرها تصادف وجودها فى طريق المقص، بينما أفرغت معدتها على قدميها من فرط التوتر لتزيد رائحة المكان سوءا!

أوقف هو المنشارالكهربى وتصنع الدهشة وهو ينظر لها قائلا:

- ماذا بكِ يا (سارة)؟ يبدو أنك أكلتِ شيئا فاسدا.. نعم.. أكلتِ مالا حراما!

كانت الفتاة على وشك الانهيار العصبى أو ربما هى تمر به الآن بالفعل، وأخذت تتمتم بتوسلات غير مفهومة، لكنه لم يهتم.. قال جملته ورفع المنشار وكاد أن يعيد تشغيله عندما صاح به (ثروت) قائلا:

- (محمود).. أرجوك كفى..

نظر نحوه (محمود) قائلا:

- كفى؟ لماذا؟ وأشيائى التى سرقتها تلك اللصة؟

قال (ثروت) فى عصبية:

- ستحضرها لك.. سوف تحضرها لك غدا..

بدا على وجه (محمود) التفكير، ثم التفت إليها قائلا:

- أحقا ما يقول يا حلوتى؟

أومأت الفتاة برأسها فى لهفة أن نعم مصدرة أنينا غير مفهوم.. كانت غير قادرة على الكلام!

رفع كتفيه وخفضهما باستسلام:

- حسنا.. من أجل صديقى فقط سأنتظر أشيائى غدا يا حلوة.. غدا صباحا وليس ظهرا تتركينها عند الأمن فى الشركة، وإن لم يحدث فسوف آخذ حقى مضاعفا هذه المرة.. أعرف كيف أصل لك ولأهلك كلهم فردا فردا، وكى لا تنسى خذى هذا كتذكار..

فتح المنشار مرة أخرى بحركة حادة وعيناه تحملان تصميما رهيبا بينما صرخت الفتاة بصوت لم يخرج من حنجرتها من قبل.. كاد قلبها يتوقف من فرط الرعب وهو يقربه من يديها فى بطء وسط الصراخ الهيستيرى للفتاة، ثم..

قطع قيود يديها فحسب، ومس يديها بجرح بسيط للغاية رغما عنه، وعاد للخلف.. العجيب أن مع انهيارها لم تتحرك رغم أن حريتها نالت يديها!

وقف بضع ثوان ثم أمرها أن تفك قيود قدميها، ثم تضع عصابة

سوداء على عينيها كانت تحتها مباشرة.. كانت تجلس فوقها وأصابها من الرائحة الكريهة ما أصابها، لكنها لم تناقش!

فعلت الفتاة ما طلبه منها وهى ترتجف..

نهضت بقدمين تشبهان العجين، وسارا نحو الباب.. كان يرشدها بصوته محاذرا أن يمسها من فرط اشمئزازه، حتى خرجوا جميعا تجاه البوابة الخارجية.. وهناك نادى (محمود) بأعلى صوته:

- عم (مسعد).. يا عم (مسعاااااد)..

ثوان وبرز من حجرة صغيرة غفير ضخم الجسد يبدو أنه استيقظ لتوه من النوم.. لم ينتظر أن يقول له شيئا، بل دفع له بالفتاة وهو يقول:

- اتركها فى نفس مكان المرة السابقة!

وتركه وسار تجاه سيارته، بينما اصطحبها البواب دون كلمة لسيارة عتيقة قريبة منه، وأودعها الحقيبة الضخمة وسط أغراض أخرى تأهبا للانطلاق بها!

ركب (محمود) سيارته وجواره صديقه ممتقع الوجه.. قال (محمود) وهو يضحك محاولا تخفيف توتر صديقه وهو ينطلق بالسيارة:

- ماذا بك؟ حسستنى أنى سأقطع يدها حقا..

قال (ثروت) بصوت خافت:

- أنا أحسست أنك ستفعل ذلك حقا!

ضحك (محمود) مرة أخرى ضحكة عالية وهو يقول:

- يالك من أحمق.. وأنا الذى كنت أظن أنك تعرفنى..لست أعرف كيف قامت صداقتنا هذه أصلا!

ضربت الجملة الأخيرة سهما مسموما فى قلب (ثروت)، لكن (محمود) استطرد:

- يا صديقى أنا لا أستطيع أن أؤذى قطة.. أقسم أنى لو رأيت برصا او صرصارا كبيرا فلن أستطيع قتله أو إيذائه وغالبا سأجرى بعيدا عنه! ما حدث وسيلة لطيفة كى أسترد حقى من الناس والنساء خاصة.. والحق يقال أن وجودك اليوم كان له تأثير رائع والحوار بيننا كان ممتازا.. أنا أخيفهم ولا أؤذيهم، لا تنكر أن الأمر مسل رغم كل شىء.. أليس كذلك؟

أومأ (ثروت) برأسه نفيا وقال:

- ليس مسليا على الإطلاق.. أنت مريض نفسى ويجب أن تتعالج.. ثم من أين جاءتك الفكرة اصلا؟ وأين سيتركها البواب؟

قال (محمود) :

- ربما أنا مريض نفسى.. بل أعتقد أنى مريض نفسى! كلنا مجانين بشكل أو بآخر.. الفكرة جاءتنى من مواقع الانترنت المظلمة.. هناك شركات تخطف الناس وتعذبهم مقابل مشاهدات بمبالغ هائلة، ثم يرفعون الفيديوهات على مواقع لا يمكن تتبعها.. رأيت أحدها ذات مرة وصدقنى الأمر بشع للغاية.. يسمون هذه

الفيديوهات بفيديوهات الغرف الحمراء لأن غالبية المعاتيه الذين يفعلون ذلك يفعلونه فى غرف حمراء..

قاطعه (ثروت) مبتسما:

- مثلك تماما!

قال (محمود) فى إباء:

- سامحك الله.. قلت لك أنى لا أعذبهم جسديا، أنا أعذبهم نفسيا.. وعلى فكرة هذه ثالث مرة فقط..

رد (ثـــــــروت) بـغـمـغـمـة مـتـسـائـلـة:

- وأين سيترك البواب الفتاة؟

أجاب (محمود) :

- سيتركها على أطراف الشارع فحسب حيث يمكنها التصرف وركوب أية مواصلة، بل وسيعطيها أجرة عودتها للمنزل أيضا، لكن سيدور بها قليلا حتى تشعر أن المكان بعيد ولا تتعرف عليه مرة أخـرى.. لو فهمت المغزى ستدرك أن هـذه اللصة لن تفعلها فى حياتها مرة أخرى قط.. ستتعجب لو عرفت أنى لا أعرف عنها شيئا؟ وأنها لو لم تأت بما سرقته غدا فلن أستطيع الوصول إليها؟ ولكنها ستعيده! تستطيع القول أنى أؤدى دورا اجتماعيا مهما..

- أنت مجنون.. هذه الأفلام الأجنبية (لحست) عقلك..

- ألم تستمتع بوقتك؟

رد (ثروت) بحنق:

- لا..

قال (محمود) بابتسامة:

- لكنى استمتعت فعلا وأشعر أنى جائع!.. هيا بنا للسيدة زينب..

* * * * * * *

جلس الصديقان عند أحد المطاعم المشهورة فى ميدان السيدة وأمامهما مائدة عامرة بشتى ألوان وصنوف الطعام ينهال عليها الصديقان فى شهية واضحة، وبفم ممتلىء قال (ثروت) لـ (محمود) :

- على الرغم من أنك حكيت لى كل شىء عن خيانة أمك لأبيك، إلا أنك لم تحك لى قط عن أبيك وصديقه وفترة السجن هذه.. بصراحة الفضول يقتلنى.. أريد أن أعرف ما الحكاية بالضبط؟

رفع (محمود) عينين مليئتين بالحنق وفم ملىء بالطعام، ثم حمل إصبعا من الممبار ولوح به فى وجهه قائلا:

- بالله عليك هل هذه وقته؟ كباب وممبار وكبدة وكفتة وتطلب منى أن أحكى لك عن السجن والخيانة وأبى؟ من أبى هذا أصلا وقت الطعام؟ يابنى أنا آكل.. آكل.. انتظر سأحكى لك لاحقا..

ضحك (ثروت) حتى دمعت عيناه وشرق بالطعام والأرز.. تابعا الأكل حتى أتخما تماما ونهضا بعد ذلك لدفع الحساب وقد برز لهما كرشان صغيران نتيجة الإفراط فى الطعام اللذيذ، ثم ما لبثا أن سارا كامرأتين حاملين بالكاد تجاه ميدان السيدة زينب نفسه وهما يتعكزان على بعضيهما حيث ذلك المقهى الشعبى الشهير..

كان الجو رائعا وأجـواء مولد السيدة تعلن عن نفسها بوضوح، وعلى الرغم من امتلاء بطنيهما،لم يمنعهما ذلك من شراء سوبيا والاستمتاع بها!

كان منظرهما غريبا وهما يلهثان من فرط الطعام ويأكلان فى نفس الوقت! وصلا للمقهى الشعبى، وجلسا فى سرور يطلبان شيئا مناسبا لكل هذا الذى أكـلاه، وسرعان ما استقر أمامهما برادان مليئان بالشاى وداعب النعناع القوى أنفيهما بشدة، بينما وضعت جوار كل منهما نارجيلة تفوح برائحة الفواكه..

لحظات من القرقرة والاستمتاع بمذاق الشاى والدخان بعد كل هذا الدسم،كان الاسترخاء التام هو المسيطر عليهما الآن فلو كانا فى منزليهما لغطا فى سبات عميق! ثم قال (محمود) بكسل:

– الآن.. أنت تريد أن تسمع قصة أبى؟ حسنا.. فقط لا تقاطعنى واستـمـع.. أعتقد هـذه أول مـرة سأحكى فيها قصته لأحـد على الإطلاق.. هذه من أسرار قلبى! استمع..

* * * * * *

كان أبى رجلا ثريا وسيما كما تعلم، وكـان دائما محط أنظار الناس فى النادى الذى يمتلكه!

أعتقد أن أبى هو أول من امتلك ناديا خاصا فى مصر.. كنت تراه يتجول هنا وهناك بجسد رياضى ممشوق ووسامة متناهية.. عطره يجوب الآفاق، بينما تشتعل نظرات الإعجاب من النساء حوله

ونظرات الحقد من الرجال تكاد تخترقه اختراقا.. وكثيرا ما كانت أمى تتضايق من هذه النظرات المعجبة، فكانت تقريبا تتجول معه طوال الوقت تنظر للجميع نظرة استعلاء، متباهية بملابسها الراقية والحلى الثمينة التى تكسو يديها..

كان منظرهما وهما يسيران وأمامهما الكلب الذهبى الفاخر يثير الحقد فعلا ويوحى بحياة مترفة ناعمة ليس فيها إلا الرفاهية والسعادة بين الزوجين ولكن..

ولكن الزمن لا يعطى كل شىء ولا يسير على وتيرة واحدة.. فهذا أبى الرجل القوى الفحل الرياضى أصيب بمرض غريب جعله لا يستطيع القيام بعلاقة زوجية مرة أخرى.. وطبعا وقتها لم يكن يوجد فياجرا ولا غيره.. انتهى الأمر ولا سبيل للعلاج.. لحسن الحظ كنت أنا جئت للدنيا..

بعدها زادت المشاجرات.. وعلى الرغم من أنى كنت صغيرا جدا بالفعل إلا أنى مازلت أذكر مشاجراتهما.. أذكر تجريح أمى لأبى.. أذكر ذات مرة أنها تطاولت عليه بألفاظ نابية فعلا مست رجولته المريضة بعنف جعلته يمد يده ويصفعها صفعة مدوية.. أذكر نظرات ذهول أمى وارتعاشة أبى وانهياره الواضح على جسده كله..

أعرف أن أبى كان يحب أمى، لكن أمى كانت تحب نفسها فقط.. لم تكن تحبه.. تحب ماله وسطوته ومركزه الاجتماعى ومظهره، ولكن عندما صفعها بدا أنهما وصلا إلى طريق مسدود.. الانفصال قادم

لا محالة، وكعادة أبى عندما يتوتر خرج واستقل سيارته وانطلق بها يسير هائما فى الطرقات لا يلوى على شىء.. والأمر الحتمى حدث..

طبعا.. اصطدم برجل يعبر الشارع.. رجل مسكين يبدو أنه كان قد اشترى شيئا لتوه من متجر قريب، وأثناء عبوره الشارع فوجىء بالسيارة تنقض عليه كما فوجىء به أبى.. ضغط الفرامل بقوة لم تجد نفعا مع السرعة العالية فاصطدم بالرجل الذى طار عدة أمتار وتدحرج على الأسفلت وتحته بقعة تتسع تدريجيا من الدم..

شعر أبى بالهلع خاصة أنه فى منطقة هادئة، ولا يوجد أحد قريب يسعفه.. كان بإمكانه الهرب، ولكنه كان رجلا صاحب مبادىء.. فورا اتصل بالإسعاف، الذين جاءوا وحملوا الرجل واسرعوا به للمستشفى ووراءهم أبى..

الحالة سيئة..

دخلوا به للعمليات فورا، وانتظر أبى فى الخارج، بينما اتصلت المستشفى بأقرب قسم شرطة كى يتموا إجراءاتهم..

بالفعل جاء ضابط وأجرى تحقيقاته، وجلس بجوار أبى بانتظار ما ستسفر عنه العملية.. لكن عنق الرجل كان قد كسر وأثر على مخه، وسرعان ما لاقى حتفه فى حجرة العمليات..

وهكذا تم إلقاء القبض على أبى رسميا وتم تقديمه للمحاكمة.. قتل خطأ نتج عن إهمال، والحكم بغرامة مالية ضخمة لأهل المتوفى والسجن لفترة سنة ونصف!

أذكر يومها وجه أمى وهى ترمق أبى بغضب، ثم تجذبنى لنرحل وهو ينادى باسمها واسمى..

ينادى باستعطاف..

يريد لمسة يد تهون عليه ما هو فيه، ولكن قلب قد من حجر كان ينبض فى صدرها!

عشت معها وحدنا اسوأ ايامى فعلا.. لو لم يكن لدينا خدم لمت جوعا على ما أعتقد..

كانت تغيب عنى أنا الصغير بالأيام ثم تعود.. ماذا كانت تفعل؟ الله أعلم..

أما أبى..

عندما دخل السجن فى بداية الأمر كان الوضع سيئا حقا.. بمجرد دخوله العنبر حاول تحاشى كل النظرات والجلوس على فراش، لكن مجرما ضخم الجثة منعه.. بهدوء انتقل إلى آخر، فسار وراءه ومنعه أيضا وهو يضحك.. سأله أبى أين ينام إذن، فأشار إلى ركن جوار الحائط البعيد.. بالفعل كان هذا مكانه لفترة من الوقت..

على الرغم من قوته البدنية إلا أنه عاش حياته مرفها للغاية؛ لم يخض شجارا واحدا، فبالتالى كان الهلع يغزو قلبه، ويراوده الخوف أنهم سيقتلوه قريبا.. لذلك كان صامتا هادئا خائفا طوال الوقت، ومع ذلك لم يسلم قط من مضايقاتهم.. تارة يسكبون عليه المياه القذرة، وتارة يأكلون وجباته.. لحسن الحظ أن لم يتعد الأمر هذه

الأشياء لأفاعيل قبيحة أخرى! انت تعلم حياة السجن.. ما الحل وكيف سيخرج من هذا المأزق؟

وجاء الحل عندما عرف أنهم يمكن شراء السلام معهم بالسجائر.. نعم، اشترى ابتعادهم عنه بالسجائر؛ فكما يقولون فالسجائر هى عملة السجن!

بالنسبة لأمى.. لم تزره ولا مرة وبالتالى لم يكن بوسعه إلا أن يطلب ما يشاء من محاميه الخاص، والمحامى ينفذ له ما يريد كأخ حقيقى (نظير مبالغ خيالية طبعا)،وبعد أسبوع صار له سرير ينام عليه كبقية المساجين مقابل خرطوشتين من السجائر يدفعهم لهذا المجرم الضخم أسبوعيا! بل وأسبغ عليه شيئا من الحماية أيضا، وبدا أن الأمور هدأت..

ومع مرور الوقت بدأ أبى يكتسب الشجاعة نوعا بسبب وجوده فى هذا المستنقع العفن.. النزاع المستمر والإقامة فى قلب السجن غيرت هذا الجبن الذى كان يملأ قلب أبى وبث فى قلبه شيئا من الجرأة.. أنه يمكنه تدبر أموره، خاصة عندما انتبه لكلام أحد الناصحين، أنه قوى صحيح الجسد فى مواجهة مجرمين يتعاطون المخدرات والمسكرات غالبا، محرومون من كل ذلك فى السجن مما يكسبهم هشاشة وضعفا؛ لذلك بدأ يدافع عن نفسه عند المضايقات، ولدهشته أدرك أنه يتغلب عليهم جسديا بسهولة عندما يدفع يدا تدفعه، أو يدافع جسدا يزاحمه وهذا أعطاه فرحا وثقة فى النفس..

فقط هو لم يجرب من قبل!

لم يعرف أحد مكانته أو ثراءه بناءا على نصيحة من محاميه الخاص حتى لا يتعرض لأذى أو ابتزاز لاحق، ثم حدثت مفاجأة غيرت الموازين كلها ذات يوم..

كان يتمشى فى ساحة السجن عندما رأى المجرم ضخم الجسد ينقض على رجل وسيم ومعه ثلاثة آخرون، ثم يجتذبونه خلف جدار ويقيدونه بعنف، ثم يطلب منهم الضخم أن يخلعوا عنه بنطلونه كى يكسر عينه ويقوم معه بالواجب.. اندفعت الدماء حارة فى شرايين أبى، خاصة مع نظرات المسكين المذعورة المستنجدة، ولم يكن يستطيع حتى الصراخ.. ظن أبى أنه يستطيع إنقاذه لأنه يدفع خرطوشتين من السجائر أسبوعيا للضخم وربما لو كلمه فسيتركه، فسار نحوه بخطوات سريعة وناداه وطلب منه أن يترك الآخر..

طبعا ماحدث هو أن الضخم شتم أبى بأقذع ألفاظ ممكنة كى لا يتدخل فيما ليس له به شأن.. وما كان أبى ليقبل الإهانة اللآن بعدما اكتسب ثقة فى نفسه.. هدده أبى أنه إن لم يتركه فليس هناك سجائر، وسيبلغ عنه..

ثار المجرم وترك ضحيته وانقض على أبى، وانقض عليه أبى!

ودار صراع قوى كاد يميل لكفة أبى فعلا لولا أن ضربه أحد الرجال بحجر على رأسه أفقدته توازنه وأسقطته على الأرض ينزف!

على حين استغل الضحية الفرصة وهرب؛ نهض الضخم ثائرا

يرغى ويزبد ويصرخ فى الثلاثة أن يثبتوا هذا الـ........ أرضا ليكسر اليد التى تجرأت على ضربه! بالفعل أخذ يقفز فى الهواء ويهبط بكعب قدمه على ذراع أبى حتى انكسر ذراعه بشكل مرعب، وزاده صراخ أبى متعة، بينما حوله المساجين يراقبون الأمر باستمتاع!

ثم جعل زبانيته يوقفونه، وبدأ ينهال بالصفعات عليه، حين عاد الوسيم فجأة مع ضابط من ضباط السجن معروف بقوته وجرأته وشرفه ومعه عدد من العساكر الذين فرقوا التجمع بقوة ثم قبضوا على مثيرى الشغب هؤلاء.. هذا الضابط أنهى الموقف وأنقذ أبى من قتل محقق!

انتقل أبى للمستشفى وأصبح حديث السجن لأنه تجرأ ووقف أمام هذا المجرم.. هذا المجرم من أكثر المجرمين إجراما وتوحشا وعنفا، ويخشاه المجرمون أنفسهم.. كان قاتلا شهوانيا بلا قلب!

المهم أن علم مأمور السجن بما فعله أبى بعد التقصى واعتبرها بطولة، فذهب لزيارته، فكانت المفاجأة التى قلت لك عنها منذ قليل..

كان المأمور يعرف أبى شخصيا.. مفاجأة سارة بالفعل لأن المأمور مشترك فى نادى أبى! لم تكن علاقتهما وطيدة من قبل وإنما مجرد معرفة سطحية، لكنه يعرف أن أبى رجل محترم وليس له فى التلاعب أو السخافات وعندما سمع حكاية أبى وسجنه شعر بالأسف حياله، ووضعه تحت حمايته الشخصية تحت أى ظرف، بل

وعين مراقبين مخصصين له كى لا يتعرض للمتاعب.. وهكذا بدا أن الأيام القادمة أفضل، كما تم نقل المجرم الذى كان يستحلف لأبى على القتل إلى عنبر آخر..

أصبح أبى صديقا شخصيا للمأمور يجالسه فى مكتبه أحيانا، وانضم له الوسيم الذى كان ضحية بالطبع كى يخدمه ويكون تحت إمرته.. وياليته لم يفعل ذلك وستفهم حالا لماذا..

كان الوسيم هذا اسمه (عدلى).. لص خزائن محترف لا يشق له غبار.. لص عابث يسرق للمتعة فقط، ثم ينفق ما سرقه فى بذخ مبالغ فيه.. ولكن تم إلقاء القبض عليه عندما ساقه الطمع لأخذ مفاتيح سيارة فارهة بعدما أفرغ خزينة منزل أحد الساسة الأثرياء، ثم قيادتها برعونة وكأنما الكون تحت طوع بنانه! وسرعان ما أوقفه كمين شرطة وشك فيه وصمم على اعتقاله.. وعند تفتيش السيارة وجدوا الذهب والمال المسروق، والذى تم الإبلاغ عنه منذ نصف ساعة فقط، وهكذا دخل السجن!

وفى السجن شعر بالذعر.. لم يتخيل أن حياة المجرمين بهذا السوء.. ذاق الذل والمهانة بطريقة عنيفة.. اعتدى عليه أحد السجناء اعتداءا جسديا وحشيا أمام بقية السجناء لأنه جلس بطريق الخطأ على فراشه.. وجعلوه ينظف المراحيض والفناء، وخلال وقت قصير ساءت صحته حتى أنه فقد الوعى عدة مرات ونقلوه لمستشفى السجن.. وعندما أفاق قرر ألا يتعامل مع أحد قط، ولكنه لم يسلم،

إذ سرعان ما احتك به الضخم وحدث ما حكيته لك منذ قليل..

بشكل ما تقارب الاثنان – أبى و(عدلى) – بعد المشاجرة، وأصبح صاحب النادى يفرض الحماية على اللص.. وكلاهما انصلح حاله فى السجن.. ما رأياه يكفى تماما كى يظلا بعيدا عن السجن طوال حياتهما..

بعد الإفراج عنهما، كان شيئا طبيعيا أن يأتى اللص التائب ليعمل عند صاحب النادى.. وصاحب النادى أجزل له العطاء حقا، واللص التائب يطيعه طاعة عمياء، لكنه كان مازال مبذرا.. ينفق بسخاء رهيب، والنتيجة أنه تزوج ولم ينجب ولم يدخر قرشا واحدا طيلة حياته.. بشكل ما ظل فقيرا رغم ارتفاع دخله.. وتسبب ذلك فى وفاة زوجته حين مرضت بشدة فأودعها فى مستشفى حكومى، وهناك لم تجد الرعاية المناسبة لها.. ربما أعطوها علاجا خاطئا، أو ربما لم يشخصوها بشكل جيد من الأساس..

لم يكن يملك مايكفى لعلاجها فماتت.. لم يخبر صديقه بحاجته للمال قط لأنه كان مبذرا ويأخذ الكثير بالفعل، وهو ما علمه أبى فيما بعد وعاتبه عليه كثيرا!

المهم: بعد حوالى سنتين من خروجهما من السجن أصبح (عدلى) ذا شأن فى النادى، وأصبح اكثر وسامة وتألقا.. تخيل ماذا فعل؟

تقرب لأمى ووعدها بالزواج!

فى هذين العامين كانت قد انفصلت عن أبى وعاشت وحدها

بعيدا عنه، وذلك لخوفها من رد فعله عند خروجه من السجن، حتى أنها تركتنى له تماما وكأنى لست ابنها.. ولكنها مازالت تزور النادى باعتبارها زوجة صاحب النادى!

تناقض عجيب غريب لاتجده إلا فى الشخصيات المريضة.. ربما كانت تحتاج علاجا نفسيا بالفعل.. وأبى لم يتعامل معها قط، بل تعمد ألا ينظر حتى نحوها.. أعرف أنه فعل ذلك بدافع الحب يا صديقى.. انا لا أفهم هذه العلاقة الغريبة، لكنى افهم أن والدى كان حنونا عطوفا لأقصى درجة..

وفى الخفاء تقرب إليها هذا الكلب (عدلى)، وشاب آخر اسمه (خالد) كان يعمل كمدرب لياقة بدنية.. جلسوا مع بعضهم كثيرا، وأقنعت أمى (عدلى) أن لها حقا فى مال أبى ويجب أن يأخذوه؛ حتى ولو بالسرقة! أنا لا أعرف كيف كان عقله يعمل حين وافق، ولا اين كان عقله عندما اقترب لأمى! حتى الحيوانات الضارية تحفظ الجميل!

واتفق (عدلى) وأمى على الزواج لاحقا، بعدما يسرقون ابى!

نعم.. بخبرته عرف أن (خالد) مريض النفس أيضا ويمكن جدا أن يشاركهما فيما هما يخططان له.. إنه رشيق خفيف ومن منطقة شعبية علمته الجرأة منذ صغره، ولا يستبعد أن يكون قد قام بالعديد من الجرائم الصغيرة من قبل!

إذن الخطة كالتالى: (عدلى) و(خالد) يسرقان أبى، ثم يتزوج

(عدلى) من (سناء) هانم أمى!

لأول مرة لم يستطع (ثروت) كتمان فضوله، فقاطعه قائلا:

- لحظة واحدة.. لقد أصابنى الدوار بالفعل وأنت تحكى بسرعة بالغة! كل هذه أحداث! لو كانت هذه الحكاية فيلما هنديا لاتهموا المخرج بفرط المبالغة! هل هناك خيوط مفقودة فى هذه الحكاية يا صديقى؟ تبدو خيالية تماما!

جذب (محمود) نفسا من نارجيلته ونفث دخانها فى الهواء وهو يبتسم فى مرارة ويقول:

- قلت لك أنها حكاية عجيبة فعلا.. دعنى أكمل لك..

اعتدل (ثروت) فى مقعده وترك النارجيلة ووضع يده تحت ذقنه فى شغف وهو يقول له:

- حسنا أكمل.. أنت تخدعنى لكنها حكاية مشوقة.. أكمل..

ضحك (محمود) وترك النارجيلة هو الآخر وأكمل:

عندما خطط الثلاثة لسرقة ابى كانوا يظنون الموضوع سهلا.. وكان سهلا فعلا، لولا أن أبى كان معى فى هذا اليوم خارج المنزل.. كنا فى السينما على ما أذكر، وعندما دلفنا لفيلا رأينا ضوءا شاحبا يتحرك ويخرج من تحت باب حجرة مكتبه، فذهبنا لنرى ما هناك وكانت صدمة أبى القاسية..

الرجل الذى أغدق عليه بالحماية فى السجن، وأغدق عليه بالعمل والمال بعد السجن يسرقه!

ربما آلمه وجود (عدلى) أكثر من (خالد).. كان شيئا رهيبا جعله غير متزن فى مواجهتهما، مما جعل (خالد) ينتهز الفرصة ويهجم على أبى ويضربه على رأسه بتمثال معدنى، وظن الاثنان أنه قد مات!

لكن أبى أفاق من غيبوبته بعد خروجهما مباشرة.. نهض بالكاد وأفرغ معدته (وهى علامة ارتجاج فى المخ) ثم اتصل بالإسعاف ولم يستطع الكلام.. تركنى أصرخ فيهم أن أبى يموت، ثم راح فى الغيبوبة مرة أخرى..

كانت امى قد علمت ما حدث وفرحت! لو كان الأمر قتلا فالشبهات لا تحوم حولها وسترث الكثير.. أكثر بكثير مما سرقه (عدلى)، ويكفى الفيلا وحدها ثمنها أكثر مما تحلم به!

ولكنها فوجئت بحياته وأنه تعافى من كل إصاباته.. بالتأكيد كانت تتابع أخباره من بعيد، وكانت آخر مرة رأيتها فيها فى المستشفى.. جاءت تطمئن على موته، فإذا به يستيقظ ويعود للحياة أمام عينيها، فرحلت غاضبة تلعن حياته!

ظل أبى فى المستشفى قرابة الشهر وأنا معه مقيم.. خضع علاج مكثف حتى تماثل للشفاء تماما..

قاطعه (ثروت) مرة أخرى متسائلا:

- وماذا فعل مع والدتك و(عدلى) لاحقا؟ هل استطاعت الشرطة الوصول إليهما؟

هز (محمود) رأسه نفيا وقال:

– هذا هو المثير فى الموضوع.. لم يبلغ أبى الشرطة بالسرقة،وإنما اكتفى بذكر أنه اعتداء من مجهولين فحسب!

والسبب أنه كان يريد أخذ حقه بيده وبأغرب وسيلة ممكنة؛ وسأخبرك ماذا فعل.. هل تعرف عم (شعبان)؟

هز (ثروت) راسه إيجابا وقال:

– ذلك الرجل الفظ؟ مدير الأمن أعتقد.. نعم أعرفه، ماذا به؟

– إنه هو نفسه المجرم الضخم الذى حكيت لك عنه منذ قليل!

فغر (ثروت) فاه فى دهشة عظمى.. لا يمكن أن يكون هذا الرجل هو نفسه المجرم القاتل الفظ.. صاح هاتفا بصوت متحشرج:

– مستحيل! الآن أدرك أنك تؤلف على أو تحاول السخرية منى فقط، وشطح بك الخيال.. هذه المرة ليست منطقية زيادة على أنها حتى ليست موجودة فى الأفلام الهندية!

شبك (محمود) كفيه خلف رأسه وهو يعود بالكرسى مستمتعا بمنظر كرشه الدائرى الجاثم فوقه:

– أقسم أنى لا أمزح.. ببساطة ما حدث كالتالى:

ذهب أبى بعد تماثله للشفاء من الضربة المؤلمة على رأسه فى زيارة للسجن الذى كان فيه!

وطلب لقاء هذا المجرم الذى جاء بالفعل وجلس أمامه دون أى اندهاش وحتى دون أن يسأله لماذا جاء.. ملامح وجهه الصخرية هذه لا تعكس أى انفعالات، حتى أن أبى اندهش جدا من صلابة

ملامحه هذه وعدم رد فعله..

المهم أن (شعبان) ظن أن أبى قد جاء ليشمت فيه ويستمتع أمامه بحريته، ففوجئ به يطلب مساعدته فى إحضار (عدلى) والانتقام منه!

ولك أن تتخيل مشاعره.. الذى أنقذه أبى من براثنه، يطلب الآن الانتقام منه! ورغما عنه غزا الشك وجهه وهو يسأله فى غلظة عن السبب، فأخبره أبى بما حدث جزئيا.. كيف أنه ساعده على العمل ولكنه سرقه وكاد يقتله، وأنه يريد أخذ حقه منه فحسب!

وطبعا أخفى أنه سرق زوجته ايضا؛ فكرامته لم تكن لتسمح بعرض هذه النقطة.. المثير هنا أن (عدلى) كان يسرق السجائر أثناء وجوده فى السجن من (شعبان)، وهذا هو السبب فى عقابه له يوم أنقذه والدى (الذى لم يعرف هذا الكلام إلا لاحقا)، وكان يظن أنه يريد اغتصابه فحسب!

ارتفع حاجبا (ثروت) فى دهشة ولم يعقب، فأكمل (محمود) :

- بالفعل أعطى أبى لـ(شعبان) وعدا بعمل شريف بمرتب يحدده هو، وأيضا شقة يعيش فيها إن ساعده بعد خروجه من السجن، وهو خروج قريب.. طبعا أبى اطمئن من ناحية هذه النقطة قبل أن يتحدث معه!

الغريب أن (شعبان) وافق.. رحب بشدة بالعرض السخى، وبعد خروجه من السجن قابل شعبان أبى وطلب منه مالا كعربون اتفاق

ليبدأ حياته.. لم يناقشه أبى وإنما أعطاه ما أراد بالضبط.. لم يكن المال أبدا شيئا مهما لأبى، وإن هرب فسيبحث عن غيره..

ولأختصر عليك الكلام،بعد أسبوع تقريبا، كان (عدلى) مقيدا أمامه فى قلب الفيلا!

صاح (ثروت) فى دهشة:

- توصل إليه أبوك؟

- بل توصل إليه (شعبان).. كان ما فعله لا يمكن تصديقه فعلا، لكنه عتيد الإجرام وله شبكة معارف واسعة و.. الحقيقة أنى لا أعرف كيف توصل إليه، لكنه فعلها وأبى لم يسأله عن شىء.. أتدرى ماذا فعل به؟

بداية ترك شعبان يفرغ فيه كل طاقة غضب ممكنة، حتى شارف أن يفقد الوعى، ثم امر شعبان أن يقطع يده!

اتسعت عينا (ثروت) فى ذعر ولم يعقب..

سكت (محمود) قليلا، ثم قال:

عم (شعبان) رجل بلا قلب.. مجرم تربى منذ صغره على الإجرام، وهذا شىء بسيط بالنسبة إليه.. خرج أبى من الحجرة وتركه يقطع يده بالسكين.. وعندما خرج إليه يخبره بإتمام المهمة، أمره بأن..

اتسعت عينا (ثروت) اكثر حتى بدا منظره عجيبا وهو يسأل:

- أن ماذا؟

أومأ (محمود) برأسه وهمس بابتسامة مرتبكة:

- أن يقطع عضوه أيضا! هذا جزاء سرقته زوجته.. سرقة المال قطع فيها يده، وسرقة زوجته؟ هذا أقل مما يستحق لو أردت رأيى!

شهق (ثروت) وهو يتراجع فى مقعده ذاهلا مبتسما بركن فمه، ثم قال:

- ياللهول.. ياله من انتقام.. يالأبيك الجبار هذا.. الآن عرفت من أين ورثت جنونك هذا!

أومأ (محمود) برأسه مرة أخرى وقال:

- انتقم منه أبى.. شعر بعدها بالراحة، لدرجة أنه لم يبحث عن (خالد) أو عن أمى.. أما هذا الرجل فقد رماه فى الشارع بعيدا.. ولم نعرف عنه شيئا قط بعد ذلك!

ساد الصمت بعد حكاية (محمود).. بدا وكأن الاثنان يسرحان فى عوالم بعيدة خاصة بهما إلى أن قطع (ثروت) هذا الصمت قائلا بصوت مبحوح:

- يالها من حكاية.. حسنا فعلت أنك لم تحكها لى من قبل.. لم أكن لاصدقك قط..

- والآن صدقتنى؟

- لا!

ضحك (محمود) ولكزه فى كتفه وقال له:

- لقد تأخر الوقت وأنا أثرثر حتى آلمنى فمى.. هيا بنا ننهض كى نرتاح قليلا.. عندنا عمل فى الغد..

ابتسم (ثروت) وقال:

- أنا لا أريد الذهاب للمنزل الآن.. اذهب أنت وسأقوم أنا بعد قليل.. صاحبتك السلامة يا صديقى..

نهض (محمود) وحاسب النادل، ثم ودع صديقه متجها لسيارته الفارهة، بينما ظل (ثروت) فى مكانه دون حراك، وبعدما اطمئن لذهاب (محمود) أخرج هاتفه واتصل برقم ما وقال له دون تحية:

- أنا جالس على نفس المقهى.. لقد تناول كل شىء كما أمرتِ..!

وأغلق هاتفه وبدا على وجهه علامات شر!

* * * * * *

فى اليوم التالى صعد (محمود) إلى مبنى شركته نشيطا، ودلف لحجرته الخاصة يتابع اعماله.. كان عمله بسيطا للغاية لكنه مربح بشكل أسطورى.. ورث عن أبيه هذا العمل، وانطلق فيه بقوة مكتسحا السوق..

كان عمله باختصار: إلى جوار متابعة النادى الخاص،كان عمله استيراد الذهب البندقى من أوروبا، واستيراد الذهب من الصين، ثم تحويل السبائك لمشغولات ذهبية فى مصنع يملكه فى حى الحسين..

عمل دقيق مربح، يحوطه الكثير من المخاطر بسبب عيون السارقين واللصوص، لكنه كان يستعين بشركة تأمين خاصة على قدر كبير من القوة تؤمن تماما انتقالاته وتحركات الذهب الخاص به.. حتى أن محله الأكبر مشهور بوجود (قناص) متخفٍ، وهى ليست

مجرد إشاعة، إذ أنه بالفعل يحوى من الحراسة ما لا يملكه غيره..

بالطبع مع مرور الوقت صار المحل محلين وثلاثة، وكبرت تجارته وزادت أضعافا،وأصبح يبيع للعامة ولمحلات الذهب.. حساباته البنكية صارت مبهرة فعلا، وحرص على وضع ماله فى بنوك اوروبية!

كان يعيش حياة مرفهة.. كل مايتمناه يحصل عليه فورا، وعلى الرغم من ذلك فقد كان شخصا خيرا لأقصى درجة ممكنة.. وخيره هذا نابع من أنه لا يريد شيئا من الدنيا.. ليس متزوجا وليس له أقارب ولديه من المال ما يكفيه مائة عام من البذخ والترف لو كف الآن عن العمل! فكان يضع المال سرا فى حسابات المستشفيات والملاجىء..

وربما لهذا السبب كان يصاحب الكثير من الفتيات!

يشعر أنه ينفق فى الخير ليغسل آثامه بشكل ما! فليفعل الآثام ثم ينفق فى الخير!

مبدأ عجيب غريب، لكنه كان يعمل به طوال الوقت دون وازع أخلاقى!

فى قرارة نفسه يشعر بعبثية كل هذا وعبثية ما يفعله.. أيضا نفسه تحن للزواج ولرؤية أبناء وبنات من صلبه.. يذهبون للمدارس ويعودون ليضايقونه فيشتكى منهم لأصدقائه كما يشتكون هم إليه..

على الرغم من حياته الرائعة إلا أنها كانت فارغة!

تجارته مستقرة وعمله مستقر.. منذ سنين عديدة بنى هذا المبنى

الإدارى خصيصا ليشعر أنه يفعل شيئا ذا جدوى فعلا.. أى عمل من نوع ما.. لكن فى الواقع هو يذهب لشركته عند الظهر ويرحل قبل العصر بقليل ليقضى وقته فى اللاشىء! الموظفون يقومون بكل شىء، وهو يكتفى بالمتابعة الصارمة!

كان يفكر فى كل ذلك.. ويفكر فى صديقه (ثروت) الذى ظهر فى حياته قريبا.. هو أصغر منه ببضع سنين، وأيضا لم يتزوج، وقد تقاربا بشكل عجيب للغاية وسريع وغير مريح، ومع ذلك هو لا يستغنى عنه.. يرغب فى وجوده جواره فحسب!

كان (ثروت) نموذجا للشاب الفقير الذى يعانى كى يحيا حياة مريحة نوعا، لذلك جعله يستقيل من عمله كمحاسب ويعمل لديه..

وكنتيجة لذلك كان عمل (ثروت) الفعلى هو (الثرثرة) معه!

شركة مريحة وصاحبها كريم، وهذا هو السبب الحقيقى بالمناسبة لتفانى جميع العمال للبقاء فى الشركة، أن (محمود) كان يغدق على الكل بطريقة تثير الحسد.

صعد (محمود) لمكتبه وجلس قليلا فى ملل، ثم شعر أنه لا يريد أن يفعل شيئا ما، فاتصل بـ (ثروت) وطلبه فى مكتبه فورا لكن كان صديقه فى مأمورية يتابع فيها حسابات أحد محلات الذهب القريبة، فشعر بالسخط وتراجع فى مقعده واطلق لخياله العنان..

الآن هو شارف على الأربعين، ولم يحب قط غير مرة واحدة فقط..

وهو فى الكلية!

فقط..

والحقيقة أن الموضوع مؤلم، لذلك لا يحاول تذكرها ولا يحكى عنها أبدا لأى شخص لأنه كان خائنا!

خان صديقه من أجل فتاة!

فى ذلك الوقت كانت نفسيته غير مهيئة للارتباط تماما.. فى الواقع هو لا يعرف كيف يرتبط الذين يرتبطون ببعضهم!

الخجل والحياء يملآن عليه نفسه.. ربما حتى الآن رغم علاقاته النسائية المتعددة، فما أسهل شراء رغبة بالمال.. هو يشترى سلعة ويدفع ثمنها فقط، لكن.. كيف يبث شعوره لفتاة؟

كيف يقول لها: أحبك!

كلمة ثقيلة..

مخيفة..

مربكة..

ولذلك طوال فترة الجامعة كان يخفى ثراءه حتى لا تتودد إحداهن له باعتباره العريس اللقطة.. فقط كان يشاهد ما يحدث من بعيد..

وما كان يثير دهشته حقا هو صديقه (إبراهيم).. شاب ينتقل من فتاة لفتاة بكل سلاسة وهدوء وأريحية، وللحق كانت الغيرة تأكل قلبه بنهم.. قطعا كان يتمنى أن يفعل مثله ولو لمرة.. فعلى الرغم من ثرائه وثراء والده إلا أن حياتهما الاجتماعية بسيطة جدا يشوبها

الخجل.. حتى النادى كانت زيارته له لا تتعدى الساعة ليطمئن على راحة الأعضاء وسير الأمور بطريقة منتظمة.

وصديقه هذا ينتقل من فتاة لفتاة حتى ارتبط بهذه الفتاة..

(هدى)..

هذه الفتاة تحديدا كانت تمثل مفهوم الفتاة لدى (محمود).. كل شىء فيها كأنما مصنوع بدقة من أجله هو.. بالفعل تألم عندما ارتبط بها (إبراهيم)..

ثم اضطرت الظروف (إبراهيم) لترك الجامعة قليلا.. ظروف أهله المادية كانت متعثرة قليلا، واضطر للعمل.. فكان يحتاج إلى (مرسال)، ولسوء حظ (محمود) طلب منه (إبراهيم) أن يقوم بهذا الدور لأنه لا يستطيع حتى الاتصال بها فى بيتها خوفا من إخوتها الصبيان.. فأصبح (محمود) هو المرسال بين الاثنين؛ ينقل أخبار الفتاة لصديقه، وأخباره لها..

كانت عندما تقف أمامه لتتحدث يشعر بالحرج..

يشعر بدقات قلبه..

يشعر بأنفاسه وهى تدخل وتخرج معلنة فى وضوح أنه يحبها..

ولكنه التزم الصمت..

كيف يخبرها؟

و.. صديقه؟

بالفعل كان يتعذب.. الموضوع أشبه بمرض يصيبك فى قلبك

فيؤلمك، والمصيبة أن لا دواء هناك..

أصاب مرض الحب قلبه بقوة، ومع ذلك ظل أمامها ملتزم الحياد صامتا لا يعرف ما الذى ستصير إليه الأمور.

ورغما عنه وعنها تطور الموضوع يوما بعد يوم..

يلتقيان، فيتحدثان عن (إبراهيم)، ويقضيان اليوم معا..

وألم قلب (محمود) يشتد..

يحبها..

لا يتخيل أن يعيش بعيدا عنها..

يحب مشيتها وكلامها..

نبرة صوتها..

صوت ضحكها..

يحبها..

حتى جاء ذلك اليوم..

الجامعة خالية تقريبا..

كان جالسا جوارها على مقعد بعيد، وهما يتحدثان بهدوء وليس حولهما إلا حفيف أشجار الجامعة.. ينظر نحوها ورأسه يدور من شذى عطرها، وهى تنظر له بعيني قط شقى، تحمل من الوداعة والرقة مالا يكاد يتحمله قلب (محمود) المريض بحبها..

وسألته (هدى) فجأة سؤالا صاعقا:

- (محمود).. هل هناك..شىء.. بداخلك؟

نظر لها فى وجل ونبض قلبه بقوة.. شىء بداخلى؟ قطعا هناك أشياء بداخلى.. ولكن.. كيف عرفت تلك الفتاة؟

أومأ برأسه إيجابا.. شعر أن الكون يذوب من حوله رويدا رويدا حتى لم يتبق فى الكون إلا هو وهى فقط.. ودون وعى حقيقى همس:

- (هدى).. أنا.. أنا.. أحبك..

قالها وهو يتنفس بالكاد.. لم يكن يتخيل أن يقول لها ذلك يوما..

حبيبة صديقه.. حبيبته! ولكن ماذا يفعل؟

فى لحظة امتزج الخوف فى قلبه من رد فعلها، بالراحة لأنه قالها، بـ..

الاحتقار لنفسه!

ساد الصمت ثوان، نظرت هى للأرض وتوردت وجنتاها بحمرة الخجل جعلته يشهق..

جميلة..

نظر إليها قليلا يملأ عينيه من جمالها، ثم بصوت هامس سأل:

- وأنتِ.. هل؟

دون أن ترفع عينيها أومأت برأسها إيجابا فى رقة.. لم تبد قط أجمل فى عينيه من هذه اللحظة..

وقلبه.. شفى فجأة!

اختفى الألم وشعر أن قلبه يرقد على وسادة ناعمة من الحرير..

بصوت خافت يكاد يكون مسموعا سألها مرة أخرى:

- و(إبراهيم)؟

ردت فى هدوء رقيق:

- لا تشغل بالك به.. أنا لم أعد أحبه.. أنا أصلا لم أحبه! الأمر كله خطأ وسوء تفاهم فقط! سأخبره أنا..

كان قلبه ينبض بأحاسيس شتى..

فرح..

حب..

قلق..

لم يكن هو الآخر يحب (إبراهيم) كثيرا، ولكنه لم يكن خائنا قط..

لم يرد أن يفعل ذلك قط..

وربما هو لا يدرى كيف تصرف بهذه الطريقة!

كيف أسرته هذه الفتاة!

فجأة حدثت مفاجأة لم تكن فى الحسبان إطلاقا.. فعلى الرغم من أنهما يجلسان بعيدا عن كليتها، إلا أن (إبراهيم) ظهر فى الأفق قادما!

وفى هذه اللحظة بالذات!

الآن!

دونا عن الأوقات التى فى الدنيا!

خفق قلبه فى عنف متوتر، واختلطت كل الأحاسيس فى قلبه فصار كدوامة من المشاعر المتناقضة..

تمالك نفسه واستقر مكانه بهدوء ينظر للأرض..

من الطبيعى أن يجلس مع (هدى) أحيانا..

فهو.. المرسال!

لكن.. فى هذا الوقت تحديدا؟ إنه لم يأت للجامعة منذ شهر!

نظر (محمود) نحو حبيبته فى جزع وشعر بقلبه يرتجف.. فأشارت إليه أن اذهب أنت وأنا سأخبره..

وفى لحظة سيئة من حياته، نهض ليسلم على صديقه الغائب ويحتضنه ويقبله باعتباره بعيدا منذ فترة، ثم رحل!

تاركا حبيبته..

مع صديقه، والتى هى حبيبها!

أسوأ موقف يمكن أن يمر على رجل على الإطلاق.. مشاعر قاسية تتعارك داخل قلبه حتى تكاد أن تفجره من فرطها..

غيرة..

حب..

ألم..

أمل..

ومعهم مازال هناك شعور بالاحتقار..

باختصار: كانت ليلة سوداء!

ثم عاد ليقابلها فى اليوم التالى بكل حب وشوق تمنى أن يراها..

وعندما رآها خفق قلبه بقوة لدرجة أنه شعر بالدوار، وفى لهفة

اختلى بها بعيدا ليسألها فى لهفة عما تم مع (إبراهيم) بالأمس.. كان صوته مرتجفا وهو يسأل:

- هل أخبرتيه؟

نظرت للأرض كعادتها، ثم حركت رأسها نفيا برقة وهمست:

- لا!

شعر بالصدمة..

سألها عن السبب، فأخبرته أنها تخشى عليه الآن.. يجب أن يأتى الخبر تدريجيا..

تقبل الأمر بامتعاض..

وجلس معها يتحدثان..

ويتحدثان..

كانت الساعات تجرى وهما يتحدثان.. فجأة يجد الليل قد أقبل، ويجب أن ينهضا..

عشق صوتها الجميل..

نظرة عينيها الساحرة..

لون بشرتها الرائع..

عشق طريقة سيرها..

وكلامها..

صمتها..

وكم جلس هو و(إبراهيم) يتحادثان عنها!

نعم..

والأسوأ، أن ظل الوضع هكذا ما يقارب الشهر!!!

وهى تجلس معه حينا.. ومع (إبراهيم) حينا..

وهو ينتظر أن تخبره..

حتى أنه كان يأخذها ويذهبا بعيدا كل مرة حتى لا يجدهما (إبراهيم)..

ومع ذلك كثيرا ما كانا يجدا (إبراهيم) وكأنما يبحث عنها.. يأتى قادما فى تجاههما..

ثم كانت المواجهة الحتمية!

رآهما (إبراهيم) ذات مرة، وشكوكه التى تراوده يوما بعد يوم تتزايد..

فى هذا اليوم بكى عندما رآهما..

وتزلزل (محمود) لبكاء صديقه!

تركها ونهض.. ذهب إليه واحتضنه وتركه يفرغ دموعه على كتفيه..

وانتهى أمر (إبراهيم)، أما (محمود) فقد ظل معها فترة بعد ذلك..

لا يكاد يمر يوم لا يراها فيه..

تحدثا فى كل شىء..

منظر بيتهما..

أسماء أطفالهما..

كثيرا ما كانا يضحكان معا..

وكثيرا ما كانا يقولان نفس الكلمة معا..

حتى جاءت فترة الامتحانات.. فى هذا الوقت كانت عيد مولده قد اقترب..

وهو كان يحب الهدايا..

وبكل شوق انتظرها أن تأتيه بهدية.. لا يريد شيئا غاليا، كان يكفيه جدا ورقة صغيرة من يدها.. أغلى من أغلى هدية..

يكفى أنها تحمل عبق أناملها الرقيقة..

كانت صديقاته الفتيات قد علمن بوقت ميلاده.. وجئنه بعدة هدايا.. طبعا شعر بفرح شديد وانتظر ما ستأتى به فتاته..

وجاءت (هدى) فى ذلك اليوم..

ورحلت..

دون كلمة!!

ودون هدية!!

ودون حتى معايدة!!

كانت صدمة لـ (محمود).. لم يكن يكترث لأمر الهدية.. ولكن الذى يحب أحدا لا ينساه ولو بكلمة..

لا ينساه ولو بلفتة..

لا ينسى أن يلقى عليه التحية يوم مولده..

صدمة.. عاد بعدها للمنزل غضبان..

وطـوال فترة الصيف لم يكن يعرف عنها شيئا.. لم يكن معه هاتفها!!

ومع أول يوم فى العام الدراسى الجديد، كان غضبه قد بلغ ذروته..

قابلها، وأخبرها أنه..

لن يكمل الطريق معها..

ورأى الدموع تتلألأ فى عينيها..

همست له:

- ولكنى.. أحبك..

كان الألم يعتصر قلبه.. ولكنه رد فى صرامة:

- لا.. لو كنت تحبيننى لسعيت إلى رضائى كما كنت أسعى إليك..

ازداد انهمار دموع عينيها، وبدأت تئن..لكنه كان قد اتخذ قراره..

هذه الفتاة لا تحبنى..

حاولت أن تعود له عدة مرات.. لكنه كان طفلا مجروحا..

وظل يحبها بعنف رغم ذلك!

لو نظر للموضوع بعدما كبر بنظرة حيادية لاكتشف سخافة ما كان يفكر فيه.. أن يبنى ثقة لفتاة قبلت الارتباط به رغم ارتباطها بآخر، وأن يكون هو من السخف بحيث يقرر إكمال حياته بعد قرار سخيف ومشاعر هوجاء.. هدية فحسب؟ ليس هذا سببا لرفض الارتباط بفتاة!

لم يكن الأمر منطقيا، ولكنها تظل الفتاة الوحيدة التى حركت

قلبه ودق لها.. تظل هى الوحيدة التى تمنى حياته معها، ولا ننكر أن لهرمونات الشباب أثر فيما حدث..

أفاق (محمود) من تأملاته هذه على طرقات الباب، ثم دخل (ثروت) مبتسما وفى يده لفافة ما.. دخل ثم جلس أمامه ووضع اللفافة أمامه وقال بحماس:

- ها هى.. لقد أحضرتها الفتاة صباحا! لم أكن أتوقع صراحة!

ابتسم (محمود) ابتسامة بركن فمه ملو ينظر حتى لما فى اللفافة.. بدا على وجهه الهم والتفكير..

- ماذا بك؟

- كلامك.. لقد ترك فى أثرا منذ الأمس! لمن سيذهب المال والشركة! أنا لا أهتم حقا بهذه الأمور، ولكن.. ربما أشعر بالوحدة! ربما أريد أسرة!

تراجع (ثروت) قليلا وهو يقول ببطء:

- خبر ممتاز.. معنى هذا أنك بدأت تلين قليلا؟

- ربما يا صديقى.. ربما، لكن كيف أختار فتاة تناسبنى؟ كيف أضمن أنها ليست نسخة أخرى من أمى؟ صدقنى أنا لا أستطيع الاختيار!

ساد الصمت للحظات بعد كلماته هذه، ثم قال (ثروت) بهدوء وهو ينتقى كلماته بحرص:

- أنت كثير الشكوك.. بدون شك هناك واحدة سوف تحبك

لشخصك وليس لنقودك.. أنت شخص رائع بغض النظر عن كل عيوبك هذه!

التفت إليه (محمود) وهو يعتدل فى مقعده ولم يبتسم حتى، ومد يده ليلتقط أجاصة فى طبق أمامه ويمد يده بها إليه، ثم يلتقط أخرى لنفسه:

- حسنا.. هى موجودة بالتأكيد لكن أين هى؟ وكيف أتيقن من حبها لى ورغبتها فىَّ أنا لشخصى؟

ثم اعتدل بغتة وهو ينظر له بنظرة تحدى قائلا بنبرة هجومية:

- ومع هذا، فلماذا لم تتزوج أنت أيها الوغد؟

سرح (ثروت) ببصره بعيدا وهو يضع الأجاصة على مسند المقعد دون أن يتناولها، وبدا وكأنه يسترجع شيئا من الماضى وهو يقول:

- إن حالى مختلف تماما عن حالك.. أنا تزوجت ذات مرة!

نظر إليه (محمود) مدهوشا، ثم صاح:

- تزوجت؟.. متى؟.. وكيف لم أعرف؟

قال (ثروت) بصوت خفيض:

- تزوجت منذ فترة، ولم يستمر هذا الزواج كثيرا وسرعان ما انفصلنا.. لم أرغب فى حكاية هذا الزواج لأحد، كما لم تكن علاقتى بك قوية كما هى الآن.. أو ربما لم أكن قد تعرفت عليك وقتها!

كانت جملته الأخيرة غريبة.. نبرتها لايمكن أن تسبب لك الارتياح على الإطلاق! شعر بها (محمود) تخترق قلبه مباشرة وتؤلمه! نظر

لـ(ثروت) ليجد ملامحا عجيبة تجمع ما بين المقت والحزن يتبدى فى الدموع التى تتلألأ فى عينيه؛ فأرجع ذلك إلى زواج سىء وأيام لابد أن تكون قاسية مر بها.. لايمكن أن يكون الموضوع غير ذلك، فـ(ثروت) صديق مخلص.. أليس كذلك؟

ومع ذلك تساءل فى فضول وكأنه طفل صغير:

– و لماذا انفصلتما؟ هل كانت هناك مشكلة ما؟

أجابه (ثروت) :

– نعم.. مشكلة كبيرة فى الحقيقة.. كنت فى ذلك الحين مازلت فى أول حياتى أتحسس درجات الحياة بالكاد، ووقتها كنت أعمل بالوجه البحرى بالقرب من إحدى القرى.. وهناك تعرفت عليها، ولم يكن الأمر غريبا أن تأسرنى وتجعلنى ملكا لها..

فتاة صغيرة جميلة جذابة.. لا أنكر أنى تعلقت بها.. ربما ليس من أول مرة، لكن فيها شىء جميل من الرقة.. لست أدرى هل أحببتها أم لا، لكنى وجدت نفسى زوجا لها وأعيش معها فى بيت واحد ومكان واحد.. ألبى طلباتها و..

صمت لثوان بعدما تحشرج صوته وكأنما هو لا يستطيع الإكمال، لكنه قال بصوت خفيض:

– بعد فترة كان الابتعاد حتميا.. لا بد أن أبتعد عنها كى أحقق أهدافى الخاصة.. حياتى كانت سيئة ومحبطة، فاضطررت للابتعاد عنها! ربما كان بينى وبينها فرقا ثقافيا هائلا.. ربما هى لم تكن

زوجة أصلا!

وأشاح بنظره بعيدا وهو يكمل بنبرة مختلفة:

- بدأت أشعر بالخزى من وجودها معى..

الهوة الثقافية والاجتماعية بينى وبينها كانت هائلة..

حاولت أن أعدل من شكلها..

طريقة تبرجها..

ملابسها..

لكن ما أن تفتح فمها حتى ينفضح كل شىء.. مجرد فلاحة جاهلة! فلاحة جاهلة (جميلة) تثير سخرية أى شخص، كما كانت عبئا ماليا قويا فوق رأسى..

كان عقل (محمود) يصرخ: إنه يكذب! فى بداية كلامه كان يقول الحق، أما الآن فهو يكذب.. يكذب وربما يدارى شيئا أيضا، لكنه لا يهتم جدا! شىء ما يدفعه لعدم الاكتراث!

أخذ (ثروت) نفسا عميقا، ثم استطرد:

- كانت فقيرة، وتدعى أن أهلها يريدون المال لأنهم يمرون بأزمات متتالية فلا يجدون سواى للجوء إليه، المهم أن.. كان الانفصال حتميا.. انفصلنا فى النهاية!

تراجع (محمود) مرة أخرى فى مقعده.. ربما كان صادقا فى حكايته، لذلك سأله باهتمام:

- هذه تجربة غريبة.. لست أدرى لماذا تفشل غالبية الزيجات

الأولى دوما.. لكن أخبرنى لماذا لم تتزوج مرة أخرى؟ أعتقد أنك الآن فى مركز مالى قوى يسمح لك باختيار الزوجة التى تريدها دون عناء..

مط (ثروت) شفتيه فى حيرة وعيناه زائغتان وهو يهز رأسه يمينا ويسارا ثم قال بتردد:

- ربما.. لأنى مازلت أحبها..

لست أدرى..

كما أنى..

تزوجت مرة أخرى فعلا، ولم أستمر أيضا!

اتسعت عينا (محمود) من الدهشة.. وسأل صديقه:

- مرة أخرى؟

اعتدل (ثروت) فى مقعده، وهو ينظر لـ (محمود) وكأنما يحاول أن يطرد هذه الذكريات من رأسه، ثم أردف:

- دعنا منى الآن.. كنا نتحدث عنك أنك..

صمت للحظات وكأنما يفكر، ثم قال:

- إن لدى فكرة..إذا لم تكن ضد مبدأ الزواج، فلماذا لا تبحث عن شريكة لحياتك؟

نظر (محمود) تجاه النيل من تحته وهو يهز رأسه متعجبا من صديقه هذا الذى يكرر سؤاله مرارا وتكرارا وكأنما يسأله لأول مرة،ثم التفت إليه قائلا:

– هل انتبهت لما كنت اقوله لك منذ قليل؟ قلت لك:

(المال – عائق – يخيفنى – من – الارتباط).. فهمت؟ كما أنى لا أثق فى النساء..

ابتسم (ثروت) قائلا:

– إذن تجرد من مالك تماما، ولندع مسألة الثقة هذه تأتى لاحقا بعدما تظهر بمظهر فقير!

ارتسمت علامات التعجب على وجه (محمود) وهو يرفع حاجباه عاليا محاولا فهم ما يرمى إليه صديقه.. ثم لم يلبث أن سأله:

– ماذا تعنى؟

قال (ثروت) فى حماس:

– أعنى أن تتجرد من مالك عدة أشهر.. وسأخبرك كيف؛ سوف تستأجر شقة متواضعة فى حى متواضع.. وهناك تعيش فترة كشخص عادى من أفراد هذا الحى.. كأن يعرفوا أنك موظف فى أى مكان، ووقتها ربما تعثر على مبتغاك.. ما رأيك؟

هز (محمود) رأسه فى تعجب من هذا الكلام.. لكنه لا ينكر أن الكلام صادف هوى فى نفسه! كان شخصا مغامرا ويحب هذه المغامرات غير المتوقعة!

لكنه عاد ينظر للنيل أمامه وهو يفكر.. معقول أن يترك بيته الذى طالما حلم به ويذهب ليعيش فى مكان آخر؟

الفكرة نفسها لاقت هوى فى نفسه.. كان فى قرارة نفسه يرغب

فى شريكة حياة.. يرغب فى اطفال يحملون اسمه ويلعبون امامه.. لكن تلك الريبة المرضية من النساء سيطرت على عقله تماما، جعلته يهاب الاقتراب من أى فتاة أو امرأة..

حيرة بالغة ظهرت عليه فورا.. ملامحه تنم عن التشتت! لعن الله أمه التى غلبت شهوتها أمومتها ووفاءها لزوجها..

كيف أنها جردت والده تقريبا من كل أمواله التى فى المنزل لتفر مع كلب وتختفى تماما! كيف طاوعها قلبها على فعل ذلك؟

لحسن الحظ أن المال الموجود فى المنزل كان نزرا يسيرا، وإلا لمات أبوه حسرة..

طرد هذه الافكار من رأسه، وعاد يفكر فيما قاله (ثروت)..

اقتراحه ظريف جدا.. لم لا؟

ربما عثر فى هذا الحى الفقير على بغيته..

وحتى لو لم يجدها، فسيكفى أنها مغامرة جديدة تضيف نكهة لحياته الرتيبة..

نظر تجاه (ثروت) الذى لم ينبس ببنت شفة احتراما لتفكير صديقه، ثم قال:

- إنها فكرة لطيفة بالفعل، لكنها عسيرة التنفيذ نوعا..

صاح (ثروت) :

- عسيرة؟ كيف؟ ماعلينا إلا العثور على شقة معقولة فى أحد الأحياء الفقيرة التى نختارها، وتحدد لنفسك مرتبا شهريا معقولا

يكفل لك حياة مريحة.. ثم ستقول للناس – لو اهتممت – أنك موظف فى هذه الشركة (شركتك أنت)، ويكون هذا مبررا لذهابك لشركتك الخاصة كل يوم.. وليس من الضرورى أن تتظاهر بالفقر المدقع.. يكفى أن تقول أن مرتبك مثلا ألف وستمائة جنيه شهريا.. وهكذا تعيش حياة متوسطة نسبيا.. ما رأيك؟

كان جليا ان الفكرة بدأت تختمر فى رأس (محمود)، وبدأ يندمج فى الفكرة.. غمغم:

– ممكن.. إن بطاقتى الشخصية مازالت كما هى.. مكتوب فيها موظف من أيام كان والدى حيا..

هتف (ثروت) فى حماس:

– رائع.. حتى لا نحتاج لتزوير ورق لاستئجار الشقة..

تساءل (محمود) بعدها فى شغف كشغف الأطفال:

– لكن.. أين ياترى سأجد شقة مناسبة ومفروشات مناسبة؟

نهض (ثروت) من مكانه وقال:

– دع الأمر لى.. اتفقنا؟

ابتسم (محمود) ونظر تجاه الشمس التى تغرب من بعيد فوق النيل وتصبغه باللون الأحمر الجميل، ثم أخذ نفسا عميقا وقال:

– اتفقنا..

* * * * * *

شهر كامل مضى منذ كان الصديقان معا فى شقة (محمود)

يتجاذبان أطراف الحديث والموضوع لم يبارح رأس (محمود) يوما واحدا..

كان شديد الشغف والاشتياق لهذه المغامرة كمراهق وعده أبواه برحلة طويلة! ويوميا كان يتابع ما يفعله ((ثروت)، على الرغم من أن (ثروت) أحاط كل شىء بسرية بالغة.. ورده دوما على تساؤلات محمود:

- (فلتكن مفاجأة) !

لذلك كان يحترق شوقا لما هو آت، أما الأمر السىء أن عقله ظل يسترجع (هدى) وذكرياته معها، وهو ما كان يضايقه حقا! أبعد كل هذه السنوات ما يزال يحبها؟!

الحقيقة أن قلبه الخاوى من الحب لا يجد من يفكر فيه، فيستدعى المشاعر القديمة، وهى المشاعر الوحيدة التى شعر بها يوما!

كم تمنى أن يراها فى الشارع..

كم تمنى أن يلمحها ولو من بعيد..

الوحيدة التى حلم أن يحملها ويجرى بها بعيدا عن الدنيا كلها..

كان يقول لها أنهما ما أن يتزوجا فلن تلمس قدماها الأرض قط..

سيظل يحملها فى حضنه للأبد..

فكانت تضحك وتنظر له بعينيها الصافيتين..

فيذوب..

وينفصل عن كل شىء إلاها فقط..

لا يذكر كم مرة ظلا جالسين وهو يتأمل عينيها..

فقط..

دون كلام..

ترى.. هل سينساها يوما؟

يتمنى!

لذلك كان يتحرق شوقا لهذه المغامرة..

يشتاق لأن ينساها!

يتعجل الأيام ليبدأ مغامرته..

حتى اليوم..

اتصل به (ثروت) صباحا وهو فى العمل، وطلب منه ان يستعد بحقيبة ملابسه للانتقال الليلة!

لم يصدق أذنيه فى بادىء الأمر، ثم قام من لتوه خارجا من مكتبه الأنيق، وسار مسرعا نحو المصعد وسط نظرات التعجب من العاملين بالشركة الذين لم يروه مسرعا ولا مرة فى حياتهم.. كان يسرع الخطى وعلامات الفرح تكسو وجهه بشكل عجيب!

وسرعان ما استقل سيارته لمنزله ليحضر حقيبة ملابس قديمة استعد بها منذ فترة مع بعض المستلزمات الضرورية له..

صعد لشقته، وأحضر حقيبته، وانتظر هاتف صديقه فى ترقب..

ولم يتأخر عليه كثيرا، إذ سرعان ما اتصل به من تحت المنزل، وسرعان ما كانا متوجهين لذلك الحى القديم..لكن فى سيارة (ثروت)

هذه المرة..

وتم كل شىء بسلاسة ويسر غير متوقع، فقد قابلا صاحب الشقة ودفعا الإيجار المطلوب مقدما، واستلما العقد ثم صعدا للشقة..

لم تتجاوز هذه الأحداث كلها ساعة واحدة!

ومع تكة المفتاح الأولى فى باب الشقة شعر بقلبه يخفق فى قوة.. هل هو مدرك عاقبة ما هو مقبل عليه؟

لم يترك له (ثروت) فرصة للتفكير؛ إنما دفعه فورا للدخول إلى الشقة..

ومع خطواته المتحسسة مدخل الشقة، تناوبت على (محمود) أحاسيس لا يمكن وصفها أبدا.. مزيج من الخوف والترقب والحماس!

لم يكن يدرى ما بداخله حقا..

وضع إحدى حقائبه جوار الباب، ووضع (ثروت) الحقيبة الأخرى جواره، ووقف يتأمله وهو يشاهد الشقة وعلى شفتيه ابتسامة خبيثة!

سار (محمود) خطوتين ليتأمل فى المكان.. دلف إلى حجرة الجلوس التى كانت مريحة نفسيا جدا.. بها صالون قديم من الطراز (الأسيوطى) البسيط مع منضدة فى المنتصف ولوحة مخملية كبيرة على الحائط.. جرب أن يجلس على أحد مقاعده ليفاجأ أنها كالخشب الصلب فى قساوته! جلس جواره (ثروت).. ساد الصمت برهة، ثم قال (ثروت) فى مرح وهو يربت على ركبة (محمود) :

- ما رأيك الآن؟.. أصبح لديك شقة معتبرة.. ثلاث حجرات..

ومطبخ.. وحمام.. ماذا تريد من الدنيا أكثر من هذا؟

ابتسم (محمود) على طريقة (ثـروت) فى الحديث ولم يعقب؛ فاستطرد (ثروت) قائلا بنبرة تحمل بعض السخرية الخفيفة.. أو ربما شماتة!:

– لديك فى هذه الشقة كل وسائل الراحة تقريبا، لكن لا رفاهية.. عندك ثلاجة متواضعة.. موقد قديم بالغاز.. مروحتان على ما أعتقد.. والمطبخ معقول جدا.. ربما يعج بالصراصير، لكن لا بأس به أبدا! وطبعا الفرن الوحيد هنا هو فرن الموقد فقط.. عليك أن تنسى تماما الميكروييف وآلة صنع القهوة وكل هذه الرفاهيات..

صمت قليلا وهو يتأمل ملامح (محمود) التى تنم عن دهشة ممزوجة بشىء من الذعر، وعاد يكمل تعذيبه:

– أتعلم شيئا؟ لو أردت الـزواج أيضا تستطيع الـزواج فى هذه الشقة.. فلديك حجرة نوم رائعة.. حجرة نوم أنصحك ألا تستعملها على الإطلاق!

ابتسم (محمود) ابتسامة باهتة، ثم تململ فى جلسته الجافة.. آلمته إليته وبدأ يشعر بالخوف والقلق يغزوان قلبه ويتمنى أن ينهى كل هذا الآن ويعود لحياته ولنكتفى بهذا القدر!

لم يكن مرتاحا تماما الآن لهذه المغامرة.. ولو ترك الأمر بالكامل إلى نفسه لترك كل شئ الآن ولعاد إلى شقته الواسعة المريحة المطلة على النيل بدلا من هذه الشقة الكئيبة ذات الإضاءة الباهتة والهواء

الراكد برائحته التى تشبه رائحة هواء مصانع الخشب!

ومازالت هناك أمور سيئة.. عندما صمتا قليلا انتبه للمصباح المعلق أمامه الذى كان دائم الإزيز مما أصابه بالانزعاج والصداع..

ومع ذلك لم يستطع التراجع.. حماس صديقه الشديد هو الدافع والمحرك له تماما، ورجولته تفرض عليه ألا يتراجع.. يجب أن يكون رجلا حتى النهاية!

بعد برهة من الصمت الكئيب، نهض (ثروت) بهدوء من مقعده،وسار عدة خطوات نحو الباب كى يرحل من المكان وقال بنبرة بطيئة:

- قبل أن أتركك.. هل هناك شئ آخر تريده؟

تردد (محمود) قبل الإجابة.. يريد أن يعود معه للمنزل ويكتفى بهذا القدر، لكنه غمغم فى صوت منخفض محمل باليأس والإحباط:

- كلا.. لا أريد شيئا.. شكرا لك..

خرج (ثروت) من الشقة تاركا (محمود) وحده تماما.. فى شقة غريبة ومنطقة غريبة وحياة غريبة بالكامل! ومع صوت الباب وهو ينغلق شعر بقلبه ينتفض..

لا يريد أن يعترف لنفسه بذلك، لكنه كان خائفا حقا..لا يوجد سبب محدد لكن الغموض والوحدة والإقبال على أمر غامض، كل ذلك يثير شتى أحاسيس الرهبة فى قلبه! كان يتعجب من نفسه، هو الذى لم يشعر بمثل هذه المشاعر فى حياته من قبل قط!

أخذ نفسا عميقا وزفره بقوة، ثم نهض وبدأ يتفقد الشقة حجرة

تلو الأخرى..

اعترف فى قرارة نفسه أن صديقه لم يترك شيئا ضروريا للحياة إلا وأحضره، لكن بالفعل لا رفاهية..

لا رفاهية على الإطلاق!

وهذا عهده بـ (ثروت) دائما.. دقيق تماما فى كل تصرفاته، لكن عليه اللعنة! ربما كان من الأفضل لو تركه وشأنه! وعلى قدر تحمسه للمغامرة، على قدر نفوره منها الآن!

- **ترررررررررررن!**

انتفض من تأمله على صوت جرس الباب يرن بشكل غير متوقع! هل هو (ثروت)؟

ربما نسى شيئا؟

نهض وسار بسرعة نحو الباب، وعندما فتحه وجد رجلا غريبا لا يعرفه يقف مبتسما فى فضول!

كان رجلا وسيما أشيب الشعر، ذو شارب أبيض كثيف، ويبدو أنه تخطى الستين من عمره، يرتدى جلبابا مخططا وطاقية مخططة أيضا.. وينتعل خفا جلديا لم ير مثله قط كأنما هو خارج من فيلم قديم!

اتسعت ابتسامة الرجل، ومد يده مصافحا إياه بقوة لم يؤثر عليها الزمن و قدم نفسه قائلا:

- أنا الحاج (حسن) جارك فى الشقة المقابلة، لقد أتيت لأرى ما

إذا كنت تحتاج شيئا.. علمت أنك انتقلت اليوم، ويبدو أنك وحدك..

ابتسم (محمود) فى حيرة ولم يدر كيف يعقب!؛ فهو لم يعتد مثل هذه المقابلات فى حياته أبدا؛ وبشكل ما شعر بالضيق من تطفل هذا الرجل؛ لذلك رد عليه باقتضاب:

- شكرا.. لست فى حاجة إلى شىء..

أنهى عبارته، ونظر للرجل فى حيرة.. مازال واقفا يبتسم ابتسامة واسعة! ألن يرحل؟ هل وكأنه ينتظر منه الدخول مثلا؟ عيناه تحملان أملا ما! ما هذا الموقف السىء؟

قال له على استحياء مشوب بالحرج، وبنبرة من يريد إنهاء المقابلة بينما يدفع الباب ببطء كى يغلقه:

- اتفضل..

فوجىء بالرجل يمد قدمه ليدخل معه الشقة قائلا:

- شكرا.. يزيد فضلك..

ارتفع حاجباه فى دهشة عظيمة وهو يراه يدخل الشقة! ماهذه الجرأة؟ جلس الرجل قريبا منه فى حجرة الاستقبال، فسار خلفه حائرا!

وما أن جلسا حتى بدأ الحاج (حسن) سلسلة من الاسئلة الاستجوابية لـ (محمود) :

- بالمناسبة، أين الست؟

- للأسف أنا غير متزوج..

- ياه.. معقولة؟ فى سنك هذا؟

شعر بالسخط.. إنه لايبدو عجوزا لهذه الدرجة، كما أن ملابسه الشبابية تجعله أشبه بموديلات الإعلانات! عن أى سن يتكلم هذا الرجل!

- والله ياحاج.. ظروف!

- وأين تعمل؟

- فى شركة.. شركة خاصة!

بدت خيبة الأمل والامتعاض واضحين جليين على وجه الحاج (حسن).. ثم قال:

- شركة؟ قطاع خاص يعنى؟

- نعم.. قطاع خاص.. الموجود..

- لا.. أبدا.. لا يوجد مثل الحكومة أبدا.. شغلها مضمون.. ومرتبك فى يدك مهما كانت الظروف..أنا على المعاش منذ سنة الآن، لكن مازلت لى أصحاب كثيرون فيها.. ناس محترمون جدا الحقيقة وخدومون للغاية.. يعنى يخدموك بأعينهم لو أردت.. أنا قضيت فى الخدمة أربعين سنة فتزوجت وأنجبت خمسة من الأولاد البنات.. وكل أولادى تزوجوا ماعدا الصغرى حبيبة قلبى.. وهى أيضا شبه مخطوبة لابن عمها (قال هذه الجملة الأخيرة بنبرة خبيثة نوعا).. على فكرة هل تطبخ لنفسك؟

فوجىء (محمود) بالسؤال.. ربما لم يكن يتوقع أن يصمت هذا

الحاج بعدما انطلق فى الحديث هكذا، فأجاب:

- لا.. أحيانا فقط.. لكنى دائما آكل فى المطاعم..

- لا لا لا.. لا يوجد أبدا مثل طعام المنزل.. طيب من يقوم بغسيل ملابسك؟ تنظيف شقتك؟

ابتسم (محمود) وهو يتذكر مشهدا مماثلا لهذا فى مسرحية قديمة.. لكن هذا الرجل استمر فى الكلام المتواصل.. يبدو أنه لن يتحرك من مكانه فى هذه الليلة أبدا! واستمر الرجل يثرثر ويثرثر، بينما (محمود) يستمع إليه فى أدب وملل.. ثم خطرت له فكرة ساذجة كى يجعل الرجل ينهض ويذهب بعيدا.. سأله:

- هل تحب أن تشرب شيئا؟

هب الرجل من مكانه فى نشاط كنشاط الشباب وكأنما كان يتوقع هذا السؤال و سار نحو باب الشقة فى خطوات واسعة وهو يقول:

- لا لا لا.. أنت عازب.. سأطلب من زوجتى أن تعد لنا الشاى! دقائق فقط!

اتسعت عينا (محمود) فى ذعر وذهنه يستحضر ألفاظا إباحية لم يستعملها منذ فترة، وكلها تدل على احتجاج صارخ! وأصلا لم يعد هناك مجال للاعتراض لأنه صاحب الاقتراح!

إنها ليلة سوداء لن تنتهى على خير!

جلس على الكنبة الصلبة مرة أخرى وهو ينتظر هذا الرجل اللزج.. كان يفكر.. إنه لابد أن يتحمله قليلا؛ ربما كانت هذه الطريقة المتبعة

للترحيب بالضيوف فى هذه المنطقة! لا يريد أن يكتسب عداوات مع أحد، وربما لو اتخذه حليفا لصارت الأمور أفضل!

فقط لندع الأمور تأخذ نصابها، ولنر كيف ستمر هذه الليلة العجيبة..

دقائق وعاد الحاج (حسن) خاوى اليدين، وترك الباب وراءه مفتوحا..

تعجب (محمود) و ظن أنه نسى أن يغلق الباب..

وأين الشاى؟

نهض من مكانه ليغلق الباب، لكن الحاج (حسن) صاح به:

لا تغلق الباب.. ابنتى (سميرة) سوف تحضر الشاى خلال دقائق.. اترك الباب مفتوحا يا بنى، فنحن الآن جيران.. والجيران أهل!!!

(ألفاظ إباحية ذهنية فى ذهن (محمود) مرة أخرى) وهو يحدق فيه بدهشة!

ما هذا التعدى الصارخ على حريته؟

لكنه سلم أمره إلى الله، وعاد ليجلس أمام هذا الرجل، ويعود ليجيب أسئلته التى بدت وكأنما لا نهاية لها..

كم مرتبه؟

وهل له مورد رزق آخر؟

ومن أى البلاد هو؟

ومن عائلته؟

وهل له إخوة وأخوات؟

وأين والده ووالدته؟

كان يشعر بالحرج من كل هذه الأسئلة، إلا أنه استطاع بشكل ما الإجابة عنها كلها إلى أن دخلت فتاة فى بداية العشرينات أو قبلها بقليل للشقة على استحياء.. كانت تحمل صينية عليها كوبان من الشاى الجميل يحمل لون النبيذ المعتق، وجواره بعض قطع البسكويت المنزلى.. تقدمت نحوهما بخطوات مرتبكة، وانحنت لتضع الصينية بما عليها أمامهما..

تطلع (محمود) إليها بطرف عينيه فى نظرات متلاحقة..

كانت متوسطة الجمال، تحمل شيئا من الجاذبية..

متناسقة الجسد..

رفع نظره إليها بنظرة عابرة شاكرة، فوجد الحاج (حسن) يتابعه بعينى صقر ينظر لفريسته.. ثم قال بنبرة ماكرة:

– ابنتى (سميرة).. سلمى على أخيك يا (سميرة)..

سلمت عليه بأطراف أناملها باستحياء ثم انسحبت لتعود إلى شقتها..

أردف الحاج (حسن) بذات النبرة الخبيثة:

– إنها بنت مجتهدة، وهى تعمل فى وزارة الكهرباء.. وتقبض ألف جنيه شهريا.. غير الحوافز.. إيييييه.. هذا زمن لابد أن تساعد فيه المرأة زوجها..

ساد الصمت لثوان بدا فيها وكأن الحاج (حسن) يدرس تاثير كلماته على (محمود).. ثم سأله:

- على فكرة.. تعرف تلعب طاولة؟

- من.. أنا؟

- طبعا أنت.. هل يوجد غيرنا هنا؟

- لا.. لا أعرف كيف ألعبها ولم أجربها من قبل!

قال الجملة الأخيرة فى يأس وخوف مما هو قادم، والقادم كان سيئا بالفعل:

- ليست مشكلة.. سأعلمك.. وأنا شخصيا سأدربك..

اشتد غيظه هذه المرة.. حتى أراد أن يضحك من شدة غيظه..

ما هذا الرجل؟

سيطر على أعصابه بالكاد، ثم شكره على فضله وكرمه..

كان يشعر بالضيق بشدة.. فاستأذنه ليحضر علبة سجائره من الخارج، فنظر الحاج (حسن) إليه مذهولا.. أيدخن؟

- هل تدخن؟

أومأ (محمود) برأسه إيجابا،ثم عرض عليه سيجارة بيد ممدودة..

- ما هذه؟ مارلبورو؟

- نعم..

- أنت تضيع مرتبك إذن على السجائر! لا أريد.. أنا لا أدخن إلا كليوباترا!

هز (محمود) رأسه متفهما، وبدا يسحب يده الممدودة، لكن الرجل كان اسرع منه واختطف السيجارة قائلا:

- نجرب!

وبدأ يثرثر مرة أخرى!

بعد فترة من الثرثرة المرهقة نظر (محمود) إلى ساعته.. لقد مضت اكثر من ساعتين، وهو جالس.. لا يبدو عليه أبدا أى نية للانتهاء من الثرثرة.. ويبدو أنه لا يريد الانصراف أيضا!

تثاءب (محمود) عدة مرات أمامه، لكن الحاج (حسن) لم يلحظ، أو لم يهتم.. أخيرا اضطر أن يعتذر له صراحة أنه مرهق ويريد النوم..

وعلى الرغم من ذلك فقد مضت عشر دقائق أخرى قبل أن يقوم هذا الضيف من مكانه متثاقلا، وطبعا لم يفته أن يلح على (محمود) أن يتناولا عشاءهما معا، لكنه أخذ يؤكد عليه أنه لا يتعشى، وأنه جائع للنوم فقط.. اصطحبه بالكاد إلى الباب حتى أغلقه وراءه والتفت يحدق فى الشقة مستمتعا بالهدوء بعد كل هذه الثرثرة والصخب والضحك والصوت العالى!

أخيرا..

لم تكن هذه البداية موفقة على الإطلاق، وخطر فى باله أن ينهى هذه المهزله، ويعود إلى داره فورا ويكفيه ما لاقاه حتى الآن..

لكنه أخذ نفسا عميقا و قرر إرجاء الأمر قليلا، ربما حتى الصباح

على الأقل.. رغم كل شىء إنه الآن فى منتصف المغامرة، وعليه أن يكملها..

عليه أن يعطى لنفسه فرصة، وربما وجد فتاة مناسبة بالفعل!

لم يمض هنا سوى ساعات قلائل ولم ير غير ابنة الحاج هذه التى لم تجذبه أو تلفت انتباهه على الإطلاق بالرغم من ملامحه المريحة..

لا تقارن بـ (هدى)!

ورغما عنه عاد بذاكرته إليها..

رقتها..

ضحكتها الصافية المشرقة..

براءتها..

وخيانتها..

اللعنة! ألن ينتهى فيض الذكريات هذا؟

عند هذه النقطة نفض رأسه بقوة يمينا ويسارا.. كانت خائنة لصديقه، وكان (محمود) نفسه خائنا هو الآخر لصديقه.. هل كانت الأيام ستدور ليخون أحدها الآخر؟ هل ما حدث سيتكرر بشكل أو بآخر؟ والأسوأ، لو تزوجا، فهل كان سيعيش مطمئنا مرتاح البال إلى أنها لا ترى غيره وربما لن ترى غيره!

ربما كان يشعر أنها كانت تحبه..

تعشقه.. ولا تدرى كيف تتخلص من الآخر..

يكفى أنها بكت من أجله يوما ولم تبك من أجل الآخر قط!
يكفى أنها كتبت من أجله خطابا لم يقرأ مثله قط..
عاد لينفض رأسه بقوة مرة أخرى.. يجب أن يبعدها قليلا عن رأسه..
يجب أن يفكر فى حياته الجديدة هذه..
وليدع الله أن يجد مبتغاه هنا..

* * * * * *

كان (محمود) قد بدأ فى الاقتناع بإكمال مغامرته هذه..
خاصة وأن صديقه (ثروت) أقنعه بكلام موزون بعدما اتصل به وحكى له من الحاج الثرثار.. فليعطِ لنفسه يومين أو ثلاثة، فإذا ما ساءت الامور بالنسبة إليه فليترك كل شىء ويرحل.. حتى ملابسه القديمة التى هو ليس فى حاجة إليها أصلا!
وعلى هذا الأساس قرر أن يكمل هذه المغامرة..
ترك مكانه فى حجرة الجلوس وأخذ يتفقد الشقة للمرة الثالثة، ولكن بشىء من التمعن هذه المرة.. للحق كانت مريحة نسبيا، ونظيفة بقدر ما يسمح به المكان، كما تحوى أجواءا حميمية محببة..
هناك بعض الإضاءة فقط تريد أن تتغير..
حسنا.. قال لنفسه:
- يمكننى العيش هنا لفترة..
أخذ نفسا عميقا، ثم خطر أنه لم يتعرف على هذه المنطقة بعد!

ربما كان عليه أن يتعرف المنطقة والمنازل المجاورة وسكانها..
دلف إلى حجرة الاستقبال التى كانت تطل على الطريق العام ووقف فى النافذة يتأمل الجو العام المحيط بالمكان..
كان الطريق خارج النافذة طريقا ضيقا جدا يعج بالباعة والمارة.. تأتيه من قريب أصوات رواد مقهى صغير على الناصية يجلسون على كراسى بلاستيكية فى الشارع ويلعبون الدومينو أو الطاولة، بينما تعبق أبخرة الشيشة الجو من حولهم..
شعر بانزعاج شديد..
المقارنة بين هدوء النيل وانسيابه الوقور، وبين شارع ينبض بالحركة والحياة والصخب مقارنة ظالمة جدا، ومن مكان ما سمع صراخ امرأة على شخص ما ألا ينسى الخبز وهو قادم مختلطة بأصوات التلفاز العالية فى العديد من البيوت..
كل الشرفات مفتوحة ويأتى منها صخب وأضواء مختلفة..
كل شىء كان مختلفا تماما كأنه انتقل إلى عالم آخر.. حتى الهواء نفسه لم يكن هو الهواء الذى اعتاد تنفسه.. الهواء هنا ثقيل و خليط من رائحة طعام يطبخ، وعرق الناس، وروث الحيوانات التى تمر بين الحين والآخر، وأدخنة الشيشة التى تنبعث من المقهى القريب!
من يصدق أن بينه وبين منزله كيلومترين أو ثلاثة على الأكثر؟
تنهد فى قوة، وتراجع ليغلق باب الشرفة، حين وقع نظره عليها فخفق قلبه فى قوة.. كانت تقف فى النافذة المقابلة تماما، ربما تبعد

عنه بعض الأمتار لا أكثر..

كان ضوء حجرتها ينبعث من ورائها، فلم ير إلا ظلا جميل التقاسيم فقط، وشعرا غزيرا ناعما يكلل رأسها..

حاول التحقق منها بشتى الطرق بفضول الإنسان الذى يتجسس على غيره.. لكن لم يستطع..

لم يستطع حتى تبين لون شعرها بسبب قوة الإضاءة خلفها..

ومع ذلك فهناك شىء ما بداخله استيقظ.. قلبه يدق وأطرافه تتمل ودوار يحيط برأسه نتيجة عطر مدوخ يشمه، وكأنما خيط وردى اللون يربط ما بين حجرتها وحجرته ويسيطر عليه كما نرى فى أفلام الكارتون!

هل هى أوهام؟

وبهذه السرعة؟

كيف يدق قلبه لامرأة لم يرها أصلا، كل ما لاحظه (سلويت) فاتن لامرأة جميلة فإذا بقلبه يدق بجنون!

يبدو أنها أحست بمراقبته إياها؛ فسرعان ما انسحبت من أمام النافذة، ثم – من زاوية غير واضحة – أغلقت الشيش بهدوء.. وانتهى كل شىء!

ظل واقفا فى مكانه فترة قصيرة دون حراك وكأنما انفصل عن العالم..

يشعر بالغيظ..

لماذا أغلقت تلك الحمقاء النافذة؟ ألا يمكن أن تكون هى زوجته القادمة؟

أشعل سيجارة فى حنق ووقف على أمل أن تفتح ما أغلقته، لكن دون جدوى طبعا.. بعد دقائق دلف إلى الشقة من جديد.. يبدو أنه لا شىء يفعل هنا غير النوم..

هكذا خلع ملابسه وأخذ دشا سريعا، ثم أوى إلى الفراش الصلب المريح.. ملمس الوسادة البارد مع هذا الحر..

وهلاوس ما قبل النوم بدأت تنقله إلى تلك العوالم التى لا يستطيع تذكرها.. ثم راح تدريجيا فى النوم، على الرغم من الضجيج الذى ينبعث من خلف النافذة..

بدأ يحلم أحلاما عجيبة.. أنه يسير فى شقته على النيل، ويدخل حجرة النوم، فيجد نفسه فى هذه الشقة..

يشعر بالانزعاج؛ فيخرج من الحجرة إلى حجرة مكتبه فى برجه! كان شبه عار؛ لذلك كان محرجا من الموظفين الذين لم يبد عليهم أنهم لاحظوا ذلك أصلا.. ومن بعيد كانت الفتاة تقف وتتمايل بغنج رائع وتدعوه ليقترب، لكنه كان خائفا.. خائف وتسيطر عليه شهوة قوية يريد أن..

ثم دوى ذلك الجرس!

أخذ قلبه ينبض بقوة.. ماهذا الجرس؟

ترررررررررررررررن – ترررررررررررررررن..

أفاق من حلمه تدريجيا.. دون أن يفتح عينيه.. ببطء أدرك أنه صوت جرس باب يدق..

ترررررررررررررن - تررررررررررررررررن..

كان يشعر بالتعب والرغبة فى النوم تجتاحه اجتياحا؛ فقرر ألا يجيب الطارق أيا كان، فاحتضن الوسادة وتقلب على الناحية الأخرى..

ترررررررررررررن - ترررررررررررررن - ترررررررن!

مازال الجرس يدق بإلحاح عجيب!

اعتدل على فراشه غاضبا وسط أفكار مشوشة وأنفاس ثقيلة.. يريد أن يكمل الحلم ولا يستطيع التركيز.. نظره مشوش والرؤية غير واضحة بالمرة..

من الذى يدق جرس الباب بهذا الإصرار؟

ترررررررن - تررررررررررن - ترررررررررن..

جرس الباب من جديد.. اللعنة على من يقف بالخارج! يبدو أنها مصيبة حتما!

هكذا نهض، وبخطى متثاقلة ذهب نحو الباب وفتحه وهو لا يكاد يرى أمامه؛ فوجد (الحاج حسن)!

(الحاج حسن)؟

ماهذا! ليس لهذه الدرجة!

كان واقفا أمامه مرتديا بذلة بنية غريبة ويبتسم ابتسامة واسعة ويقول:

– صباح الخير يا أستاذ! كل هذا نوم؟ ألن تذهب للعمل أم ماذا! لقد أصابنا القلق عليك.. الساعة الآن السابعة والنصف.. متى ستذهب إلى عملك؟

كان الإرهاق قد بلغ من (محمود) مبلغا، فلم يشعر بساعات نومه إلا وكأنه أغمض عينيه وفتحهما فقط..

وحتى فى الأيام العادية كان لا يستيقظ قبل التاسعة أو العاشرة..

فى هذه اللحظة تنبه إلى أن دوره الجديد يقتضى منه النزول مبكرا..

وعلى الرغم من غضبه الشديد إزاء هذا الرجل الذى تمنى أن يفرغ فيه غضبه وثورته، أو حتى أن يصطحبه لحجرة الفيلا كى يرى من صنوف العذاب ما يجعله لا يخرج من منزله مرة أخرى، إلا أنه فكر لثوان قبل أن يجيب الحاج (حسن) قائلا بصوت أجش من أثر النوم:

– صباح النور يا حاج.. أنا أذهب لعملى فى العاشرة لأنى سكرتير صاحب الشركة، وهو عادة لا يأتى قبل الواحدة، لكنى أتأخر فى العمل عوضا عن الاستيقاظ المبكر..

هز الحاج (حسن) رأسه نافيا ثم إيجابا فى عدم رضا وقال:

– فهمت فهمت.. لكن يا بنى خذها نصيحة من رجل عجوز قضى أربعين عاما فى الخدمة لم يتأخر يوما واحدا عن موعده.. اذهب مبكرا فى الصباح، تستطيع وقتها أن تنجز أعمالك قبل حضور

مديرك، ويكون يومك كله بركة وخير وإنتاج وعندها..

لاح لـ(محمود) أنه لن يتوقف عن الحديث مرة أخرى.. ياللمصيبة! فقاطعه فى ذعر:

- آسف يا حاج.. تذكرت الآن أنى يجب أن أذهب الآن للعمل لأنى عندى موعد مهم.. سأستئذنك لأعد نفسى كى أذهب للعمل! هه؟ سأذهب الآن!

رد الرجل فى أريحية:

- لا بأس.. على العموم الشاى جاهز.. سأحضر لك الشاى بنفسى لأن ابنتى ذهبت للعمل من أكثر من ربع ساعة.. إنها فتاة ملتزمة ومجتهدة كما تعلم..

شكره (محمود) بشدة، وكاد أن يغلق الباب ليكمل نومه، لكن الحاج قال له ضاحكا:

- ماذا تفعل؟ قلت لك أنى سأحضر الشاى بنفسى.. ادخل انت لتفعل ما سوف تفعله، واترك الباب مفتوحا..

دخل (محمود) شقته وهو متعجب ويسب الرجل بكل السباب الممكن دون أن ينطق بكلمة! لم يعتد أبدا هذا التدخل السافر فى أمور الآخرين..

دخل واغتسل وخرج لحجرته يرتدى ملابسه، عندما سمع صوتا يناديه من الخارج..

خرج من حجرته ليجد الحاج (حسن) جالسا على السفرة، وأمامه

بعض الشاى وبعض الجبن والعسل والخبز!

مرة أخرى يشعر بالدهشة والحرج وشىء من الحياء!.. هل هذا كرم زائد أم أنه مجرد فضول زائد؟

جلس أمامه على السفرة الصغيرة شاكرا.. أخذا يتناولان الإفطار معا، ثم اعتذر منه ليغلق الشقة ليذهب إلى عمله..

ولم يفته أن يلقى نظرة سريعة على نافذة جارته ليجدها مغلقة كما هى..

تنهد، ونزل إلى عمله..

خرج فى الشارع إلى مسافة لا يراه فيها أحد، ثم أوقف سيارة أجرة ليستقلها إلى محل عمله..

لم يكن محل عمله بعيدا عن هذا المكان.. لم يستغرق عشر دقائق حتى وصل إلى الشركة، وعندما نزل من سيارة الأجرة، لم يلحظ وجوده أحد من العاملين الذين اعتادوا منظر سيارته الفارهة.. هكذا دلف بهدوء إلى المدخل، حيث كان الحارسان جالسان يتناولان إفطارهما من أطباق معدنية أمامهما، ورائحة البصل تفعم كل شىء..

نظر لهما بدهشة بالغة، إذ لم يتوقع أن يتناولا طعامهما هنا!

رفع أحدهما عينيه إليه، ثم اتسعت عيناه عن آخرهما وتوقف الطعام فى حلقه تماما.. أما زميله فقد نهض مسرعا وهو يمسح أثر البيض من على فمه وسارع قائلا بفم مازال به بعض الطعام، وبكثير من التلعثم:

- (محمود) بيه.. اتفضل يا فندم..

ظل واقفا لثوان لا يدرى ما يفعل.. ثم قال لهما أن يحضرا إلى مكتبه بعدما ينهيا إفطارهما، وتركهما وصعد إلى حيث يوجد مكتبه.. لم يفته أن هناك قلة من الموظفين فقط هم الموجودون..

كانت الساعة التاسعة والنصف، بينما تبدأ الشركة عملها فى تمام الثامنة والنصف..

كانت دهشة الموظفين بالغة، وهم لم يروه أبدا فى هذا الوقت المبكر..

وكان يوما أسودا على المتأخرين!

فى الواقع، بعد فترة طويلة من العمل هنا لم ير فيها أحد الأستاذ (محمود) صباحا أبدا، كان من الطبيعى ان يحضر بعضهم للعمل فى الحادية عشر أو أكثر أحيانا دون مساءلة حقيقية..

لم يتوقع أحد أبدا هذا الهجوم الصباحى..

فى هذا اليوم اتخذ إجراءات متعددة ضد المخالفين..

ولأول مرة بدأ الخوف منه يدب فى قلوب العاملين..

فى هذا اليوم أيضا قضى نهارا نشطا مليئا بالعمل، أنجز فيه أكثر بكثير مما كان ينجزه سابقا..

كان يشعر بالحيوية والتعجب معا.. فعلى الرغم من أنه لم ينل قسطا كافيا من النوم إلا أنه لم يتوقع ابدا أن البكور يمكن أن يتسبب فى كل هذا الفارق فى العمل.. يبدو أن كلام هذا الرجل الثرثار على قدر من الصواب!

وفى حوالى الساعة الثانية ظهرا جاء (ثروت)..

جلسا معا فى حجرة خاصة للاستجمام والراحة، أسسها (محمود) ليسترخى فيها فى أيام ضغط العمل.. ولسبب ما لم يطق (ثروت) البقاء فيها، على الرغم من أن (محمود) جعل منها واحة حقيقية للراحة بما تحوى من ألوان خلابة بدرجات الأزرق والأبيض، ونباتات الظل الموزعة بعناية على الأركان، وتلك المقاعد الوثيرة والتى كلفته وحدها مبلغا باهظا.. فطلب منه أن يخرجا للغداء خارج الشركة فى أحد المطاعم القريبة.. كى يستمتعا بالهواء الطلق على الأقل!

وبينما هما يتناولان طعامهما، سأله (ثروت) عن اليوم الأول من تجربته.. أجابه (محمود) فى بطء:

- إننى لا أستطيع الحكم الآن.. إنها حياة لم أعتدها على الإطلاق.. حياة تبدو شاقة نوعا، ومع ذلك فلها حسناتها بالتأكيد.. خذ مثلا: جارى الحاج (حسن).. رجل طيب جدا، لكنه يتصورنى زوجا لابنته بشكل ما.. هو شخص لطيف جدا ومجامل لأقصى درجة، لكنه ينسى نفسه حتى يصبح وجوده حملا ثقيلا يجثم على النفس، فلا تعرف كيف تتخلص منه.. وهو خدوم بمبالغة شديدة.. حتى أنى اليوم وأنا نازل للعمل صباحا كنت أشعر كمن يتنسم رياح الحرية.. تصور أنه أيقظنى اليوم، وأعد لى الإفطار؟

ضحك (ثروت)، وقال له:

- حسنا.. ربما لو استمر الحال هكذا فسيمكنك الاستغناء عن

الزوجة وتقنع بالحياة مع الحاج (حسن)؟

ضحك (محمود) هو الآخر وهو يهز رأسه عجبا من هذا الرجل..

أكمل (ثروت) حديثه قائلا:

- هذه طباع أهل المناطق الشعبية يا صديقى.. ربما أنت لم تعتد فقط التعامل معهم..

تنهد (محمود) فى عمق وقال:

- عندك حق.. أنا لا ادرى شيئا بالفعل عن هذه الطباع.. ولا أحسبنى سأعتادها أبدا.. عموما سأصبر عدة أيام ولنر ماذا سوف يحدث!

* * * * * *

مرت الايام على (محمود) فى هذا الحى الشعبى بسرعة..

والمجتمع البسيط من حوله استوعب وجوده سريعا..

أما هو فكان مذهولا من نفسه..

رأى نفسه يسلم على أشخاص لا يعرف أسماءهم، ولا يكاد يتعرف على وجوههم..

فقط إذا رآهم تذكر عنهم اشياءا وسلم عليهم، وربما وقف يثرثر معهم لثوان ثم يرحل.. لا يعرف عن الغالبية شيئا، ربما بعض الذكريات الضبابية فقط.. فإذا ابتعدوا نسى عنهم كل شىء!

بدأ يندمج فى هذا المجتمع بيسر شديد لم يكن يتوقعه، وبدأ يتقبل أشياءا لم يكن يتصور نفسه قابلا لها بأى شكل من الاشكال..

حتى الحاج (حسن) بدأ يعتاد وجوده ويألفه..

فلم تكد تمر عدة أيام، إلا وكان جالسا معه فى المقهى مساءا يرشفان الشاى، ويمتصان أدخنة النارجيلة..

يلعبان دومينو أحيانا، والطاولة أحيانا أخرى..

العجيب أن حياته كلها تحسنت لاحقا..

عمله أصبح اكثر انضباطا، وبدأ يشعر بمتع كثيرة فى حياته لم يكن يشعر بها من قبل..

كثيرا ما ضحك من قلبه حتى أصابه الفواق..

وكثيرا ما كان ينام تعبا فيستسقظ ليلا على صوت جرس بائع البليلة، فينهض مسرعا لينال طبقا وعليه قطعة كنافة..

أصبح سعيدا، ولكنها سعادة المغامرة التى سوف تنتهى إن آجلا أو عاجلا!

ففى وسط كل هذا كان لا يزال يتمنى أن يعود لحياته القديمة..

كأنه يشاهد فيلما فى السينما ما يلبث أن ينتهى ويعود لمنزله..

أما الحاج (حسن) فيبدو أنه فقد الأمل فى أن يزوجه ابنته، فلم يعد يلح عليه فى الكلام عنها، وهى لم تعد تدخل عليه بالشاى، خاصة وأن ابن عمها هذا قد تقدم بالفعل لطلب يدها! يبدو أنه كان صادقا رغم كل شىء!

وسره أنه لم يعد يفكر فى (هدى).. يبدو أن فراغ قلبه بالفعل كان يستدعى الذكريات القديمة.. وانشغل قلبه بجارته ذات القوام

المذهل والرائحة العطرية المذهلة!

كان يراها فى لمحات سريعة كل يوم تقريبا..

وأحيانا يراها أكثر من مرة فى اليوم الواحد..

كانت فتاة هادئة جميلة ذلك الجمال الجذاب الذى لا تمل أبدا من النظر إليه، ربما كانت فى أواخر العشرينات من عمرها تقريبا، قمحية البشرة تميل إلى البياض.. بشرتها جذابة للغاية.. صافية جدا..

متوسطة الطول، ذات فم ممتلىء قليلا وأنف دقيق وعينين واسعتين..

عيناها بالذات كانتا غريبتين جدا..

لم تكونا جميلتين على قدر ما كانتا آسرتين..

إذ أنها مجرد ما تنظر نحوه لا يكاد يهرب من نظرتها هذه!

ولم تكن محجبة، إنما يكلل رأسها شعر غزير جدا وكثيف ورائع.. دائما ما تعقصه خلفها فى عذوبة..

ودون سبب حقيقى، كان قلبه يخفق بشدة كلما رآها..

ذات مرة عبرت جواره فى الشارع، فاضطرب جسده كله مع استنشاقه لعطرها الرقيق..

كان يقول لنفسه:

- إنها هى.. إنها هى! لن تكون هناك غيرها!

بدأ يتحرى عنها بعض المقربين فى الشارع..

لكن المعلومات الحقيقية لم تأته إلا عن طريق (ثروت) نفسه!

علم أنها تعيش بمفردها تماما فى شقة صغيرة بعد وفاة والدها منذ سنوات قليلة، وأنها كانت تعمل فى صيدلية قريبة..

شىء رائع أن تكون بائعة فى صيدلية، لأنه كثيرا ما كان يتحجج بشراء أى دواء ليراها..

ليؤسر قليلا بعينيها ويستنشق عطرها..

ليلمس أناملها بأنامله وهى تناوله الدواء وباقى النقود..

ليتأمل ابتسامتها الهادئة وتعاملها الراقى مع الزبائن..

يتأمل وجنتيها الصافيتين المخضبتان بحمرة خفيفة..

يتأمل غمازتيها اللتان تكسبانها وجها طفوليا محببا..

وقد حاول الكثير من شباب الحى التعرف عليها والتودد لها، لكنها دوما كانت تصدهم فى أدب وحزم فيبتعدون دون كلمة!

تقدم لها العديدون كما عرف لكنها لم تكن ترغب فى الزواج من شخص أقل منها ثقافة وتعليما..

كانت دقيقة جدا فى مواعيدها..

تخرج من منزلها فى السابعة صباحا، وتعود فى الخامسة عصرا..

لا تشترى شيئا إلا من المحلات القريبة.. تصعد لمنزلها بعد عملها ولا تهبط إلا فى صباح اليوم التالى.. حسنا، الوضع الآن أنه غارق تماما بحبها ولا يرى غيرها تصلح كى تكون له!

ربما هناك شىء ما غير منطقى هنا، لكن هذا ماحدث!

كثيرا ما حاول أن يلفت نظرها، لكنه لم يفلح قط..

كان يشعر أنه غير موجود على الإطلاق بالنسبة لها، ربما هى لا تراه ولا تسمعه، ولا تعرف بوجوده أصلا!

أصبح (محمود) يستيقظ فى السادسة والنصف صباحا ليراها وهى خارجة من منزلها تتهادى ذاهبة إلى الصيدلية..

ويعود فى الرابعة ليختلس النظر إليها وهى عائدة لمنزلها..

عرف ان اسمها (فريدة)..

مع مرور الوقت، كانت الرغبة فى التعرف على هذه الفتاة مشتعلة فى أعماقه، ويرغب فى رؤيتها ومجالستها، لكنه لم يكن يدرى كيف يمكن ان يفعل ذلك..

سأل (ثروت) عن الحل.. ماذا يفعل؟

قال له أن يأخذ الحذر لأنها تبدو فتاة ذات شخصية قوية ولن تقبل الحديث معه بسهولة!

يبدو أن الأمور تعقدت أكثر.. لكن لابد له من حل! هل يكلم الحاج (حسن)؟ إنه يستحى أن يحدثه فى ذلك، خاصة بعد موقفه من ابنته..

أخيرا سأله (ثروت) باهتمام:

- هل تحبها؟

أجابه (محمود) بابتسامة مضطربة:

- أعتقد ذلك.. المشاعر التى أشعر بها معها لم أشعر بها من قبل

أبدا.. ولكن.. أنا لا أعرف كيف يمكننى أن أخاطبها.. إننى ببساطة غير موجود بالنسبة إليها.. أخاف أن اتحدث معها فترفضنى..

هز (ثروت) رأسه فى تفهم، ثم مال نحوه قائلا:

- قل لى بصراحة شديدة.. هل ترغب فى الزواج منها؟

تردد (محمود) قليلا، ثم أجابه:

- لا أعرف.. ربما.. لكنى أريد أن أجلس معها أولا.. أريد أن أسمعها.. أتعرف على أحاسيسها ومشاعرها وأسمعها وهى تتحدث!

لوح (ثروت) بيده متسائلا:

- إذن، لماذا لا تكلم الحاج (حسن) فى هذا الموضوع؟

اندهش (محمود) من تساؤل صديقه.. كان يعتقد أنه تلقائيا يجب انه يعرف أنه يستحى أن يحدثه..

أكمل (ثروت) حديثه بحماس:

- اذهب وكلم الحاج (حسن) صراحة.. قل له أنك تود الزواج من هذه الفتاة، لكنك تريد الجلوس معها مرة أو مرتين قبل أن تحزم رأيك.. ودعه يتصرف..

فكر (محمود) فى كلام صديقه مليا.. بالفعل يبدو أنه لا مفر أمامه من الحديث مع الحاج..

بالفعل غالب حياءه، وعمل بمشورة صديقه، وذهب للحديث مع الرجل..

كان يتلعثم وهو يتحدث معه.. ولكنه دهش حينما رأى ترحيبه للأمر..

لم يكن يتوقع ذلك..

كان يتوقع تجهما على الأقل أو تكشيرة سخيفة، لكنه وجده يقول له بكل بشاشة:

- طبعا طبعا يا بنى.. سأساعدك.. هى زين ما اخترت.. ربنا يكتب لك الخير معها إن شاء الله.. لكن قبل ذلك عليك أن تعدنى ألا تقابل الفتاة مطلقا فى غير وجودى أو وجود أحد من عائلتى.. وثانيا إن لم تتم الزيجة أو رفضتك – سامحنى – فعليك أن تنسى الأمر تماما.. ها.. ما رأيك؟

لم يكن أمام (محمود) خيارات كثيرة! وافق على شروطه ووعده أن يفعل ما طلب منه..

بعد يومين تقريبا، جاء الحاج (حسن) ليلا وجلس مع (محمود) فى شقته.. ثم قال له بابتسامة:

- (محمود).. أنت مدعو على الغداء عندى يوم الجمعة القادم.. اتفقنا؟

تعجب (محمود) من دعوته.. فعلى الرغم من كرمه، فهو لم يدعه قط للغداء منذ مجيئه.. ظهرت على وجهه علامات الدهشة ولم يعقب.. فأكمل الحاج (حسن) فى خبث طفولى محبب:

- و (فريدة) ستكون موجودة ايضا..

اتسعت عينا (محمود) من كم المشاعر المتضاربة فى أعماقه فى هذه اللحظة..

فرح وخوف واضطراب وسعادة..

تمالك نفسه وسأله:

- هل.. أخبرتها أنى سأكون موجودا؟

هز الحاج (حسن) رأسه موافقا وقال له:

- طبعا.. إن زوجتى هى التى أخبرتها.. وقد ترددت الفتاة، لكنها فى النهاية قبلت بعد أن قامت زوجتى بإقناعها..

كان بينه وبين يوم الجمعة يومان كاملان! الحقيقة أنه بذل جهدا كبيرا ليبتعد عن النافذة؛ ومع ذلك كان يضبط نفسه يختلس النظرات من وقت لآخر.. وطبعا كما لك أن تتوقع مر اليومان بطيئان مملان لايريدان الانقضاء، حتى جاء يوم الجمعة أخيرا!

فى موعده المحدد ارتدى زيا بسيطا يبرز وسامته، وحمل طبقا من الحلوى، ثم طرق باب بيت جارهم..

رحب به الحاج (حسن) وتناول منه طبق الحلوى وهو يخبره أن لا داعى لهذه التكلفة وهو يزن الطبق بعينيه قبل يديه، ودعاه للدخول..

ما أن دلف للمنزل حتى وجدها جالسة مع ابنة الحاج (حسن) فى حجرة الاستقبال.. رفعت نظرها له فشعر بقلبه ينبض بقوة عندما قدمهما الحاج (حسن) لبعضهما البعض.. مد (محمود) يده ليسلم عليها، فاستنشق عطرها المبهر.. فعليا شعر كأنما يطير فى عوالم خفية غير موجودة إلا فى الأساطير.. تحول الكون حوله لقلوب وردية وموسيقى هادئة تسبح فى العطر الرائع! هنا أدرك أنه وقع فى

أسرها ولا فكاك! ياللعطر اللعين!

مع مصافحته لها شعر بيدها تذوب فى يده وكأن يدها تسلم على قلبه مباشرة..

كانت ترتدى ثوبا بسيطا جدا لا تبرج أو مبالغة فيه، ومع ذلك كانت تبدو فاتنة..

لاحظ أن وجهها يكاد يخلو من مساحيق التجميل وجمالها الطبيعى يفتن القلب ويثير شتى أحاسيس الرومانسية فى قلبه!

جلس (محمود) على المقعد المجاور لها بينما اعتذرت (سميرة) لتقوم وتساعد والدتها فى المطبخ، بينما بدأ الحاج (حسن) فى الحديث والثرثرة!

طبعا لم يفقه (محمود) من ثرثرته حرفا وهو يختلس نظرات للفتاة بين الحين والآخر..

ياله من وجه جميل وبرىء..

وجه طاهر يذكره بوجوه الأطفال الساذجة..

أما عيناها..

جميلتان طبعا، لكنهما تحملان تجربة سنين من الشقاء.. كأنك تنظر لبئر عميقة تغور بالماء فلا تملك لنفسك الفكاك!

تحملان حكمة خفية مع شىء آخر لا يمكن فهمه.. عينان مخيفتان لو تفهم ما أقصد!

كما قلنا لم يكن يدرى ما الذى يقوله الحاج (حسن)، حتى دلفت

(سميرة) تناديه بحجة لم ينتبه إليها (محمود) ليتركه مع (فريدة) وحدهما!

كان يشعر بالاضطراب يغزو جسده وعقله..

وهى كانت تحدق فى الأرض ووجنتاها حمراوين تماما..

تنحنح قليلا، ثم سألها عن اسمها..

رفعت عينيها إليه فى دهشة، ثم ابتسمت قائلة فى صوت رقيق يحمل لكنة عجيبة:

- لا تعرف اسمى؟

ضحك فى ارتباك.. لم يكن يدرى ماذا يفعل فى هذا الموقف!

أخبرها فى خجل أنه أول مرة يتعرض لهذا الموقف، ولا يدرى بالضبط ماذا يقال أو ما الذى ينبغى عليه أن يفعله..

ابتسمت الفتاة مرة اخرى فى حياء ونظرت للأرض برهة ثم رفعت عينيها الجميلتين إليه، وقالت:

- أنا اسمى (فريدة).. وأنا أعمل بائعة فى صيدلية.. لم أدرس صيدلة، ولكن صاحب الصيدلية كان صديقا لوالدى رحمه الله.. أعيش وحدى حاليا وهذا كل شىء عنى..

لكنتها عجيبة للغاية.. جذابة وكأنها أوروبية أو.. لايعرف! حروفها رقيقة بشكل عجيب، لذلك استمع لها باهتمام ثم بدأ هو الآخر يحدثها عن نفسه..

موظف فى شركة خاصة، لديه هذه الشقة، وهو الآخر وحيد فى

الحياة بدون أهل تقريبا..

كانت عينا الفتاة تشعان جمالا وحياءا.. استمعت إليه دون تعقيب تقريبا سوى همهمات تدل على المتابعة لا أكثر..

ظلا يتحدثان طوال ربع ساعة تقريبا، قبل أن يعود الحاج (حسن) ليعلن أن الطعام أصبح جاهزا الآن..

مر الوقت معها سريعا جدا.. استمتع بكل لحظة حديث مع هذه الفتاة، وشعر بالضيق من دخول الحاج (حسن) ليقطع حديثهما.. لكنهما نهضا ليتناولا الطعام مع الأسرة..

كانت حيية للغاية وهى تتناول طعامها فى رقى ورقة..

وكان (محمود) قد استقر تماما..

انها هى..

هذه هى التى أريدها..

هذه الفتاة تصلح تماما لى..

وكان يشعر فى قرارة نفسه أنها تميل إليه.. لكنه ظل متخوفا..

لو كان إحساسه صادقا، فلا مجال هنا للتراجع..

عندما انتهى اليوم شعر بسعادة بالغة وأن كيوبيد ألقى بدستة أسهم فى قلبه!

إنها هى الفتاة المناسبة.. هى التى تصلح ولا سواها.. وهذا هو الكلام الذى أخبر به الحاج حسن فى شوق كشوق الأطفال للحلوى بعد طول انتظار!

هز الحاج (حسن) رأسه موافقا مسرورا، وطلب منه أن ينتظر فى شقته قليلا..

دلف (محمود) إلى الشرفة، ولمح الحاج (حسن) يخرج من باب العمارة متوجها ناحية عمارة (فريدة)، وهو يتأبط ذراع ابنته..

وظل هناك حوالى ساعة أو يزيد كان (محمود) فيها يتحرق شوقا لمعرفة رأيها.. وفى سره كان يلعن ثرثرة هذا الرجل.. لابد أن لسانه لم يتوقف لحظة عن الكلام منذ أن دخل لها! سؤال بسيط وله جواب وانتهينا.. ما كل هذا الوقت؟

أخيرا لمحه خارجا من عمارتها ووجهه لا يدل على أى شىء..

ترى هل رفضته؟

هل قبلته؟

هل طلبت منه مهلة؟

وكأنما يقف على نيران مستعرة ظل واقفا على الباب فى انتظار الرجل الذى كان يصعد بسرعة السلحفاة.. لماذا لا يتعجل قليلا؟

عندما وصل أخيرا سأله (محمود) بلهفة عن قرارها..

ابتسم الحاج (حسن) لاهثا وقال:

- يا أخى انتظر حتى ألتقط أنفاسى أولا..

عندما رأى علامات الترقب على وجهه، أخذ نفسا عميقا، ثم قال:

- إنها تقبل!

صمت (محمود) للحظة يستوعب ما قاله الحاج (حسن)، ثم تهللت أساريره بغتة، وانقض على الحاج (حسن) يغمره بالأحضان والقبلات..

ضحك الحاج (حسن)، بينما أطلقت ابنته زغرودة عالية، وشاركتها أمها وأصبح صوت الجميع عاليا للغاية، وسرعان ما امتلأ المكان بالفضوليين المباركين عند (محمود) وعند (فريدة)..

(محمود) سيتزوج (فريدة)!

وهل هناك خبر أجمل من هذا الخبر؟

أخبره الحاج (حسن) ألا يقلق من ناحية التجهيزات، وأنه سيحمل هم كل شيء خاص بالزفاف والمأذون والاتفاقات.. ثم سأله:

- إن منزلك معد تماما.. لا ينقصك شيء على ما أعتقد، فلماذا لا تتعجل الزواج فيه؟

وافقه (محمود) على ذلك على أن ترى الفتاة الشقة أولا، ولو أعجبتها فسيتمون الزفاف سريعا..

* * * * * *

فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى فوجىء (محمود) بالحاج (حسن) يطرق بابه مبكرا، عندما فتح الباب منكوش الشعر والثياب، أخبره الحاج (محمود) بالاستعداد لأن هناك ضيف على وشك القدوم..

- ضيف؟ من هذا الضيف؟

- (فريدة) يا أخى.. (فريدة)!

ملأ الذعر قلب (محمود) وهو يستوعب الأمر، ثم انطلق يعدو يلملم ثيابه المبعثرة وبقايا طعامه وسجائره ومشروباته! اللعنة! إن شقته تبدو كحظيرة أغنام أو ما هو أسوأ! لا تنس أنه يعيش فيها وحده منذ أن جاء إلى هنا، ومن وقتها وهى تحت رحمة نظافته الشخصية التى لم تمسها على الإطلاق!

كان الحاج (حسن) قد صمم أن ترى الشقة مبكرا حتى تكون الشقة على طبيعتها، وتعرف طبيعة زوجها..لذلك وقف ينتظرها قبل أن تذهب لعملها، وصعد بها لترى الشقة بصحبة ابنته (سميرة)..

همس (محمود) لنفسه ان هذا الرجل مجنون حتما..

هكذا نجد (محمود) واقفا بالمنامة أمام الفتاة التى تقدم إليها بالأمس فقط، مبلل بالعرق زرى الهيئة.. عندما رأته ضحكت ولم تتمالك نفسها.. روحها حلوة! كيف يمكنها أن تقبل بالزواج من رجل يملك هذه الهيئة ورائحة شقته تبدو كرائحة الجوارب؟

أخذت الفتاة جولة وهى تختلس النظر لـ (محمود) بين الحين ولآخر وتضحك وخلفها (سميرة) تكتم ضحكاتها بالكاد..

ولم تعترض على شىء في الشقة، بل أبدت إعجابها بها تماما..

ثم وافقت على التعجيل بالزفاف! فقط تريد وقتا لتجهيز ملابسها..

هنا انبرى الحاج (حسن) صائحا:

- ملابس؟ أنت عروسة يا بنيتى.. خذى مهرك واشترى به كله ملابسا جديدة.. أليس كذلك يا (محمود)؟

ارتبك (محمود) للحظة، ثم أومأ برأسه موافقا على اقتراح الحاج..

سألها الرجل العجوز باهتمام خبيث:

- وماذا ستفعلين فى شقتك يا بنيتى؟

دارت عيناها فى حيرة وقالت:

- لست أدرى يا حاج.. لم أفكر فى ذلك مطلقا..

ربت على كتفها وقال:

- إذن.. سوف نأخذها نحن منك لأختك (سميرة)..

لم تكن الفتاة تملك الاعتراض.. حياءا على الأقل!

انتهى اليوم على هذا الاتفاق، ومضى الأسبوع بسرعة غريبة.. كان (محمود) يشعر بالدهشة وكأنه فى حلم..

إنه يستعد للزواج!!

هو.. يستعد للزواج..

وما اكثر الأسرار التى يداريها عن كل من حوله..

كان صديقه (ثروت) يشجعه ويبارك خطواته من بعيد، ويرشده إلى بعض المعاملات الضرورية..

ولكن..

نعم! ليست الحياة وردية، وليست هذه قصة رومانسية لتدور فيها الأحداث بهذه الطريقة المملة!

* * * * * *

بعد أسبوع:

(محمود) و (فريدة) فى منزل الحاج (حسن) يعقدان قرانهما وسط الزغاريد والشربات وقطع الجاتوه سيئة المذاق!

كان المنزل مزدحما بأناس كثيرين لا يعرفهم لكنه كان فى قمة سعادته يومها..

رقص مع عروسته على أنغام الاغانى الشعبية، وحمله الرجال والفتيان فى الحارة وقذفوا به لأعلى.. عدة مرات..

كانت سهرة غريبة وممتعة إلى أقصى درجة..

فعل مالم يمكن أن يتصور حدوثه فى حياته..

رقص وضحك وشرب أشياءا مجهولة..

كان سعيدا..

ثم انتقل مع عروسه فرحا ومنتشيا إلى شقته وامتلأت حياته فرحا بعد ذلك!

كانت زوجته مثالية تماما..

مثالية كما ينبغى أن تكون الزوجة..

رقيقة..

جميلة..

لطيفة المعشر..

خفيفة الظل..

وسيدة منزل لا يشق لها غبار..

وعندما أخبرها فى رغبته ألا تذهب للصيدلية مرة أخرى، لم تتردد.. اتصلت على الفور بصاحب العمل تبلغه اعتذارها عن العمل لديه، واستقرت معه فى المنزل..

كان يراها أمامه ويتعجب.. يقول لنفسه ماذا فعلت حتى استحق ملاكا رقيقا مثل هذه الفتاة؟

أحالت منزله المتواضع إلى جنة حقيقية ذاق فيها من النعيم مالم يذقه طوال عمره.. ومالم يحلم به قط..

مازال هناك شىء غريب وغير مريح فى هذا كله!

استقر (محمود) فى هذه الحياة، وإن كان يشغل باله كيف سينقل لها الخبر أنه ليس كما يبدو..

أنه مليونير!

عندما استشار (ثروت) فى ذلك، نصحه أن يتريث قليلا..

هناك طباع وأخلاق لاتظهر إلا بعد فترة من الزواج، فمن الأفضل أن يتريث حتى يتأكد من طبيعتها الجميلة، ثم يحمل لها الأخبار السارة لاحقا..

والحقيقة، كان (محمود) يميل لهذا الرأى، ولكن لسبب آخر..

أنه كان يستشعر تغييرا عجيبا فى نفسه..

لقد اعتاد ذلك المكان والحياة فيه..

صخب الشارع والروائح المتباينة وروث البهائم والبخور والمأكولات المختلفة..

إفطار الجمعة الشعبى، والجلسات الحميمة على المقهى..

كانت الحياة تنبض بقوة الآن فى عروقه فى قلب هذا المكان..

كيف يمكن العودة للهدوء القاتل على ضفاف النيل؟

حتى علاقته بالحاج (حسن) تغيرت تماما..

فبدلا من أن يجلب له الشاى، أو يستضيفه على الطعام، أصبح الحاج (حسن) يطلب هو وعائلته شيئا أو أشياءا كل يوم..

اعتاد أن ينهض ليفتح الباب ليجد فردا من العائلة يسأل:

- هل لديكم بعض السكر؟

- إننا ينقصنا القليل من الزيت، فهل...؟

- هل لديكم بعض الكمون؟ والملح أيضا.. لقد نفد من عندنا فجأة و...

- إن عندنا ضيوفا.. حبذا لو أعطيتمونا بعض الماء المثلج..

كانت الطلبات لاتنتهى، حتى أن من يسمعهم يظن أن هؤلاء القوم منزلهم خاو تماما.. ليس به طعام أو شراب او حتى أدوات منزلية!

ومع ذلك فلم يتضايق (محمود) أو (فريدة) قط..

كانا يحبان هذا الرجل من قلبيهما حقا..

ويحبان زوجته وابنتهما أيضا..

العائلة كلها طيبة وتستحق الخير..

ولم ينس (محمود) مطلقا أنهم كانوا السبب فى الجمع بينه وبين زوجته..

(فريدة)..

وكان الوحيد من أصدقاء (محمود) الذى يعلم بزواجه هو (ثروت).. وبالطبع لم يكن على علاقة بـ(محمود) غير (ثروت)..

كان يتردد عليهما بين الحين والآخر يدعوهما للعشاء.. ربما سهرة فى السينما.. أو يدعوه (محمود) لتذوق طعام زوجته الرائع..

وإذا كان الطريق لقلب الرجل يمر عبر بطنه، فقد سلكت (فريدة) هذا الطريق بنجاح تام..

الحياة الآن لا يمكن أن تكون أجمل مما هى عليه..

ثم..

هل تعتقد أن الأمور ستظل هادئة كما تبدو؟

هل تعتقد أن هذه حكاية رومانسية أخرى؟ إذن ماذا تفعل هذه الحكاية هنا؟

بقليل من الحنكة يمكنك إدراك حجم المؤامرة الرهيبة التى تحاك هنا.. يمكنك أن تشم الخبث والشر بين ثنايا السطور، ويمكنك أن تشعر بالقشعريرة تزحف على عمودك الفقرى من فرط الهول القادم!

مرة أخرى أقول: هل ظننت أنها حكاية رومانسية؟

أنت مخطىء يا صديقى.. تابع معى الأحداث القادمة، ولنر ما سوف يكون!

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

فى يوم شتاء شديد البرودة، كان الناس فيه محتشدون فى المقاهى لمتابعة مباراة ما.. فضل (محمود) ان يظل جوار زوجته حبيبته اليوم ويستمعان إلى موسيقى قديمة نوعا.. ربما حفلة من حفلات أم كثوم..

فى هذه الليلة كان يفكر فى إخبارها الحقيقة، لكن اتصل به (ثروت) وأخبره أنه فى الطريق..

شعر (محمود) بالضيق فى هذه الليلة بالذات! تمنى أن يعترض على قدومه، لكنه لم يعترض..لايمكنه أن يرد صديقه، لذلك وافق على مضض!

جاء بالفعل بعد عشر دقائق، وكانت (فريدة) قد أعدت عشاءا دسما تفننت هذه المرة حقا فى صناعته وتقديمه، حتى أن الرجلين قد أتخما تماما..

بعد الطعام انتقلا إلى حجرة الاستقبال وجلسا يتجاذبان اطراف الحديث، بينما ذهبت (فريدة) تعد لهما الشاى.. بعد عدة دقائق عادت بصينية الشاى يفوح منها رائحة النعناع الطازج..

كان (محمود) يشعر ببرودة شديدة، وعندما وضعت (فريدة) الصينية أمامهما استدارت خارجة بدلال من المكان.. ربما لتذهب للمطبخ لتكمل شيئا ما هناك! لكن (محمود) ناداها بصوت يتقاطر منه الحب يطلب منها أن تشعل له المدفأة الكهربائية القريبة.. استدارت بابتسامة لم يفهم معناها جيدا، تحمل شيئا من الخبث، ثم

ردت عليه بدلال قائلة:

- حاضر يا حبيبى.. سأفتحها وأغلق عليكما الباب حتى إذا ما أدفئت الحجرة، فتحته ودفأنا باقى الشقة..أحبك..

وقالتها ألقت له قبلة خفية فى الهواء وهى تنظر له ولصديقه بنظرة عجيبة لا يمكن الارتياح لها قط!

لماذا يشعر بكل هذا الخوف؟

بالفعل خرجت (فريدة) وأغلقت الباب وراءها، و (محمود) يتابع خطواتها بهيام مختلط بقلق، ثم عاد لصديقه يتسامران ويتناقشان حول الحياة التى يعيشها (محمود) الآن.. كان (محمود) يرى أن الوقت قد حان كى يبلغها بثرائه.. يريد أن يسعد قلبها كما أسعدت قلبه، بينما كان (ثروت) يرى أنه لا بأس من التريث قليلا.. كان يبدو على (محمود) بعض علامات الألم أو الدوار، قال:

- يبدو أنى أكلت أكثر من اللازم.. أشعر بالدوار والحرارة ولا أستطيع التنفس بشكل سليم.. أتراها المدفأة هى السبب؟

رفع (ثروت) عينيه إليه متفحصا.. بالفعل (محمود) يبدو شاحبا جدا وتبدو على وجهه آثار الإعياء وعيناه بدأتا تزوغان والعرق يتقاطر على جبينه رغم البرد..

ابتسم (ثروت) ابتسامة غريبة.. كان هو نفسه يشعر بالحرارة نوعا، لكنه قال لصديقه:

- فعلا.. أنت أكلت كثيرا جدا اليوم..

تراجع (محمود) فى مقعده وهو يشهق قائلا لصديقه:

- هلا فتحت باب الحجرة؟ أنا أشعر بغثيان.. لا.. أستطيع التنفس..

ربما.. لو شربت دواءا مهضما..

ضحك (ثروت) وقال:

- دواء؟ لا ياصديقى.. لن تأخذ دواءا.. دع الطبيعة تأخذ مجراها!

بدأت أنفاس (محمود) تتردد بصورة سريعة كأنه يلهث وحاول النهوض من على مقعده، لكنه مالبث أن تهالك عليه.. كانت قواه تخور بسرعة عجيبة!

الأغرب أن.. كان (ثروت) يراقبه دون تدخل، بل كان يبدو عليه الترقب نوعا!

قال له (محمود) بصوت ضعيف:

- (ثروت).. أرجوك افتح الباب أو النافذة.. واستدع (فريدة).. هناك رائحة غاز أيضا..

هنا هبطت المفاجأة على رأسه فى رد (ثروت) بصوت قاس.. صوت لم يسمعه (محمود) من قبل:

- ولو استدعيتها فلن تحضر..

بالرغم مما ألم بـ (محمود)، إلا أنه اعتدل فى جلسته ونظر لصديقه وقال:

- ماذا تعنى؟

ضحك (ثروت) وقال:

- أعنى.. أنها وضعت لك سما بطيئا يسمح بشفاء غليلى قبل أن تموت.. وضعته فى الطعام.. فلماذا ستأتى؟

انهار (محمود) على المقعد متهالكا مرة أخرى وقال لصديقه:

- أنت تمزح.. من فضلك استدعها ليس هذا وقت المزاح..

جاءه صوت (ثروت) باردا كالثلج.. قاسيا كخنجر يذبح ضحيته:

- أنا لا أمزح.. وأنت سوف تموت.. لقد وضعت لك السم فى طعامك بناءا على تعليماتى وإرشاداتى.. من حقك أن تعلم ذلك يا..

يا صديقى..

يا أخى!

كانت لهجته كلها قسوة..

وحقد..

ووحشية..

جاهد (محمود) نفسه وهو يتساءل فى ذهول بصوت متقطع:

- أخوك؟ ماذا تقصد بالضبط؟ لماذا تفعل ذلك؟ ماذا فعلت كى أموت؟

ضحك (ثروت) بصوت عال.. كانت ضحكة عصبية أفرغ فيها توتره من الموقف.. وسعل.. كان يشعر أن صدره ثقيل هو الآخر.. لم يعر لذلك اهتماما.. ثم قال ببطء:

- استمع.. منذ كثير جدا وأنا أتمنى الجلوس أمامك وأنت تموت..

هذه أفضل لحظة فى حياتى لو تعلم!

أنا أخوك.. أخوك من أمك التى تركتها ولم تهتم بها لحظة ولم تسأل عنها ولم تكن لها سوى الكراهية.. تركتها تتعفن معى فى قلب مستنقع لا فكاك منه بينما تستمتع أنت مع أبيك بكل هذا الخير الذى لا نهاية له!

ألم يكن من حقها أن تستمتع بحياتها؟ أم تظل طوال الوقت مع البخيل الذى لا يملك لها من السعادة شيئًا ! لقد هربت منه ومن بخله لتتزوج رجلا يستطيع الزواج، وحاولت أخذ حقها منه، لكنه فوجىء بأبى وصديقه!

لم يكونا يريدان شيئًا غير حقهم كى يعيشوا فقط! أبوك عامل أمى كعبدة، لكنه..

لكنه كاد أن يموت نتيجة خطأ.. الأحمق كاد يقتله، لكنه لم يمت! لو مات لما جئت أنت للدنيا من الأساس، ولكنت أنا مكانك!

ثم نفدت نقود أمى، وانتقلت من مكان لمكان.. بلا أهل، وبلا مال.. حتى أبى لم يكن على قدر المسئولية! فى النهاية كان لصا!

ومن بعيد أخذنا نراقبكم.. شأنكم يعلو وأموركم تتحسن، ونحن ننهار رويدا رويدا حتى نكاد أن نتسول، ولم يخطر ببالك على الإطلاق أن تسأل عن أمك!

هل تعلم أن أمى جاءت لأبيك تستجديه أن ترجع الأمور لنصابها.. أن يعودا كما كانا وينسيا الماضى ويفتحان معا صفحة جديدة وأنها

تعلمت الخطأ، لكنه ضربها وأهانها وأمر حراس شكرته أن يلقوها فى الشارع!

أمك..

رماها ابوك فى الشارع، ولم تتحمل الحياة هكذا.. اصابها مرض ما وماتت بلا رعاية ولا اهتمام.. ماتت تستجدى اللقمة، وأبى لم يكن موجودا وقتها كى يساعدها..

كنت أنا وحيدا بلا أهل، ولا أستطيع أن أكلمك.. أخى ولا أستطيع الاقتراب منك! انا أشحذ وأنت ترفل فى النعيم!

لكنى حاولت الاقتراب منك.. يعلم الله أنى حاولت، لكنك كنت كمن يغلق عليه بابا من حديد، ولا يستطيع أحد الاقتراب منك! كنت أعمل فى شركتك وأنت المدير!

لا بد أن أؤذيك..

كل يوم يمر أريد فيه أن تموت.. أن ترحل عن هذه الدنيا.. لم أعد أرغب فى أن تعرفنى.. أرغب فى أن تموت ويأتى دورى لأنعم بكل ما نعمت فيه أنت سنينا! هذا حقى!

لم أعرف ماذا أفعل، حتى اشار أبى على أن أذهب لـ(فريدة)!

(فريدة)..

تلك الفتاة التى تعرف كل شىء، وتفعل كل شىء.. وعدتنى أن تحقق كل آمالى بقليل من الدم..

(بالمناسبة، كان الساحر النصاب الذى حكينا قصته فى بداية

الرواية قريبا من أقارب ثروت.. لابد أن تعرف هذه النقطة لأنها نقطة محورية جوهرية!)

قالها وكشف عن ذراعه ليتبدى جرح قبيح المنظر فى يده، ثم استطرد بشىء من المشقة أمام عينى (محمود) الذاهلتين:

- (فريدة).. بالدم صارت منى وأنا منها.. صارت زوجتى!

أعتطتنى شيئا أعطيكه، وفجأة صرنا أصدقاءا أنا وأنت!

صرت لا تتحرك بدونى ولا تعمل إلا بمشورتى! لم يكن ذلك حبا فى، وإنما بسبب سحرها! كنت أقترب منك يوما بعد يوم، وأفعل ما تقوله هى لى، حتى اشارت لى بأن تقترب منى.. كانت ضعيفة كما أخبرتنى، ولابد أن تأخذ وقتها معى، ولابد أن تعيش جوارك!

كانت تضخ لك العطر ضخا فتذوب فى عشقها.. كانت تضع أشياءا فى شقتك، فتجن بها وترغب فيها.. كانت تسحر لك كما ينبغى أن يكون السحر!

كانت تريدك لها، ثم تتخلص منك بهدوء فيصير كل شىء ملكا لها، وملكا لى!

فهمت؟

كل ما أنت فيه من تخطيطها هى..

خططت لتتزوجك..

وخططت لتقتلك..

وخططت لترثك..

ثم نتمتع سويا أنا وهى بأموالك..

ومعنا أبى.. لم يكن يفهم ما يحدث لكنه يدير الأمور بحنكة بالغة.. أبى (عدلى) هو نفسه (الحاج حسن)!

كانت الكلمات تقع على نفس محمود كصواعق تخترق كيانه على الرغم من أنه بلا وعى تقريبا.. فى الواقع، لم يعد (محمود) يرى غير خيالات تتأرجح أمامه.. وكان صوت (ثروت) يأتيه من بعيد.. يتردد هو الآخر كأنه صدى داخل بئر..

فقط كان يئن ويتمتم بلا وعى حقيقى:

- لماذا؟.. لماذا؟

نظر له (ثروت) بغضب وهو يمسح عرقه المتفصد ثم صاح بصوت ضعيف:

- لأنى أدفع ثمن غلطة لا ذنب لى فيها.. لأنى أكرهك وأنت تحقق ما أرغب أنا فيه..لأنى أتمنى لك الموت كل يوم..

والآن أنا سعيد.. سعيد وأنا أراقب أنفاسك بانتظار أن تتوقف يا.. أخى..

تراجع (ثروت) فى مقعده يلتقط انفاسه وهو يتحدث، ومد يده يمسح عرقه الذى تساقط غزيرا على حاجبيه..

ثم همس وقد شعر بضيق فى أنفاسه:

- أتعلم.. إن الجو قد أصبح حارا بالفعل..

وقرن كلامه أن حاول النهوض ليفتح الباب، لكنه فوجىء بدوار عنيف يكتنفه، ولم تقو قدماه على حمله فسقط ارضا.. وبدأت

انفاسه تتلاحق بشدة هو الآخر..

حاول النهوض، فلم يستطع..

ورويدا رويدا بدأت الأمور تتضح فى ذهنه..

هذه اللعينة..

لا بد أنها وضعت له السم هو الآخر بتركيز أقل.. إنها تعرف الكثير فى تركيبات الأدوية.. إنها ساحرة!

ورائحة الغاز المتزايدة هذه..

إنها تريد التخلص منهما سويا.. إن لم يكن بالسم، فبالغاز!

وسيطرت على عقله فكرة واحدة..

لا بد أن يخرج من هنا..

لا بد أن يفتح الباب..

استنفر إرادته بقوة، وزحف على الأرض صوب الباب حتى وصل إليه..

تحامل على نفسه حتى وصل للمقبض.. وأداره..

ولم ينفتح!

بكل غضبه أطلق صرخة أخيرة..

- (فريدة)!

بدأ الذعر المتوحش يغزو عقله، وهو يدرك رويدا رويدا أنه يموت..

ثم تهاوى على الأرض يحملق فى السقف بانتظار فقدانه الوعى..

والحياة..

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊



الجزء الخامس

أصابك الدوار؟ لقد أصابنى الدوار من قبلك، فلتتماسك قليلا.. مازال القادم أعجب وأغرب وأشد..

ربما كانت كل هذه هلوسات مريضة، وربما كان كاذبا وهو يقص على هذه الأحداث! الحقيقة الواحدة التى أوقن بها الآن، أن هذا الرجل من المستحيل أن يخترع كل هذه الأحداث فى جلسة واحدة!

المهم، من فضلك اترك كل انطباع ممكن ولا تتعجل ولتتابع القادم..

كانت (فريدة) واقفة فى الخارج تتمتم بترانيم غامضة (كانت قد فتحت أنبوب الغاز جوار حجرتيهما ليتختنقا، وسدت حولها ببعض القماش، لكنه تسرب مع ذلك!)، بينما يتذبذب الضوء من خلفها، والضوء الأحمر القانى يغزو المكان، ويتجسد فى الركن شىء ما.. ظل أسود بلا ملامح محددة، وبلغة قديمة لم تعد تستخدم قالت:

- سيدى.. أحقق الانتقام أنا أقدم لك قربانين.. اقبلنى من جديد وهبنى القوة من.. أنا خادمتك المخلصة التى لن أكون سوى خادمتك للأبد.. اقبلنى عبدتك واقبلهم ضحايا لك..

ثم وضعت رأسها على الأرض بانتظار شىء ما! بينما تحرك الدخان الأسود الكثيف ليتجسد بشكل جزئى ويظهر خطم..

قدم..

جذع..

ثم يتجسد فى الصالة كاملا!

نفس الظل المخيف، لكن عينيه كانتا تشتعلان نارا من فرط الغضب وهو ينظر لها، وبصوت غاضب قادم من أعمق أعماق الجحيم قال:

- غير مقبولة!

رفعت عينيها المتسعتين فى هلع وهى تنظر له غير مصدقة،

وكادت أن تتوسل له فى رعب رهيب، لكن بإشارة من يده انبثقت شرارة صغيرة من بين أصابعه، انتشرت بسرعة رهيبة فى الهواء نتيجة الغاز الذى انتشر، وسمعت جرس الباب وهو يرن، والذى لابد أنه أحد الجيران الذى شم رائحة الغاز فجاء ليطمئن.. صرخت فى عنفت بينما يذوب الدخان الاسود فى الهواء والنيران تنتشر، قبل أن يدوى انفجار مروع هز العمارة كلها!

* * * * * *

- لا حول ولا قوة إلا بالله..

قالها الحاج (حسن) وهو يرمق الإسعاف الذى يحمل الثلاثة محفات تنقل الثلاثة إلى المستشفى القريب، ثم أكمل لمن حوله بعينين دامعتين:

- لا أعرف ماذا حدث، كنت أجلس فى هدوء، حين فوجئت بالانفجار العنيف يطيح بباب الشقة وأصابنى بالعديد من الجروح لأنى كنت أجلس قريبا منه فى الصالة! نهضت بسرعة لأرى النيران مشتعلة فى جميع أرجاء المنزل والكل فاقدين للوعى أو.. موتى ربما! أسرعت وأطفأت النيران على جسد (فريدة)، واتصلت زوجتى بالإسعاف فورا.. حركات بطئية أو تشنجات من (محمود) دلت على أنه حى يرزق، وكنت أدعو الله طوال الوقت! كانت النيران مشتعلة فى شعر (ثروت)، و(محمود) اخترق كتفه قطعة خشبية أسالت الدماء

منه بغزارة.. أطفأت رأسه وانتظرت.. يا الله.. شفاهم الله وعافاهم!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

فى المستشفى كان الوضع مزريا، لكن (محمود) لم يكن كأى شخص، لذلك تم نقله مع زوجته وصديقه فورا إلى مستشفى عالمى قريب من المكان، وبعد العديد من المحاولات استطاع الأطباء إنقاذ حياة الثلاثة.. المدهش أن (فريدة) كانت تتحسن بسرعة عجيبة، لكنها لم تخرج من المستشفى بناءا على أوامر زوجها الذى أمر بتقييدها فى السرير.. النقود تفعل الكثير لو لاحظت.. كما أن المحامى جعل عليها حماية وحراسة طوال الوقت!

استغرق شفاء (محمود) و(ثروت) ما يقارب العشرة أيام، وقتها قابل محاميه الخاص عدة مرات لترتيب العديد من التجهيزات.. كما حدث أن (ثروت) لم يكد يفيق من غيبوبته إلا ليعود لها من جديد، وفى الحقيقة كان هذا بأمر من (محمود) شخصيا! إلى أن سمح له الأطباء بالخروج وقتما شاء.. جاءت سيارة إسعاف خاصة ونقلت الثلاثة إلى منزل (محمود).. ليس طبعا المنزل الشعبى، ولا منزله على نهر النيل، وإنما الفيلا القديمة..

هكذا أراد.. وهذا ما حدث!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

أفاق (ثروت) ليجد أمامه (فريدة) جالسة على مقعد موثقة الأطراف كأوثق ما يكون، وهو جالس على مقعد موثق أيضا!

لم يفهم ما يحدث فى بداية الأمر لأن ذهنه كان مشوشا، لكن سرعان ما اتضحت له معالم المكان!

كان فى غرفة (محمود) الحمراء.. فى قلب الفيلا القديمة!

ملأ الذعر قلبه، خاصة عندما رأى (محمود) قادما يفتح الباب، كان متجهم الوجه وتبدو على وجهه ملامح الشر!

شعر بالذعر ينفجر فى شرايينه، والخوف يدب فى قلبه دبيبا.. لن يأتى خير الآن حتما!

ببطء تمتم (محمود):

- أخى.. تحاول قتلى! وأنت تدفعينه لقتلى! من أنت على أية حال؟

ابتسمت الفتاة فى كبرياء مرير، ورفعت رأسها فى شموخ قبل أن تقول:

- موتا أموت.. لا بأس، فى كل الحالات أنا هالكة.. أنت لن تعرف أبدا، وإن عرفت فلن تصدق.. اكتفى من الدنيا بأن تعرف أنى زوجتك وكفى..

تعجب (محمود) من صياغتها للكلام! طريقتها صارت عجيبة

للغاية، قال فى عصبية:

- ماهذا الكلام؟ لماذا تتكلمين بهذه الطريقة؟ أنت فعلا على وشك الموت، فمن الأفضل أن..

لم يستطع إكمال كلامه.. قلبه يرتجف خوفا ورعبا وألما.. مازال يحبها كما لم يحب أحدا.. مازال متعلقا بها، ورغما عنه سالت دمعتان من عينيه آلمتا قلبه..

- لا تبك.. من فضلك لا تبك..

قاتلتها بصوت جميل دافىء وهى تنظر لها نظرات كلها سحر وألم.. ارتجف قلبه مرة أخرى، وهو ينهار.. لا يستطيع تمثيل دوره هذه المرة، فانهار باكيا وهو يصرخ:

- لماذا خدعتينى؟ لماذا؟ أنا لم أفعل شيئا! وأنت أيها الأحمق كان يكفى أن تطلب منى أى شىء.. لماذا أعمى الشر قلبيكما؟ أنا لا أستحق كل هذا..

قال كلامه وانخرط فى بكاء عنيف لم يستطع فيها كبح جماح نفسه.. طبعا لم يستطع (ثروت) التفوه بحرف لأنه يعرف أنه مذنب، لكن الفتاة ردت بهمس:

- أنا أخطأت.. لأن من طبعى الخطأ! لا حيلة لى إلا أن أخطىء! لا طريق لى سوى الشر! لا أعرف سوى الشر!

أتريد أن تعرف من أنا؟

سألت سؤالها الحنون بصوت رقيق، فرفع (محمود) عينين حمراوين لها، وأومأ أن نعم..

- اقترب منى.. ستعرف كل شىء..

وعلى الرغم من شكه وخوفه، اقترب منها ببطء..

- انحنى نحوى..

صوتها الدافىء هذا.. صوت ساحر جميل لا يعرف للمقاومة سبيلا! انحنى نحوها، فمدت عنقها له كى تقبله!

وهو لم يمانع!

علاقة عجيبة غريبة من الخوف والمقت والحب غير المعقول! لابد أنك تفهم أنها سحرت قلبه للأبد!

قبلته قبلة طويلة اندمج فيها معها، وفجأة اسودت الدنيا فى عينيه ولم يعد هنا..

ذهب ليعرف من هى تلك الفتاة!

* * * * * *

كان الركب يسير فى الصحراء تجاه فلسطين.. مجموعة من الرجال ذوى المكانة من مملكة (سبأ) القوية يسيرون ناحية قصر

الملك الجبار (سليمان بن داود) عليهما السلام.. يحملون هدايا ذهبية قيمة للملك العظيم كى يتركهم وشأنهم، ومعهم فى القافلة الرهيبة تسير الملكة (بلقيس) بنفسها!

وعند مداخل المدينة لفت نظرهم المبانى شاهقة الارتفاع عظيمة الصنع، والتى قيل أن الجن هم من بنوها بأنفسهم، ثم رأوا من كل أنواع العجب أشكالا وألوانا..

رأوا الجنود البشر يسيرون جوار جنود من الجن.. والجن بأشكال وألوان محتلفة، منهم من يطير ومنهم من يقفز كالضفدع.. أشكال مخيفة لا يمكن حتى تخيلها.. هناك عشائر تحمل رؤوس حيوانات تنطلق ذات اليمين وذات اليسار تبحث عن أشياء لتفعلها بأوامر من النبي!

هناك حيوانات مفترسة ترتدى دروعا قوية من صنع نبى الله (داود)، والذى كان يشكل الحديد بيديه المجردتين! وهناك جنود يطيرون فوقهم بعدما أبدل الله لـ(سليمان) الريح بدلا من الخيول!

أصابهم الانبهار وأغشى قلوبهم الخوف.. لم يكن فى مخيلة أحدهم أن تكون هناك مملكة بهذه القوة.. ما يحدث هنا يفوق الخيال ويفوق السحر!

رأوا الجن العملاق يطبخ فى قدور عملاقة طعاما للجيش، كما رأت الجميع يتعاونون فى بناء الهيكل السليمانى الضخم!

وعندما دخلوا على الملك العظيم كان كلا منهم موقنا أن ما يحدث ليس من أعمال أحد إلا الله الخالق وحده! ليست هذه أعمال بشر على الإطلاق، وبالتالى استجابوا فورا لدعوة (سليمان) بعبادة الخالق الواحد، كان ذلك حين رأوا الجنود الأشداء يقتادون فتاة جميلة إلى حيث الحبس والعذاب مما أثار عجبهم! ماذا فعلت هذه الرقيقة الجميلة التى تخطف العقول لتعذب؟

أحد الحكماء لمح الحيرة فى أعينهم، فابتسم وقال:

- هذه (ليروكا).. أبوها من أشر الجن وأمها من مخلوقات الله التى لا تعرفونها، تشبه الناس وليست ناسا.. تعمل بالشر ويسمونه سحرا.. أبوها تحدى الملك وهرب، وأمها ماتت على الكفر والمعصية بعدما قتلت من الجيش الكثير..

جاءتنا (ليروكا) تبغى الانتقام.. تسللت إلينا وحاولت إغواء الأقرب لقلب الملك سليمان صديقه (آصف) وهى لا يمكن مقاومتها بأى شكل.. إنها بارعة فى التلاعب بالقلوب، وأنتم رأيتم ما حدث حين لمحتموها فقط، لكنه صدها.. كان عالما فقيها زاهدا متعبدا لله، فرد سحرها عليها وأمر بأن توثق إلى أن يرى فيها نبى الله أمره، فكان أن أمر بتقييدها وعذابها كما يحدث للجن لأنها أقرب للجن منها إلى البشر.. عذاب أبدى!

كان النبى جالسا أمامهم بكل عظمته وسطوته، فرفعت ناظريها

إليها وهمست بأشياء لم يتبينها ثم ضحكت وقالت:

- إلى ذريتك وأبنائك.. إلى كل واحد منهم سأغويه.. أبى معى ولن يتركنى لكم..

تتخيلون أنها توعدت نبيا! قالتها وضحكت، بينما يقتادها الحراس بعيدا!

ومع بداية العذاب لم تتحمل.. ما وضع للجن لم يكن لتتحمله، فماتت عاقدة يديها على قرص معدنى لم يعرف أحد من اين أتت به!، لكنهم تركوه مع الجثة من باب التشاؤم! من الخير أن تظل أشياءها معها!

كانت من الجن واقرب إليهم ففسقت عن أمر ربها.. عندما تموت ويرحل جسدها عن الأرض، تعود لعالم أبيها الذى لا تجد فيه غير الاستهزاء.. لا تلقى إلا كل معاملة سيئة باعتبارها الأقل والأدنى منزلة!

عندما كانت تعيش مع أمها قبيل موتها، علمتها من فنون العلم أصنافا وألوانا.. لم تترك دربا من دروب السحر إلا وعلمتها إياه! فى الواقع لم يكن هذا سحرا بالمعنى المتدارج الذى يعتمد على تسخير الجان، إنما كان علم قديم يتيح لبعض المخلوقات الانتقال بسرعة خارقة والعبور خلال ما خلقه الله تعالى من عوالم.. ألم تسمع قصة سيدنا سليمان عندما طلب عرش ملكة سبأ، فقال عفريت قوى من

الجن أنه يستطيع إحضاره فى خلال وقت قصير.. ربما نصف ساعة فقط، فرد عليه رجل عالم من البشر أنه يمكنه إحضاره فورا وفى غمضة عين!

على الفور ظهر العرش كاملا أمام نبى الله سليمان.. حسنا، كان علما من هذه العلوم التى اندثرت وفنت ولم يبق منها إلا آثار غامضة..

علمتها أمها أن تترك شيئا من روحها فى تميمة، فإذا ما عثر عليها أحد ورواها بدم حى عادت للأرض تغوى من فيها وتفتتهم..

كانت مزيجا عجيبا من إنسانة شريرة، وعاشقة لعوب، وساحرة لا يشق لها غبار، ونصف شيطانة تغوى البشر، ومخلوقة فريدة من نوعها!

ولكن العمر يمر..

والنسيان يأكل من ذاكرتها الكثير..

بمرور الوقت يتآكل العلم داخل عقلها العجيب فلا يبقى لها سوى الفتات.. تصير ضعيفة بمرور الزمن، ويصير قلبها أكثر رهفا!

كانت لعنتها الإغواء..

ولكن شيئا فى قلبها يكبر كل يوم بعض الشىء..

كانت لاتريد هذه الحياة حقا.. ربما ودت لو تموت للأبد!

ثم تم دفنها مع تميمتها فى مكان لا يعرفه أحد!

* * * * * *

السنين تمر فتذرو الأرض وتغير ملامحها وتهدم ما بناه الأقدمون فلا تعرف ماذا كان هنا قديما ولا من سار على هذه الأرض من قبلك، انطمس قبرها تماما وتحللت جثتها حتى صارت ترابا اختلط بتراب الأرض، أما تميمتها فظلت على حالها بانتظار من ينتشلها من مكانها..

ألف سنة أو يزيد على هذا الحال، حتى قنعت بالحياة فى الجانب المظلم من العالم.. أبوها يعاملها كأحقر خادمة ويأمرها بأسوأ الاشياء.. كان هو الآخر يحتقرها ولا يرغب فيها، وكان غليظ القلب لو كان يملك واحدا!

لكن دوام الحال من المحال!

فقد كان رجل من أهل فلسطين يسير فى هذا المكان مهموما يفكر فى الرومان وضرائبهم، ويفكر فى اليهود وشرائعهم، ويفكر فى زوجته وأبنائه وما يقدمونه له من نكد دائم، حين لمحت عيناه شيئا يلمع بين التراب..

سار نحوه فى فضول وأخذ ينفض عنه التراب ثم رفعه وتأمله معجبا.. على ما يبدو هى عملة ذهبية كبيرة للغاية مدفونة وسط الرمال.. لا يعرف أن هذا قبر (ليروديكا) وقد تكشف مع الوقت، فاحتفظ بالمعدن اللامع عسى أن يجد به منفعة، ثم قرر بيعه إلى أحد اليهود المنتشرين فى المدينة.. واليهودى قدمه هدية إلى (هيروديا) زوجة (فيلبس) أخو الحاكم (هيرودس).. كان بينهما صلات كثيرة وكانت هدية مناسبة خاصة أنه لا يعرف قيمتها ولم يمكنه أن يستفيد منها بأى شكل!

أخذتها (هيروديا) وتركتها بإهمال فى مخدعها، وعندما نامت رأت أمرا عجيبا.. أنها تسير بالقطعة المعدنية نحو السجن، وتطلب من الحارس تنفيذ الإعدام على أحد السجناء، وبجوارها جاريتها الاثيرة تمسك بالقطعة وتغمسها فى دمه الساخن!

عندما استيقظت ظنته مجرد كابوس آخر، لكن أى كابوس هذا الذى يستمر لمدة أيام متتالية؟

حكت لزوجها (فيلبس)، فقال لها بعدم اهتمام أن تفعل ذلك! هناك الكثيرون ممن لا قيمة لهم فى القبو، فلتأخذ منهم من تشاء وتقتله!

ربما.. حسنا، هم بالفعل لا قيمة لهم، فسارت تجاه القبو لتجد أخاه الحاكم يأتى تجاهها..(هيرودس) بنفسه يسير متبخترا يختال

وينظر لها بغواية قبل أن يقول:

- كيف حالك (هيروديا)؟

ابتسمت فى استخفاف وقالت:

- بخير يا سيدى.. أتريد شيئا من زوجة أخيك؟

تلفت حوله بحذر ليجد أنهما وحدهما فى الرواق، ثم احتضنها بعنف وقبل شفتيها بنهم، والأعجب أنها بادلته تقبيلا بتقبيل ولم تعترض! كانت شغفته حبا وعشقا آثما وتريده وهو يريدها، لكن شريعة اليهود لاتقبل! لايمكن أن تكون زوجة أخيه زوجته يوما، فالحل إذن فى العشق المحرم، وما أكثر لقاءاتهما!

انتهيا من قبلاتهما اللعينة، ثم سار كلاهما فى طريقه على وعد بلقاء ملتهب ليلا! تركته واتجهت لحجرة وصيفتها الأثيرة لتحضرها معها للقبو، فسارت الفتاة المسكينة بلا رغبة حقيقية فى النزول لهذا المكان!

فى القبو، تخيرت رجلا مذعورا ملأ الدنيا صراخا وولولة، وأمرت الحارس بذبحه! أشاحت الوصيفة بناظريها بعيدا عن المشهد المخيف،

وبينما يتدفق الدم الساخن من عنقه وهو يفارق الحياة رمت التميمية فى الدماء.. رأتها كما لو كانت تذوب وتختفى، وبعد لحظات

سمعت صوتا ملائكيا من خلفها يهمس:

- شكرا لك..

التفتت خلفها فى دهشة لتجد الفتاة التى كانت وصيفتها يوما تتبدل.. تتغير ملامحها لتصير أخرى أجمل وأصغر وأكثر رقة.. قالت:

- (هيروديا)..

أنا من اليوم ابنتك..

أنت أمى ولك منى كل تقدير..

أنا ابنتك واسمى هو..

فكرت قليلا قبل أن تذكر آخر من حبسها على الأرض.. من نفاها وأبعدها (سليمان).. إذن فليكن اسمها مؤنث سليمان!

- سيكون اسمى كما يعرفه الناس: (سالومى)!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

هنا أريد أن أقاطع مايراه (محمود) لأحكى لك شيئا، التاريخ يحكى عن (سالومى) ابنة (هيروديا) التى ظهرت فجأة، إذ لم ير أحد (هيروديا) حاملا أبدا، ولا يذكر أحد من هى (سالومى) الطفلة! فجأة (هيروديا) عندها فتاة رائعة الجمال تخطف القلوب ولا يقف أمام

سحرها إنسان مهما كان.. ومنذ ظهور (سالومى) ازدادت (هيروديا) سحرا وتملكا وسطوة على (هيرودس) الحاكم بالرغم من وجود أخيه!

منطق عجيب لا يمكن أبدا فهمه، ولابد أن هناك شىء غامض لا يمكن تفسيره.. لكننا نعرف تفسيره الآن ويكفى وجود الغاوية هذه معهم!

وفى هذا الوقت كان فى البلدة رجل اسمه (يحيى)..

كان ناسكا متعبدا، قالوا أنه جاء لأبيه (زكريا) على كبر، لأن امرأته لم تكن تلد.. فكان طفلا لرجل طاعن فى السن!

كان يفيض حنانا على مخلوقات الله من حوله، فيندهش الناس عندما يرونه يطعم الحيوانات بيده ويبقى هو بغير طعام.. يدهشون عندما يرونه يتغذى على الأشجار ويبيت وحيدا فى الكهوف القريبة يتأمل فى خلق الله تعالى..

كان محبوبا لحنانه، وذكائه،وقوته، وتقواه، وعلمه، وفضله بين الناس!

كان ينعزل شهورا يتعبد لله، وينام فى أى كهف أو مغارة أو حفرة تقيه الأجواء! بل من فرط انشغاله بالله تعالى كان يدخل كهفا فيجد فيه وحشا ما! ذئب أو أسد أو غيره، فتجد العجب أن الحيوان يعرفه وينسحب فى صمت خافضا رأسه تعظيما وإجلالا للنبى الكريم..

كان إذا وقف بين الناس يدعوهم أبكاهم من فرط الخشوع.. فإذا ما انتهى من كلامه ووعظه عاد للصحراء..

هناك، حيث تمتد الرمال حتى تلتقى بالأفق البعيد، ولا صوت إلا صوت الرياح الخافت وحفيف بعض الأشجار، تجد (يحيى) يقف وسط الخلاء يصلى ويبكى لله تعالى!

وبطبيعة الحال سمع عنه (هيرودس) الطاغية الأحمق الذى صار لا يفكر إلا فى زوجة أخيه طوال الوقت، وعلم أن الناس تحبه حبا عظيما لا يحبونه لأحد من الناس.. اشتعل قلبه غيرة، وأمر بإحضاره إليه..

ذهب الحراس للإتيان به، وبعد يوم أو أقل عندما وجدوه عادوا به إلى الملك الذى كان على شفا السكر من فرط ما تجرعه من مسكرات.. عندما دخل عليه البلاط الفخيم هبط على الجميع صمت وسكون غريب.. شىء من الخشوع مس قلوب الجميع وهبط الصمت جليا يتأملون الوجه النقى الصافى القادم عليهم.. وبصوت خافت لم يعتده الحضور طلب (هيرودس) من (يحيى) الاقتراب والجلوس بجواره!

اقترب منه وجلس، فحادثه برفق.. امرأة أخيه شغفته حبا ويريد منه أن يسمح له بالزواج منها لتصير له للأبد.. الا يوجد فى شريعتك شىء كهذا؟

بعدما سمعه قال بابتسامة من يرفق بعقل خربته الشهوات والملذات:

- لا يجوز..

فقط.. فراح الملك يعيد الكلام ويبثه شوقه لها، وأخذ يلح على (يحيى) أن يجد له رأيا يرضيه، والحضور يتعجبون من توسل الملك بهذا القدر! إنه لا يطلب الأمر مرتين، فماذا فعله به هذا القادم؟

لكن (يحيى) رفض.. ليس له من الأمر شيء، ولا يمكنه أن يحل ما حرمه الله ومنعه على الناس!

ظهر الغضب جليا على وجه الملك وصمت للحظات، ثم قال بصوت تفوح منه نبرات الغدر:

- ضعوه بالأسفل.. تخيروا له سجنا لائقا يعيد فيه التفكير إلى الغد، ربما رأى بالأسفل ما يقنعه بالعدول عن رأيه!

نهض (يحيى) بهدوء واستسلم ليد الحارس الفظ، الذى تناوله برفق مع ذلك وهو يصطحبه للأسفل ولا نقول يقتاده..

كانت (سالومى) تراقب الوضع من بعيد، وترمق ملامح النبل والجمال فى قلب (يحيى).. ربما من المرات القلائل التى خفق قلبها لأحد.. انتظرت بضع لحظات حتى تهدأ الأمور، ثم نزلت خلفه، لتجده فى الزنزانة جالس يصلى والدموع تغرق وجنتيه خشوعا لله

وحبا له وانصياعا لأمره.. خفق قلبها مرة أخرى، ولم تتمالك نفسه، فجلس أمامه تتأمل الوجه الجميل..

- أحبك..

قالتها بشغف وشبق وإجلال..

- ليس فى قلبى مكان لحب أحد إلا الله..

قالها فى هدوء ورضا وإيمان..

- أحبك.. انتشلنى من خطيئتى..

قالتها وهى تمد يدها تحاول مس يديه المرفوعتين إلى الله..

- الله يحبك.. وإن أردت الهداية فتعالى اسمعى ما يقوله الله..

قالها وهو يتراجع فى لطف وحنان ورفق عجيب..

شعرت ألا فائدة.. وشعرت أن قلبها انشق ألما.. إنه لا يريدها! وهكذا نهضت من مكانها وابتعدت فى هدوء، بينما يزمجر فى عقلها صوت بغيض أنه يريد هذا الرجل قربانا!

* * * * * *

ثم كان أن أمر الملك بحفل هذه الليلة.. حفل ينزع ذلك الألم فى قلبه، وما انقضت ساعتان حتى ضجت القاعة بالحضور والموسيقى وصار الخمر يدور بين الموجودين أنهارا، وحضرت (هيروديا) وابنتها

الغامضة تسير خلفها..

جلست (هيروديا) جواره تتحسسه فتزيده اشتعالا فوق اشتعالا، بينما أشارت لابنتها أن تبدأ ما تريد أن تبدأه، وهو جالس جاحظ العينين يلهث من فرط الخمر!

بدأت الموسيقى فى الصدوح وبدأت (سالومى) فى الرقص.. تتمايل وترقص ثم تأتى بحركات كلها فتنة وإغراء، وما لبثت أن نزعت قطعة من ملابسها وألقتها تحت قدميها، فضجت القاعة بالصياح وكم تمنى بعض الموجودين أن يكون مكان قطعة الملابس تحت قدميها الفاتنتين!

وترقص..

الإيقاع يزداد حماسة والجو يزداد سخونة، وثم تقفز قفزة رائعة كأنها غزال برى رشيق وهى تلقى بقطعة أخرى تكشف عن فخذين براقين كالرخام سلبا لب الملك فعاد يصب فى حلقه المزيد من الخمر وهو يتأمل ما تفعله تلك الساحرة..

وتتوالى القطع المتناثرة من عليها..

الثالثة..

الرابعة..

الخامسة..

السادسة..

ومع كل قطعة تنظر للملك نظرات لا يمكنه مقاومتها.. كما كانت (هيروديا) تضع عطرا شديد الجمال.. عطر مدوخ لا يمكن أن يكون إلا قطعة من سحر الجنة التى يدعو إليها (يحيى)!

ولم تبق إلا قطعة واحدة تستر ما تبقى من عورتها! كانت مع كل قطعة يضج الحضور بالصياح والصراخ، وكانت مثالا للجمال والفتنة والحب والرغبة..

اقتربت من الملك ووقفت أمامه ثم قالت بدلال:

- أنزع الأخيرة وأطلب شيئا؟

بصوت تشبع بالكحول قال:

- اطلبى ما تشائين..

ابتعدت عنه وأخذت ترقص وتدور وتلف وتتمايل، ثم قالت بصوت عال ليسمعه الجميع وهى تنزع آخر قطعة:

- أريد أن أطلب من مولاى شيئا..

بصوت عال ملأه السكر:

- ما تشائين يا ابنة (هيروديا).. ما تطلبينه مجاب أيا كان!

- أريد رأس (يحيى بن زكريا) على طبق من فضة.. الآن!

مع جملتها اللعينة هذه توقف العازفون وخيم صمت مطبق على القاعة المبهرجة والكل لا يصدقون ما سمعوه..

- رأس (يحيى)؟

- أتريد رأس (يحيى)؟

- هل قالت رأس (يحيى)؟

- لا بد أنها أخطأت! قطعا ليس (يحيى بن زكريا)!

ساد الصمت، ثم أعادت الكلا بما لا يدع مجالا للشك وبصوت واضح بأنفاس لاهثة:

- أريد رأس (يحيى).. على طبق من فضة!

أفاق جزئيا من سكره وشعر بالخوف يقتحم قلبه فى قسوة.. لم يعد بإمكانه التراجع.. وذلك العطر اللعين يلعب برأسه.. كان يريد أن يقول لها أن تسأله شيئا آخرا، لكن مالت (هيروديا) نحوه وهمست:

- اعطها رأسه وسأذيقك الليلة من الألوان ما لم تتخيله.. أم تريد أن يقول الناس عنك أنك حنثت بوعدك؟

هز رأسه فى عنف، ثم صاح بصوت متحشرج:

- اقطعوا رأسه، وهاتوها على طبق من فضة!

سرت همهمة بين الناس.. هذا لا يمكن!، لكن الحراس لا يمكنهم رفض أمر الملك!

بعد قليل عاد الحارس وملامحه تختلج تأثرا، وسط قاعة تعج بالصاخبين الذين لم يصدقوا ما حدث.. كان يحمل طبقا من فضة عليه رأس ساكن يغمض عينيه فى هدوء وسكون كأنما هو نائم!

رأس (يحيى بن زكريا)!

ضحكت (سالومى)، وإن اضطرب قلبها ألما.. ابتعدت، بينما دوت الضحكة فى قلبها وعقلها ووجدانها.. الشر الأسود يربح جولة أمام الخير المطلق!

* * * * * *

وتتوالى الأحداث مع (محمود)..

كثير مما رآه رأيناه وعرفناه فى الصفحات السابقة!

رأى كيف اختفت من بلاط (هيرودس) بلا أثر..

رأى كيف سارت ترتحل فى البلاد وتلقى بغوايتها للناس..

ورأى ألم قلبها..

لقد انتصرت فى معركة لم تحب خوضها.. صارت بلا قلب وبلا وعى!

ومن بلد تنتقل لأخرى.. تمكث فى كل واحدة بضع سنوات ثم ترتحل بعدما ينكشف أمرها.. حياة رتيبة مملة! تخيل أن يتكرر نمط حياتك بحذافيره عدة مرات..

لكن النسيان يأكل عقلها كما عرفنا..

ثم رأى (محمود) أحداثا عجيبة!

رأى أنها جمعت ستة نسوة، وعلمتهن السحر..

ستة ساحرات وهى سابعتهن، وعلمتهن كيف يضعن أرواحهن فى تميمة..

علمتهن أن قوتهن فى الأرض، فإذا ما ابتعدن عنها فقدن كل شىء!

وعلمتهن أن تكن تابعات مخلصات لها، ووضعت فيهن أسرارها، حتى إذا ما نست عادت إليهن!

رأى الفتاة وهى تغوى رجلا بعد رجل، وتختبىء فى قلبه وكيانه مفضلة أن تبتعد عن الدنيا كلها..

قلبها صار مكسورا بعدما قتلت (يحيى)..

صارت تفعل ما تفعله بحب الحياة فقط ولا شىء آخر.. تقدم الطاعة لأبيها، وتقدم الشر لأهله..

رأى كيف أغوت (فريدريك)، وشعر أنه لعب بقلبها قليلا! ربما مالت إليه فى وقت من الأوقات!

كيف نزلت عكا ومصر فى قلب (جوزيف)..

مواجهتها لـ(بياترس)..

كيف عاشت وكيف ماتت قرونا بعد قرون..

وكيف نست ما تعلمته حتى تبقى لها الفتات، ثم كيف رماها أبوها وتخلى عنها للأبد!

وكيف ذهب لها (ثروت) واتفق معها عليه.. ربما كانت فرصة طيبة كى تعود لما كانت عليه..

كانت مشتتة لا تدرى كيف ستدور بها الحياة، لذلك لم يكن أمامها إلا أن تفعل ماتفعله الآن..

كانت لاحيلة فعلية لها.. كما النار لا حيلة لها إلا أن تحرق.. وكما الضوارى لا حيلة لها إلا أن تفترس، كانت لاحيلة لها إلا أن..

تغوى!

حتى وصلوا لما هم فيه الآن!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

انتهت القبلة وفيض الذكريات الغير معقولة، فانتفض (محمود) وابتعد عنها صارخا صائحا وسقط على الأرض يرتجف..

امتقع وجهه فى عنف..

أخذ يلهث بقوة وهو لا يكاد يصدق ما رآه للتو وما عاشه حالا!

ثوان مرت قبل أن تثور عليه معدته وينحنى ليفرغها جانبا، قبل أن يعتدل وهو لا يدرى ماذا يفعل..

كان (ثروت) يرمقهما بدهشة مذعورة، لأنه لا يعرف ماذا يحدث.. لم ير شيئا إلا بضع تشنجات قام بها (محمود) أثناء القبلة، وهو مالم يستمر غير لحظات نقلت فيها كل ما رآته..

الخوف يسيطر على ثلاثتهم مع اليأس التام!

لحظات من الصمت مرت قبل أن ينهض (محمود) كالمسلوب، ويذهب تجاه مكان قريب ويأتى بمادة قابلة للاشتعال.. اتسعت عينا (ثروت) من فرط الرعب، وهو يرمق (محمود) يسكب المادة على الفتاة الهادئة والتى لا تبدى أى نوع من الاعتراض..

سيحرقها..

حية!

صرخ (ثروت) وصرخ، لكنه يعرف جيدا ألا أمل.. سيموت هنا

والآن مع هذه الباغية..

ظلت هادئة تنظر لها وعيناها تسكبان الدموع أنهارا، وهو يسكب دموعه أنهارا! لا يتخيل أن يفعل ذلك، لكنه يفعله..

تراجع خطوتين، قبل أن يشعل عود ثقاب ويرميها عليها، وعلى الفور ارتفعت ألسنة اللهب لتأكل جسدها، على حين بلغت صرخات (ثروت) مستوى لم يبلغه من قبل وهو يراها تشتعل أمامه وتتلوى على المقعد، ولفح النيران يلفح وجهه وعينيه..

مرت دقائق عبق الدخان فيها جو الحجرة بالكامل، فاضطر (محمود) لفتح الباب ليبعد دخان الشواء المقزز، ووقف فى الخارج يستنشق الهواء ويبكى!

صار قاتلا..

صار قاتلا بالفعل!

الانتقام حوله إلى قاتل..

لقد قتل!

قتل!

* * * * * *

مضت نصف ساعة أو يزيد قبل أن يعود للداخل ليرى الفتاة تفحمت تماما، وصديقه.. أو عدوه (ثروت) أمامه ملقى على الكرسى فاقد الوعى يتنفس ببطء من فرط الدخان..

ووجدها على الأرض..

التعويذة!

انحنى يلتقطها وينفض ما عليها من رماد الحريق، قبل أن يلتفت ليخرج من المكان.. جذب انتباهه صوت ضعيف يأتى من خلفه.. صوت (ثروت) يئن، إذ ربما يعود لوعيه مجددا.. يهتف باسمه فى صوت ضعيف..

- انقذنى.. أرجوك..

لم يعره انتباها، إنما أغلق الضوء وهو يبتعد عن المكان شاردا، بينما يغلق عم (شعبان) العجوز الباب فى هدوء ليمنع صرخات (ثروت) المتزايدة والمتعالية حتى اختفت تماما مع انغلاق الباب..

سار (محمود) مبتعدا عن المكان عازما ألا يعود لهنا قبل شهر على الأقل!

* * * * * *

– وأين وضعتها بعد ذلك؟

– حاولت إذابتها بكل الطرق لكنى لم أفلح، فأعطيتها لصديق لى يعمل فى مجال الحديد والصلب كى يلقيها فى الصهاريج العملاقة التى يذيبون فيها الحديد.. لابد أنها ستذوب هناك حتما لتصير قطعة من حديد أى مبنى.. هذه هى الطريقة الوحيدة كى لاتعود مرة أخرى!

– غريبة.. حكاية غريبة للغاية! أتظن أنى لو حكيتها لأحد يمكن أن يصدقها؟

نهض من مقعده مبتسما، ثم قال:

– يا أحمد، أنا فعلت ما أريده وأنت عليك أن تحكيها بالشكل الذى ترضاه.. أنا أحكى لك من قبيل الفضفضة فحسب، لكن فى الواقع لا أهتم إن صدقوها أم لا.. هذا لن يغير من الواقع شيئا! لقد حدثت وانتهى الأمر، وما بعد ذلك لا أهمية له صدقنى..

– إذن.. بشكل ما أنت تريدنى أن أكتبها وأنشرها فى كتاب؟

– لك مطلق الحرية يا صديقى..

– سيتهموننى بالمبالغة..

– ولهم كل الحق طبعا.. أنا نفسى لا أصدق ما حكيته توا!

– منذ كم ساعة تحكى؟

- لا أعرف.. منذ خمس ساعات ربما! التفاصيل كثيرة مرهقة، وأنا حكيتها لك.. هى لك!

- والآن؟

- الآن.. ربما أقول أنى سعيد عندما وجدت حب حياتى الحقيقى.. (بياترس) السكرتيرة التى جاءت منذ أيام..

- وعدلى أو (الحاج حسن)؟

ابتسم ابتسامة مريرة، ولم يعقب.. هز رأسه نفيا بمعنى أنه لايرغب فى أن يحكى.. عرفت أنى لن أعرف أبدا ماحدث له، وإن كان غالبا من البشاعة بحيث يخجل من حكايته لى!

لم أدر ما أقول..

نهضت أنا أيضا وشكرته على وقته معى وعلى حكايته الشيقة هذه.. ليس من الطبيعى أن تجد كل يوم شخصا يحكى لك تجربة كهذه.. أشعر بالدوار حقا، هذه تجربة لا يمكن تصديقها.. لكن..

لحظة..

(بياترس)؟

(بياترس)..

أين سمعت هذا الاسم من قبل؟

طبعا لا يمكن أن تكون تلك الحسناء الجذابة هى..

لا لا لا يمكن أبدا!

لا يمكن!

أعلم أنه اسم غريب، وأعلم أنه ربما تشابهت الأسماء بشكل ما.. لكن لا يمكن..

أيعقل أن تكون هى ذاتها؟ وكيف وصلت إليه؟

هناك خيوط مفقودة هنا!

لا أعرف.. وفى الواقع لا أريد أن أعرف.. هناك أشياء من الخير أن تظل بمنأى عنك.

(بياترس)؟

ربما!

تمت

شكر وتقدير

أولا وأخيـرا.. قبل كل الناس وبعدهم ووسطهم.. ولو لم يكن غيرها لما شكرت غيرها.. زوجتى.

(د.محمود صلاح..) (أ. إسلام عبدالله..)

رفيقا الـدرب والكفاح والدعم والصداقة والأخـوة وكل معانى الرجولة التى يمكن أن أحظى بها.. أنا محظوظ بكما وبصداقتكما.. أدام الله وجودكما للأبد.

(أحمد مصطفى) صديقى.. و(عصام عبدالله) صديقى.. لا علاقة لهما بهذه الرواية من قريب أو بعيد، كما أنهما لا يحبان القراءة أصلا، ولكنى أحبهما..

أخى (محمد) وأخى (جهاد).. (لا توجد كلمات تعبر، لذلك لن أكتب شيئا!)

أمى الحبيبة بارك الله فى عمرها وصحتها وجعلها دوما لنا بخير حال..

صديقا الدرب العزيزين : د.سالى مجدى، وأ. أحمد بدران.. من أجمل ماحصلت عليه فى حياتى على الإطلاق..

لكم جميعا : شكرا جزيلا!

أعمال الكاتب:

- أرواح نجسة
- مملكة الرب
- إبليس يعلن عن نفسه
- تعاويذ
- الحوت الأزرق
- مقدسات الموت
- جبروت

المُحتَوياتُ